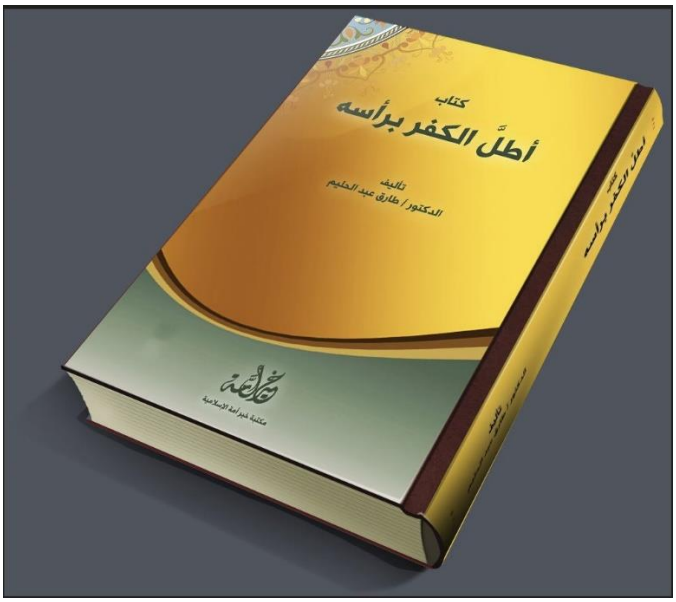

عصر السيسي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهد الله فلا مُضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. ونصل ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

هذه مجموعة المقالات التي نشرتها في الفترة ما بين يناير 2014 ويونية 2015، عام ونصف من حكم الكافر السيسي، غطيت فيها ما يجري من أحداث، بل مهازل، آتت أكلها اليوم، عام 2023، بعد أن وقعت تحت الوصاية العالمية والعربية، لأجل الديون التي اقترضها المجرم الحاكم فأضاعها في مشاريع يغسل بها أموال الدولة لجيب جنرالات الجيش، وبعد أن سرق لجيبه الخاص ما أعطته دول الخليج من قروض ومنح وودائع.

الرجل أنهى دولة مصر. وقد قلنا ذلك من اليوم الأول لحكمه الغاشم الكفريّ.

حين تحدثنا عن كفره، ظن الناس إننا نتحدث بفوبيا دينية تكفيرية! والأمر لا علاقة له بذلك. بل عرفنا أن معاند الله والشرع، ولقبه "كافر"، لا يكون منه إلا الخراب في الدنيا قبل الآخرة، وضياع المال والأرض والعيال. كان إيماننا بان تلك هي النتيجة المحققة، ناتج عن إيماننا بسنن ربنا. وكان أوفى وأدق من نظر العلمانيين، كالبرادعي وممدوح حمزة وصحبه، الذين منهم من أيده أعواما، ثم إذا به يعود اليوم ليعتذر، كأنه "كسر طبقا في مطبخ!" ولم يَحرِف شعبا عن طريقه.

وقد جربت هذا المقالات في كتاب بعنوان "وأطل الكفر برأسه"، الذي طبع عام 2019، ضمن مجموعة الأعمال الكاملة (المجلد الرابع، الثورة المصرية).

وبالله التوفيق

د طارق عبد الحليم

24 جماد الآخرة 1444 – 17 يناير 2023.

الحلول الثلاثة للمأزق الإسلامي في مصر 2 يناير 14

حلول ثلاثة، لا بديل عن أحدها لإخراج مصر المسلمة من ورطتها، إن استثنينا ما يحدث اليوم من قتلٍ وسحلٍ واغتصابٍ، دون نتيجة.

الحل المُسلح، والحل الديموقراطيّ، والحلّ الجماهيري.

أمّا الحل المسلح، فيعنى أن تتكوّن جماعاتٍ جهادية، على غرار سوريا والعراق، تبدأ صغيرة أولاً، تهاجم مواضع محددة، ومراكز معينة، وشخصيات بعينها. ثم تتوسع وتكبر دائرة فعاليتها، حتى تُحوّل حياة الجيش والشرطة إلى جحيم مُسْتَعر.

وأما الحلّ الديموقراطي، فهو يعنى، بصراحة، الرضوخ إلى الواقع الحاليّ، والرضا بالكفر، ثم العمل من داخله على ذرع بذرة اسلامية، تنمو في رحمه، وتنشأ تحت ظلاله، وترتوى من مائه وتغتذى من كلئِه. فهو وليدٌ يُعضّد الكفر واقعاً بينما يقول إنه يسعى للإسلام وهماً. وهو وليد الإخوان سابقاً، وابن سفاح البُرهامية المُلحدة حالياً.

وأمّا الحل الثوريّ الجماهيريّ، فهو يعنى أن تخرج جماهير الشعب المسلم[1] كافة، طلبة وعمالاً، شباباً وشيوخاً، في يوم واحد، ثم لا تعود بعده لبيوتها إلا منتصرة، **لكن بشريطة أن تكون هناك أفرادٌ تحميها من العدوان بالسلاح**، وأن لا تخرج حرائر النساء والفتيات، فهذا لا يجوز شرعاً، وليس له سابقة واحدة في تاريخ سلفنا الصالح[2] ، وفينا من الرجال ما يكفي لدحر الكافر الظالم. هذا وإلا لم يفلح هذا الحلّ، وصار هو هو ما فيه شعب مصر اليوم، من قتلٍ وسحلٍ واغتصابٍ، دون نتيجة، إلا ما يتحدث عنه معارضو الجزيرة، من الدوحة!

أمّا عن الحل الأول، فرغم أنه أقربها إلى السُّنة وأحسمها للوضع القاتم القائم، أرى أنّه ليس بحل واقعيّ، إن درسنا التاريخ، وعرفنا طبيعة الشعوب، ومزاجها العام، وقدرتها على المواجهات المسلحة. والشعب المصري شعبٌ ظريفٌ خفيف الظلّ[3]، لا يقدِر، باستثناء المستثنى منه، على تبِعات مثل هذا الحلّ. ولا يعنى هذا ضعف إرادة أو خلل إيمان أو نقص شجاعة، استغفر الله، بل يعنى أنّ البيئة لها أحكامها، وأنّ لكلّ شعب وسيلة يصلح بها ما أفسده الظالمون.

أمّا الحل الثاني ، فهو ليس في حقيقة الأمر حَلّا. بل هو دعمٌ للكفر، وتثبيت لركائزه. وهو ما لا ندعو اليه، ولا نشجع عليه. ولعل واهماً أن يقول، كيف وموسى عليه السلام قد تربى وترعرع في بيت الكفر، ونشأ في ظله وارتوى من مائه واغتذى من كلئه، وهو نبيّ الله المرسل؟ قلت، هيهات هيهات، لا يقارن ذهبٌ بنحاس. فقد نشأ موسى على عين الله سبحانه، يرعاه ويحدو خطاه، وقد أعمى عنه فرعون وقومه حتى جاء وقت المواجهة، فإذا بفرعون يُعلنها صراحة "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ" غافر 26، نعم، لا ديموقراطية، بل تفويضٌ بالقتل ممن خَربت ضمائرهم، وضاعت ذِممهم، وباعوا أنفسهم لفرعون رخيصة ذليلة، وإذا موسى لا يفاوض ولا يقايض، بل يخرج ليرمى بنفسه وقومه في البحر، استسلاماً لوحي الله بأنه منجيه ومن معه. فهل يرمى المصريون أنفسهم في بحر المقاومة اليوم إيماناً بوعد الله بالنصر إن كانوا أهله وأعدوا له عدته؟

أما الحلّ الثالث، ونقصد الحلّ الثوري الجماهيريّ، فهو ما نراه، والله أعلم، أولى هذه الحلول بالتطبيق، فهو في مُكْنَة الشعب المصريّ، وموافقٌ لطبيعته، وهو يعنى أن تبذل الجماهير المسلمة طاقتها في الخروج، وإعداد العدة له، بأعداد لا قِبَلَ لجيش أو شرطة لهم بها، ولا يمكنهم أن يواجِهوها، وبما يقدرون على حمله، دفاعاً عن أنفسهم. والكثرة دائما غالبة، خاصة والعدو

---

[1] ولا نقصد شعب السيسي من الملاحدة، جيش وشرطة وعوام.

[2] وقد كان لنا عبرة في خروج أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها اجتهاداً في وقعة الجمل، إذ لم يصحح أحدٌ من السلف هذا الخروج، على جلالة قدرها ومكانتها.

[3] ها نحن نرى بعض المُنتَمين للمعارضة يتحدثون عن رئاسة إخوانيّ لأمريكا، فهل رأينا أخف ظلاً من هذا الحديث؟

جبانٌ رعديدٌ لا قضية له، ولا دين يدفعه، ولا آخرة يرجوها. نعم سيكون ضحايا، وقتل ودماء كثيرة، ولمنها مبذولة مبذولة، إما بسلمية استسلامية وإما بمواجهة جماهيرية. لكنّ النتيجة أولى بأن تتحقق على أرض الواقع بهذا الحلّ لا بغيره.

العِبْرة والاعتبار .. بين الإنكسار والانتصار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهد الله فلا مُضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. ونصل ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

العبرة، في لسان العرب، من "عَبَرَ"، أي انتقل، مادياً، من مكان إلى مكان، وتستعمل في الانتقال المعنويّ من فكرة إلى مدلولها. ثم الاعتبار، هو النظر في هذا الانتقال وأثره وما ينشأ عنه من آثار.

وقد ذكر الله العبرة والاعتبار في سبعة مواضع من القرآن الحكيم، منها ما يختصّ بالعبرة في صنع الله سبحانه "وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ" النحل 66، "يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ" النور 44، أو في معرض الحياة الاجتماعية "قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ" آل عمران 13.

ومدلول العبرة هنا، فيما يختص بشقها الاجتماعيّ، هو معنى التاريخ، وهو معنى السنن الكونية. إذ لا معنى للاعتبار إلا بالنظر في التاريخ من جهة، والايمان بقوة السنن وإحاطتها بأحوال الناس وإحكام قبضتها على شؤونهم بلا تخلف.

من ثمّ، فإن النظر في التاريخ، واستكناه أسراره ومعرفة حوادثه وأخباره، هو عبادة وعادة. فهو عبادة واجبة، من حيث إنه اتباعٌ صريحٌ للأمر الربانيّ بالاعتبار كما في قوله تعالى "هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ" الحشر2. فأمرنا سبحانه بالاعتبار[4]. وهو عادة إنسانية، إذ تتعلق بما لاحظه البشر من تكرار نتائج الأحداث إن اشتبهت الأسباب والظروف.

علمنا من القرآن أنّ الأمم تقوم على القوة "وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" الأنفال 60 والعدل "وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ" الرحمن 9، فهما جَناحيّ البقاء والنصر، وتجنّب الطغيان "وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ (12)" الفجر، وتلافي التنازع والتفرق "وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ" الأنفال 26.

علمنا من التاريخ، كيف أنّ الحضارات تسير على هذا النهج، بلا تخلّف، وانظر إلى أمم اليونان والرومان والفرس، كيف ازدهرت حضاراتهم وعلا شأنهم، رغم كفرهم بالله العظيم، حين اتبعوا السنن، ثم خبا نجمهم جميعاً إما على يد بعضهم البعض، كما ورثت حضارة الرومان حضارة اليونان، أو في اقتتالهم كما حدث بين الدولة الرومانية والفارسية. ثم كيف أنّ الإيمان، مع القوة والعدل والحق، ورثهم جميعاً، كما فعل المسلمون حين اكتسحوا الفرس والروم معاً في أقل من نصف قرنٍ من الزمان، فكان الانتصار ساحقاً. ثم كيف أطاح الطغيان والضعف والتشاحن والتنازع بأمة الإسلام على يد الغرب، صاحب القوة القاهرة، وبأيديهم لما هم فيه من تسابقٍ على الدنيا، وتنازعٍ بينهم. ولا تحسبن سلاطين الخليج ورؤساء العرب متحدين كلمة. لا والله، بل هم أكثر الخلق تنازعاً فيما بينهم، يحرص كلّ منهم على قطعة الأرض التي تسلّط عليها بالجبر والطغيان. إنما توحّدت قلوبهم في أمرين لا ثالث لهما، الولاء للغرب ورعاية مصالحه، والبراء من الإسلام وقتل المسلمين.

رأينا في التاريخ، في دولة الأندلس، كيف كان من حروبٍ وتنازعٍ بين دول الطوائف، والتي وصلت إلى اثنتين وعشرين دولة، أدى إلى النتيجة المحتومة، الانكسار والسقوط. وكان ذلك بتولي النصاري والاستعانة بالنصارى على بعضهم البعض،

[4] وهو أمر توجيه وإرشاد.

إلا ما كان من بعضهم كالمعتمد ابن عبَّاد والمتوكل بن الأفطس. ثم حين جاء وقت السقوط، تمالأت كل قوى الكفر الأسبانيّ، ضد كافة دول الطوائف، العدو منها والصديق، بلا تفريق. هذا هو ديدن الكفر، لا يعنيه الخائن الموالى، فإنّ من خان أهله وأمته، سيخون أيّ من كان، في يومٍ من الأيام.

ولا يقف التشابه بين دول الطوائف ودول "الجامعة العربية" اليوم على عددها الذي يماثل عدد دول الطوائف بالتمام، أوعلى استعانتهم بالنصارى، بل ترى نفس المعالم الاجتماعية، من دكتاتورية الأمراء، وطغيان الجيوش على شعوبها. ثم السّمة البارزة من وجود علماء السوء الذين يسوّغون لهؤلاء الأمراء ما يفعلون، ويخرُجون بالفتاوى التي تبرّر القتل والطغيان. بل يتشابه مع ما يعيش فيه المسلمون اليوم من رغبة حكامهم في تولية أبنائهم كما حدث في دولة سرقسطة. ثم نراهم، كما هو الحال اليوم، يتخذون ألقاباً لا معنى لها، كما يتخذ طواغيت اليوم ألقاب الملوك والرؤساء والقائد الأعلى، ألقاب يتطاولون بها على شعوبهم، وهم خنازير الغرب ولاعقي أحذية النصارى، وصدق القائل:

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُـــسٍ أَلْقَابُ مُعْتَضِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِـــدِ

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَولَةَ الْأَسَدِ

نعم والله، كما قال غيره

أسدٌ عليّ وفي الحروب نَعامةٌ رَبْداء تَجْفُل من صَفير الصافِرِ

هذا هو التاريخ، للإعتبار، وهذه هي السنن لا تتخلف، فهل من مُعتبرٍ، وهل من مُدّكر؟

الحرب الفاصلة .. بين الجيش والشعب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهد الله فلا مُضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. ونصل ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

اليوم .. وغدا، في غالب الأمر، أيام "نعم للدستور .. ولا للإسلام"، ستكون حرباً بين قوات جيش الاحتلال العسكريّ المُلحد وبين الشعب المسلم "المسالم". أستغفر الله، ستكون مواجهة لا حرباً، ستكون مجزرة لا حرباً، فالحرب تكون بين فريقين مسلحين، وإن تفوق أحدهما. لكن الأمر هنا مواجهة غير متساوية الطرفين. طرفٌ كافرٌ مجرمٌ مُسلحُ، مفوّضٌ بالقتل والسَحل. وطرفٌ مدنيّ غير مسلح، تُوجّهه السلمية اللعينة الغاندية الإخوانية، التي يُشاع أنها أقوى من الرصاص!

سيُسحَل الأبرياء، ويُقتل الشرفاء، وتُغتَصب الحرائر، وتُيَتّم الأطفال. كله لأجل تزوير دستور كفريّ علمانيّ، وتمهيد رئاسة السيسي الكافر بالله ورسله واليوم الآخر، وسيطرة الصليبيين القبط على هوية البلاد وتوجيها، ومصالحة الصهاينة، وحلفائهم من الغرب، على بيع فلسطين للأبد. هذا هو سبب المواجهة.

يزعم قياديو جبهة دعم الشرعية، أبناء السّلمية الغاندية، ممن أصابهم الوهن ومزقهم الخوف، وخضعوا لأجندة الدوحة، أن هذه المواجهة، بهذه الطريقة، نصرٌ للأمة! وعجبي. هؤلاء يتحدثون عن نصرٍ من قبيل نصر 56 أو 67 الذي ادّعاه عبد الناصر، نفس المنطق. تزوير وتحوير في الحقائق.

أيُّ نصر يا دكاترة هذا الذي يموت فيه الآلاف دون أن يصاب من الخصم رجل واحد؟ أيّ نصرٍ هذا الذي تقع فيه الخسائر في جانبٍ واحد؟ هذا نصرُ الجبناء. هذا نصر المخذولين. هذا نصر الإخوان المسلمسن.

الا والله إن لم يقف لمسلمون وقفة الرجال في هذين اليومين، فإن دولة الكفر ستترس، وستتكرس في مصر لقرون قادمة.

ودعْ عنكم حديث المحافل العالمية والمحاكم الجنائية والقوانين الدولية والندوات الإعلامية، وأحاديث الجزيرة والجوادي. فهذه كلها أمور من طراز حكايات ألف ليلة وليلة، لا بصمة لها على الأرض. يتمتع بها القاعدون، ولا ينتصر بها المجاهدون.

لم يعد هناك ما يقال، فقد جَفّ الحَلق والقلم. ولم تعد هناك إلا فرصة واحدة. فإما الحياة وإما الردى.

القتال القتال .. والجهاد الجهاد.. والسلاح السلاح .. لا غيره ولا بديل عنه .. لو كنتم تعقلون.

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد

10 ربيع أول 1435 الموافق يناير 11، 2014

<u>مصر في مفترق الطرق..</u>

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهد الله فلا مُضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. ونصل ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

تقف مصر اليوم على مفترق طرق حقيقيّ. طريقان لا ثالث لهما. طريق انتصار الانقلاب السيسيّ العسكريّ الفاشيّ، وطريق انتصار المسلمين وعودة الهوية الاسلامية.

الطريق الأول هو الذي يبدو أصحابه أقوياء مسيطرون، يضربون بيد من حديد، يعتقلون، يسحلون، يبيحون الأعراض والأموال، يزوّرون ويكذّبون، يحكمون بأخس القضاة على أطهر الناس. طريق العَسكر والعلمانية والسرقة والعمالة وإفقار الشعب وتحطيم البِنْية التّحتية والفوقية، وحكم النصاري والكنيسة، والقضاء الساقط، طريق حكم الهام شاهين وخالد يوسف وليلى علوى وباسم يوسف وعمرو أديب ولميس الحريرى ومحمد سعد وبقية شلة الكفر الإعلاميّ. وفي هذا الطريق هلك غالب شعب مصر ممن تسمى بأسماء مسلمة، ثم عاد يَحِنّ لدين أجداده النصارى المثلثة، يكره المسلمين ويشمت فيهم، ويدعم النصارى والعسكر ويؤيدهم! غاية في الولاء للكفر وغاية في البراء من الاسلام.

الطريق الثاني هو طريق معارضى الانقلاب، من المسلمين لا من غيرهم ممن يتستر بالثورية العلمانية. وللأسف فإن أصحاب هذا الطريق، لا يعرفون خارطته ولا يرون بدايته من نهايته. غالب هؤلاء يعيشون في غبشٍ وضبابية. الإخوان يتعرضون، مع بقية المسلمين، لظلمٍ فاحش، لكنّ هذا لا يجعلنا نحسب أنهم على صوابٍ في نهجهم، نهج دعم الشرعية التابع لهم. فنهجهم هو ما أدى بنا إلى ما نحن فيه. لكن الظاهر أنّ قادة المعارضة[5]، لا قدرة لهم على تحديد مواطن الخلل، ومن ثمّ طريق الخلاص.

هذا الطريق الثاني، لن تتجه اليه مصر ولن تسير فيه طالما قادة المعارضة، إخوانٌ وأشباه إخوان، توَجّه طاقة الشعب المسلم في طريق "الصدر المكشوف" و"السلمية" الباردة.

عبثٌ ما يحدث. وحرامٌ ما يسال من دمٍ بلا جدوى. هؤلاء يحملون السلاح ويضربون به بلا رحمة، فيردّ عليهم الناس بالحناجر! عبثٌ ما بعده عبث، ومنهجية جبناء.

[5] كلهم بلا استثناء، بما فيهم د محمد الجوادي[5] أو د نادية مصطفى التي تدعو للجان تناقش وتحاور مسألة الوطن والتهدئة من الجانبين! أي جانبين؟ هؤلاء يعيشون في أوهام أحلام، كأنهم أطفال في الروضة لا يعلمون أنّ المجلس العسكريّ لن يستمع لهرائهم وأن لغة السلاح لا تتخاكب إلا بلغة السلاح.

أية سنّة لله هذه التي تدعم قولة محمد بديع التي خَرّب بها مقاومة مصر أنّ السّلمية أقوى من الرصاص. لا والله السّلمية ليست أقوى من أي شئ على الأرض، إلا إن كانت بين طائفتين من المؤمنين اقتتلوا. حتى في حالة الطائفتين المُسلمتين، فإنّ بغت أحداهما على الأخرى فيجب قتالها على الفور "فقاتلوا التي تبغي"، لكنّ هؤلاء كفارٌ بغاةٌ معتدون مقاتلون بالفعل، فهذه القولة لا محل لها في عالم الإسلام والمسلمين.

الطريق الآن هو أن يقوم الناس بالقوة المسلحة لحصار كافّة مراكز الشرطة ومباني أمن الدولة السيسيّة، وحرقها بالكامل، دون استثناء، ولا ينتظروا حبس النساء. عجيب والله، هل حبس النساء هو مشكلة مصر؟ لماذا لا ينطلق الناس بالجهاد؟ ما هذا القانون الذي تتحدث به المقاومة، كما يتحدث وائل الشرابي وطارق البشري وأمثالهما؟

الأمل في حمل كل متظاهرٍ لزجاجة مولوتوف أوسكين مطبخ حاد، أوهراوة أو سلام ناري إن وجد. الحلّ لن يكون سلمياً يا إبناء مصر. لا تركنوا إلى جبناء الجبهة وساقطي الاخوان فهؤلاء لا لا يقدرون على التصريح حفظاً على أنفسهم.

أوقعنا الاخوان أولاً في شَرَك الديموقراطية، فتابعناهم، ففشلوا وذهبت ريحهم. ثم هم اليوم يوقعونا في شَرَك السلمية، فسدّوا علينا ريحنا. فهذا ما نحن فيه هو خراج الإخوان وبلاؤهم على المسلمين وما أصاب الإسلام على يديهم.

الأمر الآن هو أنه إمّا أن تخرج البقية الصالحة من المسلمين فتضرب بيد من حديد، لا تبقي ولا تذر، وتتحمل القتل فهو أمرٌ مقدور سواء خرجوا بسلمية أو بغير سلمية. وإما لنتحمل تحوّل مصر إلى النصرانية رسمياً، وإلى العلمانية رسمياً، وإلى الكفر رسمياً، وإلى تطهير مصر من الاسلام في كافة أوجه الحياة.

يناير 12 2014

الاسلامية لا السلمية .. فادفعوا الصائل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهد الله فلا مُضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. ونصل ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

من الثابت اليوم أنّ تجدي التظاهرات العشوائية في الطرقات كثيراً، فقد رأينا ذلك على مدى سبعة شهور، كما أنّ تكلفتها من النفوس مرتفعة جداً دون أيّ نكاية في العدو الصائل.

أود أن أوجّه الشباب إلى ما يجب أن يتبعونه في الأيام القادمة.

1. أنّ يعرف الشباب أنّ المواجهة المفتوحة، سلاحاً بصدر، لن تكون نتيجتها إلا المَزيد من القتلى على جانبهم، وهو ما لن يُحرّك ساكناً عند قوات الإحتلال أو عند الخارج الصليبيّ الأمريكيّ الغربيّ، ولو قُتل مليون شهيد.
2. أن يصرِف الشباب ساعات أو أيام في تحديد أماكن منازل الضباط، سواءً في الجيش أو الشرطة، والإعلاميين والقضاة الفاسدين.
3. أن ينسى الشباب مقولة "سلميتنا أقوى من الرصاص" فهي والله قولة باطلة شكلاً وموضوعاً. بل السلمية تكون في دولة الشرع المحكومة بالشريعة الله، فلا يصح الخروج بالسلاح على ولاة أمورها، لا في دولة كفرٍ يحكمها علمانيون فاسدون كافرون ظالمون.
4. أن يقوم القاطنون في كل منطقة بمسؤولية من هم في منطقته من الضباط. فيتجمْهر مجموعة كبيرة منهم حول هذه المنازل، معاً في وقتٍ واحدٍ. وهذا سيجبر هؤلاء الضباط أن يتركوا أماكنهم في مناطق المواجهة ليحموا بيوتهم، وهو ما يفتح الباب أمام بقية الشباب من فتح الوزارات ومقرات الأمن والقضاء على الإنقلاب.

5. أن يتذكر الشباب المسلم دائماً أنّ الإخوان، وإن كانوا شركاء في المحنة اليوم لا شك، فليسوا شركاء في المنهج، كما هو ثابتٌ في وسائلهم التي لا تتميز كثيراً في موضوع تبنّى الإسلام حكماً، وإن كانوا أطهر يداً من كفار الانقلاب. فالثورة القادمة يجب أن تكون إسلامية، لا شرعية دستورية كالتي يمن بها الإخوان. وليكن لكم دليلٌ ما عليه إخوان دمشق الذين يقفون ضد جهاد الأحرار في الشام، وفي مواقف إخوان اليمن والمغرب وتونس، فكلهم سواء، ينحرفون عن الشريعة، فيصيبهم الله بما يستحقوا، فيلعبون دور الضحية، فتَرقّ لهم قلوب العوام، ثم تعود الدورة من جديد.

وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

17 ربيع أول 1435

يناير 18 يناير 2014

<u>الإسلام باقٍ يا أهل الردة!</u>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما نراه في مصر اليوم، هو محاولة واضحة حقيقية صريحة للقضاء على دين الإسلام السُنيّ الصحيح، بل وعلى الدين "الوسطيّ" الإخوانيّ البدعيّ، على الإسلام بكل أشكاله وأنواعه، بكل شعائره وشرائعه، بكل أخلاقياته وأدبياته.

هل حدث هذا بالفعل؟ هل هذا قد تحقّق على أرض الواقع؟

بالقطع لا. الإسلام دينٌ لا يمكن لعصبة ملحدة، وشرذمة مرتدة عاهرة خربة، أن تقضى عليه. هذا من خيبة الشرذمة العاهرة وغرورها وتكبرها.

لكن الحقيقة أنّ من يُقضى عليه اليوم هم من تساهلوا في دين الله، لا دين الله. دين الله لا يُقضى عليه، لأنه "وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا"الكهف29. هذه هي خلاصة القول. الحق هو من ربك، لا يمكن أن يزول، لكن إرادة الله الشرعية تركت للناس الخيار، وهدتهم السبيل "إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا"الإنسان 3.، ثم أملت لمن اختار طريق الضلال، كالسيسي، ومن اتبعه من شعبه، ناراً لا فكاك منها، ولو حشدوا لها داخلية الأرض وجيوش العالم.

كتبنا من قبل أن جيلنا هذا هو جيل الإستبدال، وأنّ جيل التكين قادمٌ من بعده. وهو ما نراه اليوم. لم يقبل الله عذر الإخوان، ولم يقبل عذر المبتدعة، خاصة والفساد والردة قد شاعت وغلبت، فتركهم يتساقطون، ويُستبدلون. وإن كان قد سقط، وسيسقط في الطريق، شهداء لم يكونوا من المُبدّلين المبتدعين أتباع النهج الإخوانيّ، فهؤلاء قد اتخذهم الله كرامة لهم، هنيئاً لهم بما هم فيه من جنات النعيم.

يصف البعض ما نحن فيه أنّه محنة للإخوان! لا والله ليست بمحنة ولا اختبار إلا عند الجاهل بسنن الله تعالى. فالمحنة والابتلاء تأتي حين تأتي وفق مشيئة الله الكونية، دون تدخّلٍ من المشيئة الإنسانية قط، كالمرض والفقر وموت الولد. أمّا إن كان العبد ضالٌ مبتدع منحرف عن نهج الله وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو ليس ابتلاءً بل هو جزاء وفاق لما ارتكبته أيدى الناس. فكفّوا عن العمى وانظروا إلى الحقيقة، لعلكم ترحمون في الآخرة، بعد أن فقدتم الدنيا.

الإسلام يهدى الناس إلى كلّ خيرٍ، سواءً في حياتهم الخاصة أو في اجتماعهم، فلا محل لزواله أبد الدهر. هي فقط محنة أهله لا محنته.

الإسلام باقٍ، والمتساهلون زائلون، والمبتدعون زائلون، والكفرة والمرتدون زائلون، يبتلي الله بعضهم ببعض، فيضرب المتساهل المبتدع بالمجرم الظالم، ثم يتساقطا.

لقد أنتج عمل ستين عاماً من الفساد والبغاء والردة والعهر والكفر البواح، شعباً مهووساً مخبولاً، يستحى الجهل أن يوصف به، وتستحى النذالة أن تُلصق به. عهر ما بعده عهر، وخساسة ما وراءها خساسة. كيف ومتى تكوّن هذا الشعب الملعون؟ مكر الليل والنهار، مكر اثنتي وعشرين ألف وستمائة ليلة، منذ تولى الهالك عبد نفسه في 1954. ليلاً ونهاراً، صبحاً ومساءً، حتى نشأ هذا الشعب المشوه المدعو بشعب السيسي، بلا كرامة ولا رجولة ولا نخوة ولا دين ولا خُلق من أيّ نوع كان. شعبٌ تفوق على نفسه في الخسة والوضاعة. وهم الشعب الأكثرية مع الألم والحسرة.

سينشأ من ضئضئي هذا الجيل اللعين، جيلٌ، إن شاء الله، هو جيل التمكين، هم هؤلاء الشباب الذين نرى تصميمهم على المضيّ قدماً رغم التهديد والقتل والوعيد. لكن الشرط الوحيد، هو التبرؤ من القادة الجبناء، ومن نهجهم الملتوى المخنث، ومن قاعدة "المشاركة لا المغالبة" ومن "سلميتنا أقوى من الرصاص"، ومن كل تبعات ذاك الجيل المندثر، الذي أضاع الأمة، وجلب الغمة، وجعلنا أقل من الرمة.

ليس في أعناقنا للجبناء المتساهلين الساقطين اليوم إلا الدعاء لهم بفك الأسر، لا غير، فهم من أذلونا وخذلونا، ثم اعتذروا عن موقعة الجمل، وكأن انحرافهم كان في موقعة الجمل لا غير! لا والله لقد كان انحرافهم في كلّ عقيدة نشروها، وكل تربية ذليلة اعتمدوها، وكل محاولة توسط ومشاركة بين الإسلام والكفر انتهجوها.

ستكون سنين عجاف، كثيرة متلاحقة، ينخل الله فيها الضعيف من القوي، والمؤمن من المنافق، والسنيّ من البدعي، والسلفيّ من البرهاميّ، ثم تنشأ بعدها أجيال نسأل الله أن تكون مستحقة للنصر وقتها، لا وقتنا.

31 يناير 2015

المشيئة والعلم والعدل في ميزان الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد يرى البعض في هذا البحث ترفاً عقلياً، أو خروجاً عن سياق الواقع ومجرياته والبعد عن تفاعلاته. إلا إننا نوجه النظر إلى أمرين هامين في هذا الموضع، أولهما أنّ إرادة الباحث كثيراً ما تُحدد نظرية البحث من عمليته. والثاني أنّ استعمال البحث ووضعه موضع التطبيق هو معيارٌ آخر من معايير تقييم جدية البحث وقيمته على أرض الواقع. وقد ظلت أبحاث "النسبية العامة والخاصة" التي تتعلق بالعلاقة بين الكتلة والسرعة والطاقة، سنوات على رفوف الكتب، بعد أن أصدرها آينشتين، حتى وُضعت موضع الاستعمال في مجال الطاقة النووية، بالخير أو بالشر.

والمشيئات التي وردت في أقوال السلف، والتي يستدل عليها العقل في هذا السياق، ثلاث، المشيئة الكونية، والمشيئة الشرعية، والمشيئة الإنسانية. ومحصلة هذا ثلاث ثنائيات، يظهر للعين العَجلة أن قد يقع بينها تعارض يُسقط أحداهما، المشيئة الكونية في مقابل الشرعية، والمشيئة الشرعية في مقابل الإنسانية، والمشيئة الكونية في مقابل الإنسانية.

أما المشيئة الكونية فهي التي بمقتضاها تقع الأحداث في العالمين، وبدونها لا يقع أمرٌ في السماء ولا في الأرض. فكلّ ما يقع من حوادث إنما هو خاضع لهذه المشيئة إن أرادت إنفاذه نفذ وإن أرادت إيقافه لن ينفذ، فلا مهرب منها ولا معدل عنها. وهذه المشيئة مقدرة حسب قانون الأسباب والمسببات، إلا إنها لا تتقيد بها حين تريد إنفاذ أمر صاحبها سبحانه وتعالى، كما يحدث في المعجزات، كنار إبراهيم وشق البحر لموسى عليهما السلام. وهذه المشيئة لا يخرج عن مقتضاها مسلم ولا كافر، تقيّ ولا فاجر، إنسٌ ولا جان، شجر ولا وبرٌ ولا نباتٌ ولا حيوان. قال تعالى "وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ" التكوير 29.

وهذه المشيئة الكونية تقوم على العلم المطلق والحكمة المطلقة وسائر الأسماء الحسنى والصفات العلية. فإن الله سبحانه حين خلق الخلق، علِم ما سيكون منهم "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ" الملك14، علماً مطابقاً للحقيقة بلا انحراف. ثم أثبته في الكتاب كما سيكون، ولو شاء لغيّر فيه وبدّل، لكنه تركه كما ثبت في علمه المطلق، ليكون حجة على الناس "وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا" يونس99. وقد ربط الله العلم بالقضاء في الكثير من آياته، ومن ثم، فإن كلّ ما يحدث من بنى آدم هو بحسب مشيئة الله الكونية، التي لو أراد سبحانه لبدلها، لكنه تركها وأثبتها في الكتاب، واستحال أن يكون غيرها، لمطابقة علمه ما يقع. وهو سبحانه إنما ترك ما عَلِمَ على ما هو عليه لحكمة سابقة هو أعلم بها، وهي تستلزم الخير والصلاح والحق المطلق. كما أنها تستلزم الرحمة بعباده، وتستلزم النقمة على من كفر به، فهو الجزاء الأوفي لمشيئتهم. وهذا مدار العدل المطلق بلا خلاف.

أما المشيئة الشرعية، فهي ما أراده الله سبحانه لعباده، وما وصّاهم به وكتبه عليهم وارتضاه لهم، مبيناً لعباده الطريق الصحيح في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وهذه المشيئة، أو الإرادة هي توجيه من الله سبحانه لمن أراد النجاة في الدارين، لكنها ليست حتماً مُلزماً لهم، بل لهم اختيار أن يُسلموا أو أن يكفروا "وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ". ومن هنا فإن من خالف هذه الارادة الشرعية، فقد خالف أمر الله تعالى واستحق العذاب، ومن أطاع هذه الارادة فقد استحق الثواب في الدارين. ولكن الاختيار في الحالتين هو للمكلّف ذاته، لا دخل لمشيئة الله الشرعية فيه، من حيث هي توجيه وهداية. ومن هنا كذلك، فإنه يمكن أن يكون من المكلّف ما لا يرضاه الله ولا يريده شرعاً، وإن كان موافقاً لما يريده الله ويشاءُه كوناً.

وأما المشيئة الإنسانية فهي إرادة الإنسان الحرة في اختيار أفعاله التي تتماشى مع مشيئة الله الكونية، إذ علمها الله في علمه السابق، ودوّنها كما اختارها بنى آدم، وهو معنى كتبها عليهم، لا إملاءً بل تقييداً، والتي بموجبها هو حرّ مُكلّفٌ، مثابٌ أو معاقبٌ، لا جبر عليه في أفعاله.

وفي التداخل بين هذه المشيئات، سقطت فرق وزلّت أقدام علماء على مدى تاريخنا الإسلامي، بين جهمية جرّدوا الانسان من كلّ مشيئة وجعلوه مسّيراً في كلّ أفعاله فأسقطوا حكمة الثواب والعقاب، وقَدَريّة أطلقوا للإنسان إرادته ومنعوا الله سبحانه – حاشاه - من أن يكون له مشيئة مع العبد ليبرّروا الثواب والعقاب، وأشعرية وقفوا بين الفئتين بما أنتج فرقة ثالثة تقول بمستحيل وهو ما أسموه "الكسب". فالتداخل بين هذه المشيئات إذن هو الذي يولّد الحيرة وسوء الفهم والتصور، ليس فقط من الناحية النظرية، بل كذلك من الناحية العملية التطبيقية في حياة المسلم كما سنبيّن.

ثنائية المشيئتين الكونية والشرعية:

وكلتاهما لله سبحانه، ولا تعارض بينهما، إذ بموجب الأولى هو ربّ العالمين، ربّ السموات والأرض، خالق كلّ شئ، والعالم بكلِّ شئ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهو سبحانه، بموجب الثانية، إله الناس الذي يجب أن يَخضع له الكلُّ بقلوبهم وأعمالهم، واليه يتوجهون بالدعاء في الشراء والضراء، يتقبلون هداه، ويعملون بشرعه، فيما يخصهم أفراداً وجماعات.

ثنائية المشيئتين الشرعية والإنسانية:

وقد تتعارض هاتين المشيئتين، فالله سبحانه يريد للإنسان أن يهتدى، وأن يتّبع الشرع، وأن يكون مسلما له طائعا لأمره، لكن الإنسان هو صاحب القرار فيما يفعل وبما يقتدى، إما شاكراً وإما كفورا. فما يفعل هو حسب قراره وحده، وهو محصيٌّ عليه محاسبٌ عليه، لا فرار له منه. فالأولى إتباع المشيئة الشرعية لأنها الهدى والحق، وغيرها الضلال والفُجْر. ومن لم يفعل فأولئك هم الخاسرون.

ثنائية المشيئتين الكونية والإنسانية:

وهنا مربط الفرس الذي يجب أن يعيه كلّ مسلم، يريد أن تصح تصوراته وتستقيم عقيدته على النهج السنيّ. فإن الناس كثيراً ما يتساءلون "إن كانت هذه إرادة الله فما نفعل نحن إزاءها؟" كما أن كثيراً منهم ينسب خطأه وسوء تقديره للمشيئة الكونية "هذه إرادة الله وهي نافذة" فيرفع عن نفسه اللوم، بنسبة الفشل إلى مشيئة الله سبحانه لا إلى سوء تقديره هو وتدبيره.

والحق أن المصائب التي تصيب الناس تنقسم إلى أنواعٍ ثلاثة، أولها ما ليس للمشيئة الإنسانية أي دخلٍ فيها على الإطلاق، مثل أن يصيب الإنسان مرضٌ دون إهمالٍ منه في صحته، كالسرطان أو فيروس سي، أو ما شابه، أو فقد أحد الأبناء بقتل أو حبس أو خلافه، أو حتى الشوكة يشاكها لا يقصد أن يُشاكها. وثانيها ما يكون الفعل الإنسانيّ هو السبب في البلوى، كأن يأخذ الإنسان راتبه فينفقه كله في يومين، سواء في حرام أو مباح، ثم يجلس يندب عسرة حظِه وعجزه. أو أنْ يستهين بعمله فلا يؤديه على الوجه المطلوب، فيكون مصيره الفصل. ثم الثالثة، وهي ما يختلط فيها النوعان، فيكون فيها تصرّف للإنسان، لكنه لا يستدعى حجم المصيبة التي استتبعته، مما يكشف فيها يد المشيئة الكونية بدرجة من الدرجات.

أمّا **النوع الأول**، وهو ما ليس للمشيئة الإنسانية أيّ دخلٍ فيها على الإطلاق، فهذا محضُ الابتلاء ومعناه على الحقيقة، وهو ما يستدعى الصبر والشكر، وإلا كانت الخسارة مضاعفة، لأن الأمر فيها لله وحده، إذ علم سبحانه بوقوعها، وكتبها عليه، ولو شاء لمنعها، فلا مجال لتلافيها، وشاء أن تنزل على العبد لتبتليه. وهنا محض الاستسلام للمشيئة الكونية والرضا بالقضاء، يتميز فيه العبد بإيمانه، أو بكفره.

أما **النوع الثاني**، فهو يقع بمحض اختيار العبد[6]، فلا محلّ للإبتلاء فيه. بل هو عقاب يقع على العبد، بسبب سوء فعله وانحراف قصده وعدم أخذه بالأسباب التي وضعها الله سبحانه لتسير عليها أمور الدنيا. فتَصَرُف العبد بما لا يتمشى مع السّنن هو في حقيقته مخالفة لأمر الله ومشيئته الشرعية، إذ الشرع قد بنيَ على تسلسل الأسباب والنتائج[7]، إلا ما كان في حال المعجزات. فإن خرج قومٌ مثلاً يواجهون قوة مسلحة بلا عدة ولا عتاد، بصدورهم العارية، لم يكن هذا ابتلاءٌ من الله، بل سوء تقدير من العبد، إذ لم يأمر الله سبحانه في مشيئته الشرعية بمثل هذا الأمر. لكنّ الناس يحبون أن يَنسُبوا فشلهم وبلواهم للإرادة الإلهية ليرتاحوا وتطمئن نفوسهم، وما هي بذاك. ولكن يجب التنويه هنا إلى أنه إن أساء العبد التصرف، ثم أصابته المصيبة، فصحح النية في استقبال الحدث والمصيبة، ورضى بعواقب ما جنت يداه، صارت له منها حسنات، بدلاً من أن تضيع عليه هباء منثوراً. وهذا من رحمة الله بعباده، أن فتح لهم باب تصحيح النية وتعديل القصد، فيا لها من رحمة ويا له من عدل.

أما **النوع الثالث**، والذي يكون فيه للعبد نوعُ اختيار، لكنه محدود، فإذا بنتائجه تتجاوز حجم فعله واختياره، فهذا الذي فيه ابتلاء من ناحية، وعقاب من ناحية. وهو الذي يجب على المرء أن يدركه وأن يرى ما أساء فيه الاختيار، ليُصحح اختياره فيما يأتي من أفعال، ثم يُسلم لله ويتقبل قضاءَه فيما تراكمت به المصائب على رأسه مما لم يقصد اليه. وهذا الأمر يحتاج إلى بصيرة ثاقبة، وتحليل دقيق، وشجاعة في مواجهة النفس، والاعتراف بالخطأ.

في هذا الإطار من التصور يجب أن يتحرك المسلم في الحياة، يؤمن بقدر الله الذي سينفذ لا محالة، لكنه يؤمن كذلك بأنه هو نفسه شريك في هذا القَدَرْ بالقَدْرِ الذي سمح له الله سبحانه به، وأطلق فيه اختياره. وهو مجال الأخذ بالسبب على تمامه، ثم التسليم لله سبحانه.

ولا بد، ونحن نمرّ بمرحلة في تاريخنا الحديث تمتلئ بالنكبات والمصائب والفشل، أن نصحح تصوراتنا عن مسؤليتنا فيما يحدث للأمة، أفراداً وجماعات، حتى لا نغضى الطرف عن قصورنا، وننسبه لمشيئة الله، وكأننا لا علاقة لنا بما يحدث ولا يد لنا فيه، وهو مقتضى قول الجهمية، الذي يجرّد الإنسان من اختياره بالكلية، فلا يكون له حافز على تصحيح عملٍ أو مراجعة نفسٍ.

---

[6] وإن كان في نهاية الأمر موافقاً للمشيئة الكونية التي لا يحدث في الكون أمر إلا حسبها ووفقها لعلم الله سبحانه المسبق بوقوعها وإقراره سبحانه لها، ومشيئته أن تنفذ حسب علمه بها.

[7] راجع سلسلة "مفهوم السببية" التي دوناها في عام 1986، http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-75، http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-76، http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-77، في أجزاء ثلاثة.

وينطبق هذا على ما نرى من أحوالنا في مصر، حيث أدخل الإخوان في روع الناس أن واجبهم يقف عند رفع أصابع أربعة، واتلاف الحناجر بالهتاف، وكفى الله المؤمنين القتال! كما ينطبق على ما يحدث في الشام من تناحرٍ بين المجاهدين، بسبب من أنفسهم لا من الله سبحانه.

هذا ليس أخذ بالأسباب، كما أنّ نتيجته ليست محض قدر الله المكتوب علينا، ولا هو ابتلاء لنا، بل هو نتيجة عملنا الفاسد القاصر، ونتيجة نظرنا لحظوظ أنفسنا وسوء اختيارنا، ومن عملنا سُلّط علينا.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

حين يُسفر الكفر عن وجهه ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا شك أنّ عنوان النظام القائم اليوم في مصر هو أنه "جمهورية مصر الكفرية"، إذ لم نعرف، ولا أظن أن أحداً عرف من قبل طفاً أسفر عن وجهه وبرز واضحاً صريحا يعلن عن نفسه بلا حياء ولا مواربة.

وليت هذا الكفر كفراً عادياً، بل هو خليطٌ من كفر كفر كلّ الأمم التي دمرها الله بكفرها. فقوم لوطٍ قد دمر الله عليهم بسبب الفسق واللوط، وغيرهم بسبب تطفيف الميزان والسرقة، وغيرهم بسبب الطغيان وقتل الأنفس بغير الحق، وغيرهم بسبب الاستعلاء والتكبر، وغيرهم بسبب استعباد الخلق.

لكن كفر مصر اليوم قد جمع كلّ هذه الأشكال، من لواط وخنوثة وسرقة واعتاء على الأنفس والأموال الاستكبار والطغيان على الضعفاء. ثم زاد عليها الخساسة والجهل ووِلاء الأعداء ومحاربة الأصدقاء ونذالة الطبع وانعدام الكرامة والنخوة والرجولة، والكذب والنفاق، في أعلى صور هذه الكفريات.

الكفر الذي يواجهه المسلمون اليوم في مصر لا عهد للناس به، بلا مبالغة أو مزايدة أو تشنيع.

هذا اللون من الكفر قد تجذّرت أصوله، وتشعّبت فروعه فشمل كل مناحي الحياة الإجتماعية، والثقافية والاقتصادية والسياسية. بل وشَمل المؤسسات الدينية التي كان من المفترض أنها تحمى الدين وتنتصر له.

وهو كفر اجتمع في غرضه مع غرض الصليبية القبطية في إعادة مصر لعصر النصرانية قبل الفتح الإسلاميّ، وإعادة سيناريو الأندلس قديماً، والنصيرية السورية حديثاً، حيث تسيطر الأقلية القوية بالحديد والنار، حتى يتم تغيير عقيدة الغالبية، ثم اجتزاز البقية الباقية. والحقّ أن عقيدة الغالبية المصرية قد تبدّلت بالفعل، فكفروا بالله رباً، واتخذوا البيادة السيسي إلهاً، ورقصوا على رفات الإسلام في مصر. فالسيناريو الأندلسيّ أقرب للتحقيق من سيناريو سوريا، إذ تحوّلت الغالبية الشعبية في مصر، لا ما يطلقون عليهم النخبة فقط كما يشيع البعض، إلى الردة الصريحة.

الحسرة في أنه لا زال على مسرح المقاومة الإسلامية الضعيفة الباقية من يتمسّحون في السلمية، وفي المفاوضات، وفي المطالبة بالعودة إلى الديموقراطية المجيدة، وفي الرجاء ببقايا "القضاء الشامخ"، وفي الأمل في بقايا "شرفاء الجيش والشرطة"! هذه والله غفلة أنكد وأغبى وأشدّ خكراً على الإسلام من عناصر الردة الصريحة. الجيش الشرطة ليس فيهم شرفاء، والقضاء قد تمّ"القضاء عليه بتاتاً منذ عصر مبارك، بتدجينه بأبناء الأفاعي المرتشين من القضاة. والإعلام بطبيعته أداة الردة الفاعلة التي تنشر الفساد وتفتن العباد، ليلاً ونهاراً. وهذه هي أدوات الكفر، عسكرية وقضائية وإعلامية "سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ" الأعراف 116.

المشكلة تكمن في خراب عقيدة وتصورات القيادات البائدة في العمل الإسلاميّ، والتي لا تزال فلولها تحاول التحكم في مسيرة الشباب اليوم، وفي تشكيل تصوراتهم، ومن ثم تصرفاتهم. هذه القيادات يجب أن تعتزل أو أن تُعزل دون توانٍ. يجب أن لا يبقى رأس من الرؤوس التي شاركت في الفشل المزرى منذ يونيو 2012 إلى يونيو 2013، عام الفشل الإخوانيّ، يتصدر مشهداً بأي شكلٍ من الأشكال.

يقول البعض أنّ الإخوان يقدمون التضحيات الآن، جهل وتضليل أحلام وسفسطة. إنهم إنما يدفعون ثمن الخيبة والفشل، ثمن فقر التجربة وضعف البصيرة، ثمن عدم الاستماع إلى النصح الذي ذبحت حناجرنا في اسدائه اليهم، أن عودوا إلى الجماهير وأكملوا المسيرة، فأبوا إلا الديموقراطية والقانون ودولة القضاء والمشاركة لا المغالبة. طريق لا يسير فيه إلا فاشل مُختل، لم يعتبر بتاريخٍ، ولم يؤمن بسنن. وهذا لا يعنى عدم دعاءنا لهم بالنجاة من أيدى الطغاة، لكن يعنى استيعابنا للدرس وعدم السماح بأن نلدغ من جحر مرتين. ولعل المنصف المطّلع يعرف ما كنا ندعو اليه منذ الشبعينيات، من الحذر من الردة العامة، ممن كفر حكام مصر وحكمها، وكنا نلقى أيامها الأمرين، لا من النظام وحده، بل من الإخوان، الذين كانوا يطلقون علينا "التكفيريين"، أيّ والله، حتى بانت لهم ردة الناس حقاً وردة الحكام حقاً. والمهزلة أننى أشك أنهم حتى لحظتنا هذه يعتقدون أن هؤلاء المرتدين هم "إخواننا بغوا علينا!". جهل وتضليل أحلام وسفسطة، والتواء بالدين وتلاعب بحقيقة التوحيد وابتداع في الشرع.

الحلّ اليوم ليس في أن يعود الإخوان إلى الحكم، فهي كارثة محققة، بل هي أمرٌ مستحيل، اعتباراً بمنهجهم التنازليّ. بل اللّ يكمن في وعيّ إسلاميّ متكاملٍ يرى الردة السائدة اليوم، فلا يُسبغ عليها مسوح إسلام. يعرف التوحيد ومن ثم يعرف نقيضه، ويراه أمامه، فيتجنبه أولاً ويحاربه ثانيا، حربا لا هوادة فيها.

الحرب اليوم بين الإسلام والردة حرب بقاءٍ أو فناء. حربٌ ستملى نتيجتها على مصر شكلاً من أشكال العقيدة، تحيا بها لقرون قادمة، إما أن تكون مصر نصرانية صليبية يرتفع الصليب في أنحائها، ويقتل فيها كلّ مسلمٍ، وإما أن تكون إسلامية ترتفع فيها راية التوحيد، على أشلاء مئات الآلاف من المسلمين المجاهدين الشهداء.

هذا خياركم يا شعب مصر المسلم، في مواجهة شعبها المرتد.

6 فبراير 2015

<u>حان وقت العمليات الجهادية يا شباب مصر</u>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخيراً، بدأت المواجهة الحقيقية بين الإسلام والكفر .. هذا هو ما كان متوقعاً منذ حركة 25 يناير. جيش الإحتلال المصريّ الكافر بدأ عدوانه على شعبٍ بكامله. لا والله لم نر هذا في تاريخ العالم الحديث، ولا على يد هتلر، الذي كان يقتل أقلية صهيونية، لا أكثرية شعبه، كما يفعل هذا المُلحد الحيوان السيسيّ الخسيس، وأذنابه وجنده.

لم يعد هناك رجوعٌ الآن يا شعب مصر .. إمّا الحياة وإما الردى. إما الحياة بحرية في ظل الإسلام، وإلا الردى بشهادة في سبيل الله.

الخروج الآن يجب أن يستمر بشكلٍ مستمرٍ، ومهاجمة أقسام الشرطة وقوات الجيش ومنشآته ومباني المحافظات في كل مكان. احرقوا كلّ مقارات الجيش والشرطة. أقيموا حد الله على من يقع في أيديكم. أقسم بالله أنكم إن لم تفعلوا فسيتأخّر نصر الله عنكم. إجعلوهم عبرة وإرهاباً ولا تعيدوهم لأيدي الكفار. لا تكونوا مثاليين في عالم إجرام وإلحاد. لم يعد الوقت وقت مثالية، بل وقت عنف وقتل وجهاد.

ولا تهتموا بمن وقع شهيداً، فهؤلاء أحياءٌ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم ربهم. ما يهم اليوم هو الإستمرارية في الجهاد ضد كفار العسكر.

قلنا من قبل انّ السلمية لن تجدى. والآن رأيتم يا شعب مصر أنّ السنن الإلهية لها طرق لا تتخلف، ولا سبيل إلى تجنبها. وسنة الله في الثورات هي المواجهة والعنف والقتل، حتى النصر.

لعلكم اليوم، يا رجال الإخوان، أدركتم بشاعة ما فعلتم من سيرٍ في طريق الديموقراطية، التي أودى بحياة الآلاف اليوم. لقد أضعتم فرصة بعد حركة 25 يناير مباشرة. ثم أضعتم الثانية عقب انتخاب محمد مرسى مباشرة. ثم أضعتم الثالثة بالسير على نهج السلمية بعد 30 يونيو. فمتى تدركون أنّ الجهاد هو السبيل الأوحد، بعد أن تمت مرحلة الحشد؟ أم هذا هو مصير الإسلام في مصر. أن يُقضى عليه بيد السيسي والبرادعي والببلاوى؟

اليوم، يجب تجنيد الآلاف لحركة مُمَنهجة منظمة تستهدف القضاء على أفراد الشرطة بلا رحمة، وبلا استثناء. حركة تستهدف مراكز تجمعات جيش الإحتلال المصريّ، وأفراده دون رحمة ولا استثناء.

مصر يجب أن تتحول إلى سوريا. ليس هناك خيارٌ آخر، أقولها لكم الآن، بعد أن ردّدتها عدد شعر رأسي. لا يواجه العنف إلا بالعنف. لا يواجه الشر إلا بالشر. لا يواجه السلاح إلا بالسلاح.

فاجمِعوا أمركم يا شباب الإسلام، ونظموا صفوفكم، وابدؤوا العمليات القتالية منذ اليوم. ولتخرج الجموع للسيطرة على مقار الحكومة ومراكزها في كافة أنحاء مصر، على التوازى مع عملياتكم القتالية.

لا مجال التراجع اليوم، ولا مجال للتفاوض، ولا مجال للتهاون .نصركم الله.

7 فبراير 2014

السرورية .. في الميزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل أن نتحدث عن السرورية، أو أي اتجاه ايديولوجي آخر، باستثناء دين الإسلام، يجب أن نقرر أنه لا يمكن الفصل بين دعاة هذا المذهب وبين تصوراته وأسسه. فمؤسسي أي مذهب أو فرقة هم من يملون مبائدها ويؤسسون قواعدها ويطرحون تصوراتها. فمن هنا كانت شخصياتهم وطبائعهم أداة حاسمة في فرقتهم ومذهبهم.

ومحمد سرور ليس بدعاً في ذلك.

فإن السرورية، إن صحّ أن هناك مذهب متكامل يمكن أن يُطلق عليه هذا الوصف، هي صنيعة هذا الرجل، منذ الستينيات. والرجل إخوانيّ أصلاً، وتصوراً وعقيدة ومنهجاً. ثم إنه، بطبيعته، يحب الخفاء والتدسس، لسابقته كضابط استخباراتي في سوريا. وقد قضيت معه ما يقرب من ثلاث سنوات لم أعرف، على وجه اليقين، أنّ لهم تنظيماً إلا بعد أن عرض الرجل عليّ بيعتهم. كما أنّ الرجل يعشق السياسة، بمعناها الوضعيّ، ويعتمد في كلّ ما يصدر عنه على ما يجمع من أنباءٍ وأخبار، وهو ما لا نراه سيئة أبداً، إن اجتمع هذا في بوتقة التحليل مع علمٍ شرعيّ مكين، وتوجه أصوليّ ركين. وهو ما يفتقده سرور إلى

درجة كبيرة، يلحظها القارئ لما صدر عنه من كتب، بل لحظها بعض تلامذته، وأسروا لي بها في أحد الموتمرات بدنفر، كولورادو، في أوائل التسعينيات.

والحقّ أنني لا أتفق مع من أتى بهذا الإسم، علماً على اتجاه بن سرور. فإنّه لم يأت بجديد في واقع الأمر، يغاير ما عليه الإخوان، إلا من حيث عمق الدراية بالأحداث السياسية، وتحليلها والاعتماد عليها فيما يقرر.

وقد شاع أنّ التيار السروريّ يتبنى الفكر القطبيّ ويتمحور حول فكر بن تيمية. وهذا خطأ عظيمٌ وقع فيه كثيرٌ ممن حاول تحليل هذا المذهب وفهم أصوله. فالحق أن نشأة هذا الإتجاه، كانت في العربية السعودية، بعد نزوح محمد سرور لها عقب تفكك علاقته مع الإخوان، ثم بعد أن رفض إعلان الجهاد ضد النظام السوريّ عقب مجزرة حماة، وانفصل نهائياً عن الإخوان. ومن هنا، فإن الفكر السروريّ لم يكن ليتقدم خطوة إلى الأمام في الجزيرة، وفي نجدٍ خاصة، إن لم يتبنى نهجاً سلفياً، مسايراً لمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب. لكنّ التوجه الحقيقيّ كان مضاداً للسلفية السنيةّ الرشيدة، من حيث حاول بن سرور أن يمازج بين الفكرة الإخوانية التي تربى عليها، وبين الفكرة السلفية التي تتبنى فكر بن تيمية، والتي التزم بها نتيجة البيئة المحيطة. أمّا فكر سيد قطب، فقد كان، حتى ذلك العهد، فكراً نظرياً يستحوذ على فكر الشباب الذين اعتمد عليهم بن سرور في بناء حركته، واكتساب ثقتهم به، والأهم، دعمهم له.

أمّا من حيث التصور العقديّ والحركيّ للحركة، فإن هذه المدرسة هي مدرسة إخوانية صرفة، تتبنى على التصور الإرجائيّ في التعامل مع الحكام، وتصور الحاكمية، ومفهوم التكفير، وما إلى ذلك من تصوراتٍ عقدية، ترى إسلام الحاكم بغير ما أنزل الله، ولا ترى بأساً في النهج الديموقراطيّ. ومن ثمّ، جاء موقف هذه الشلة الذين ينتمون، أو نسبوا، إلى السرورية، من الحركات الجهادية بشكلٍ عام، وقف بن سرور وجماعته موقفاً مخزياً من الحركة الجهادية في الجزائر، وشنّعوا عليها. ولا يغرنّك ما كتب في بعض كتبه عن منهج تكفير الحكام وما إلى ذلك، فقد كان ذلك ردة فعلٍ لموقف السعودية منه، حين أخرجته من أرضها.

وقد يتساءل البعض، كيف يتأتي هذا الموقف من الحركات الجهادية، مع التوجه النظريّ للحركة السرورية، بين سلفية وقطبية وإخوانية، إن صحت التعابير؟ والجواب يكمن في الشخصية المتشابكة الأبعاد لمؤسس الحركة. إذ إنه لم يقدم الرجل أيّ تجديد للحركة السلفية، ولا للحركة القطبية، ولا للحركة الإخوانية! بل خلط بينها جميعاً خلطة مقيتة غير متوازنة، نتجت عن عدم وجود رؤية حقيقية متكاملة لديه، بل ولا إخلاص لفكرة واحدة منها. بل صارت تتشكل حسب معطيات الواقع الذي يعيشه في ذاك الوقت. وهو كذلك يفسر التضارب الشديد بين أتباع حركته، بدءاً بسليمان العودة، وختاماً بناصر العمر. وقد وضح تأثير المنهج المختلط في بعض ما كتب صديقه وملازمه محمد العبدة في بعض مقالاته، قدحاً في الجهاد وأهله، وما آل اليه أنس العبدة، في مسار الديموقراطية الوطنية العميلة، متحدثاً باسم الجبهه الوطنية.

والمحقق في قدرات محمد سرور، وإنتاجه العلميّ، لا يرى أثراً حقيقياً فكرياً أو فقهياً، يمكن أن يكون قاعدة لمذهبٍ حديثٍ أو قديم. وما كان ظهور هذه المدرسة، فيما أرى، إلا الظروف التي صاحبت نشأة تلك العصبة من الشباب في السعودية، حيث وجدوا في طرح محمد سرور جديداً يأملونه، غير ما درجوا عليه من سلفية تقليدية، فوافقت العقل المراهق الوليد لشباب الجزيرة. وقد رأيت سفر الحوالي، وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، مرافقاً لمحمد سرور، حيث أقاموا في بيتي بالقاهرة ثلاثة أيام، في عام 1979، وهو تلميذ بن سرور، كما يظهر من اتجاهاته وقرنائه عويض القرني وناصر العمر، في تلقيح سلفية محمد بن عبد الوهاب بمنهج "إصلاحيّ" ديموقراطيّ، تجلّت في السنوات العشر الماضية، وإن لم يشارك فيه الحواليّ بفعالية نتيجة مرضه. ومع ذلك تجد أن ما كتب سفر الحواليّ، أعمق أثراً وأنفع مادة ألف مرة مما كتب محمد سرور، أستاذه.

السرورية إذن، ليست مدرسة جديدة، وليست مدرسة قديمة، بل هي خليط ممجوج من مدارس عدة، يعكس اضطراب أفراده، بل وقد يجمع تحت عباءته شخصيات متنافرة، لا يجمعها إلا دعوى إسلام إصلاحيّ، ينشط لمقاومة الجهاد، وينشر الفكرة الديموقراطية، ويعين الحكام العملاء على استبدادهم. والزعم هو أنهم يفقهون من أمور السياسة العالمية والأوضاع الدولية ما يخفى على أمثالنا ممن يرى السياسة خاضعة للدين، وليس العكس. ومن هنا قلنا بأنّ نسبة هذا أو ذاك من "المشايخ" أو من

"الدعاة" للسرورية، لا يصح بإطلاق، فهم خليط ممجوج كذلك، يقتطع من كلّ بستان حطبة، ليشعل بها ناراً تحرق الحركة الجهادية، وهو الهدف الذي يجمعون عليه بلا خلاف.

18 فبراير 2014

أصل الخلاف بين الإسلام وجماعة الإخوان4/8/12

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في خضم الأحداث الأخيرة، التي كشفت زيف التحركات الإخوانية العميلة الخبيثة، وعمالتهم للعسكر، وفي ضوء صفقاتهم الخسيسة في كامب سليمان، وكامب عنان، وغيرها، ورضاهم بأن يكونوا طراطير نيابية، تعمل لصالح قياداتها الشخصية، بدلاً من الشعب الذي حملها لهذه الكراسيّ، نسى الكثير السبب الأساس في ضلال هذه الفرقة البدعية، ومصدر ضلالهم وانحرافهم.

إنّ هذه الجماعة الضالة، قد وأدت الثورة، بالتعاون مع العسكر منذ الأيام الأولى لها. فقد أحجموا عن النزول أولاً، ودعوا للتفاهم مع مبارك ونظامه ثانياً، ثم خرج عدد من منتسبيهم المقلدين، لنصرة جموع التحرير، ليَثبُت لهم دورٌ، لمّا فاتهم دور الصدارة، ثم انسحبت جماعتهم من كلّ نشاط ثوريّ بعدها، والتزموا بنود كامب سليمان، واقنعوا العامة أنّ النظام قد سقط، وأنّ العسكر يجب احترامه، ولا يصح التعدى عليه ولو بالكلمة، وأنّ من يتهمه بالخيانة خائنٌ يريد إسقاط الدولة، وكلّ هذه التصريحات التي عكست ضلالهم وهزيهم وفساد أمرهم.

لكن الأمر ليس أمر تصريحاتً وقرارات، فإن هذه كلها نتاج ضلال عقديّ في التصوّرات، ينبنى عليه انحراف التصرّفات. الأمر الأساس الذي يجب أن لا ينساه الناظرون في أحداث مصر اليوم، وأسبابها التي يدونها التاريخ، والمؤرخون، أن هذا الخطلَ السياسيّ الذي أوقع إخوان السوء شعبَ مصر فيه، وأنهى ثورة 25 يناير قبل أن تبلغ مداها وتحقق أهدافها، وأعوزنا اليوم إلى أن نبذل جهداً يعلم الله قدره لإستعادة الثورة في الميادين مرة أخرى، ضد نظام مبارك، إنما مصدره تلك العقائد الخاسرة الضالة البدعية التي عليها صانعوا القرار في تلك الجماعة.

وهذه العَقائد، لا تنتمى لعَقيدة أهل السنة بِسبب، من قريبٍ أو بعيد، بل ترِدُها من مجموعة شَاذة من العَقائد التي عُرفت عن عدد من الفرق البدعية، التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأنها كلها في النار، والتي تخالف الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة.

فإن من عقائدهم الصوفية البدعية، ومنها الأشعرية المؤولة، ومنها، بل على رأسها، عقيدة الإرجاء التي تفصل الإيمان عن العمل، وتدعى أنّ نطق الشهادتين هو الإسلام المنجى في الدنيا والآخرة، وإن ارتكب المرء كل ما نص الشارع على كفر فاعله، وأن القلب هو محلّ الإيمان ولا يدل الفعل على إيمان أو كفر، وأنه، بناءً على ذلك، فالتشريع بغير ما أنزل الله معصية، وإن قننها المشرعون وجعلوها دستوراً يحكم به بين الناس. فالمرجئة، لا يكفرون المرتد، إلا إن صرّح هو بكفر نفسه، وهو ما لا يقر به أحد على نفسه، ولا النصارى ولا اليهود ولا المجوس، ولذلك رأينا من كبرائهم من يصرح بأن النصارى لا يكفرون! وعلل ذلك بأنهم لا يثلثون! أي والله، خاب الرجل وخسر.

والإرجاء دين الملوك، كما قال السلف، إذ هو يبرر المعصية، ويُحلّ الحرام ويميّع الشريعة. والصوفية تقرّب بين الأديان، وتحمل بذور وحدة الوجود، لذلك رأينا من كبرلائهم من يسير على منهاج ابن العربيّ وابي عطاء السكندريّ، ضلالاً وانحرافاً. ولهذا تجد أنهم لا يتورعون عن إبرام الصفقات الكفرية الخسيسة مع العسكر، والتودّد للأمريكان، وخيانة من يدعو للإسلام السنيّ الصحيح. وتجدهم يجعلون الولاء لجماعتهم الضالة مقدماً على الولاء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم. كما تجدهم يرفعون من يواليهم في ضلالاتهم ويوافقهم على بدعتهم، سواءً كان ملتزما بهدى الإسلام أم لا، ولهذا يعلنون أنهم لا يمانعون

من تولى نصراني أو علماني لحكم البلاد، أو لإمارة المرأة، أو لغير ذلك من بدعهم العقدية التي نشأ عنها إنحراف فقهي جعلهم من أهل البدعة في الأصول الكلية.

لن يخرج من جماعة هؤلاء الضالين المبتدعين خير لأهل السنة. بل لن يخرج منهم خير لأحد كائناً من كان. وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصف آيات النفاق، التي نراها تترائي في كل قول لهؤلاء المبتدعين، من إخلاف الوعد، وكذب الحديث، وخيانة الأمانة، كما خانوا أمانة الثورة التي أعطاهم الشعب، فقايضوها بالبرلمان.

إن الإختلاف الواقع بيننا وبين جماعة إخوان السوء، ليس مصدره تصرفات أو قرارات سياسية، قد يخطأ فيها البعض جهلاً أو عمداً، ولكن خلافنا مع هؤلاء يقع على مستوى العقيدة، ومعاني الكفر وحدود الإيمان، وموارد البدع والأهواء. ولهذا، فإن هذا الخلاف أبعد غوراً من ترشيح الشاطر أو مرسى، أو وضع الكتاتني رئيساً لكل أجهزة الدولة، بما فيها الأمانة العامة للمرأة! هو إختلاف في الأصول التي يبنى عليها الإسلام، ويقام عليها منهج أهل السنة والجماعة، قبل كلّ شئ. فمثل هؤلاء لنا مثل جماعة العقلانيين من أتباع مذهب المعتزلة، أو الطرق الصوفية البرهانية أو الدسوقية أو الخلوتية، أو هذا الهراء المقيت. بل إنّ جماعتهم أضل عقيدة وأسوأ بدعة من هؤلاء جميعاً، إذ هم يتبنون كلّ هذه البدع تحت مظلة جماعتهم، فهم وكر البدع وبؤرة السوء.

وإني والله ليحزننى أشد الحزن، وأعجب أشد العجب، وأربأ بمثل وجدى غنيم، ومثل حازم أبو اسماعيل أن يظلا يتحدثان بإنتمائهما لهذه الجماعة الضّالة المُنحرفة، ولا أدرى إلى اليوم ما هي دوافِعهما في مثل هذا الإصرار على الإنتماء لهؤلاء، رغم أن كل أحاديثهما تشى بمفارقتهما لهؤلاء المبتدعة عقيدة وقولاً وعملاً. واعتبر أن هذه هي النقطة السوداء التى تشين حاضر هذين الشيخين الجليلين.

إننا اليوم أشد ما نكون حاجة إلى تحرير الولاء، وبيان المفارقة لأهل البدع والكفر، فقد اختلط الحابل بالنابل، وادّعى الثرى مقام الثريا، وقام السهى مقام الشمس، وأصبح الأعمى بصيراً، والبصير أحولاً، وتاهت العقول وحارت الألباب. كلّ ذلك بفعل مجلس العسكر ومكره وحيله، وتعاون جماعة إخوان السوء وغباءها السياسيّ ونفعيتها التى تعدت كلّ الحدود.

<u>عودة إلى مصر .. وسيسيها!</u>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد،

انقطعت عن مصر وأخبارها، ومن ثم عن الحديث عنها، عدة الشهور الماضية، لا لسبب إلا ليأسي من التغيير فيها. والتفت في تلك الشهور لما يحدث في الشام الحبيب، فإذا الأمور هناك لا تبشر بخير كثير، وإذا بالإخوة يتقاتلون، وإذا ببعضهم يؤثر التعاون مع مرتدة عفنون على أن يضع يده في يد أخيه، للتحيز لبيعة أو للإنفكاك منها. وإذا بأنصارٍ يشوهون عقيدة السنة، ويجهلون على أصحابها، ويكفرون ويقتلون من حرّم الله قتلهم إلا بالحق، وتكثر بينهم الرويبضات. مما أيأسني من الشام، إلا أن يحدث ربي شيئا. وقد كنا نأمل أن يكون جهاد الشام مثلاً حياً للمصريين. لكن أراد الله أن يبتليه بهذه الأدواء، فيعمى بصائر ويميت قلوب بدلاً من إحيائها.

والعودة إلى مصر شاقة صعبة. فإن الأوضاع فيها تسير من سئ إلى أسوأ.

المظاهرات المتواضعة التي تخرج فيُقتل فيها عدد من الأبرياء، ويعتقل عدد آخر منهم. هتك أعراض البنات والنساء في مراكز الشرطة والسجون، بل هتك أعراض الرجال في الشوارع!

أحكام القضاء الفاسد الإبليسي يمتد عهرها لتحكم على مئاتٍ بالاعدام في جلسة واحدة، وتحكم على أحد المحامين معهم "في الزحمة"، كما يقال!

الهجوم على المساجد ومتابعة إغلاقها وسحل روادها، والحملة الشرسة على دين الاسلام بلا هوادة على كل المستويات، بداية بالملحد شيخ الأزهر، ومثيله مفتى السُلطة الكافر الصوفي على جمعة، إلى عاهر دعاة القطاع الخاص، المشرك البرهامي، وبقية شلة الكفر السيسي كالهلالي وغيره.

انتشار العهر والفسق والدعارة العامة في أوساط الاعلام و"الفن"، والانحطاط الخلقي الذي لم تر مصر، ولا غيرها، مثله في تاريخها الاسلاميّ، لدرجة أن تنتخب راقصة عاهرة أما مثالية!

لقد سقط ما يسمى بالربيع العربي تحت أقدام الصهيوصليبية، بالأموال الخليجية، سقوطاً ذريعاً. وإن كان قد تحققت منه فائدة، فهي تمايز الصفوف. تميّز المسلم من المشرك. تميّز شعب السيسي من الكفار عن الشعب المسلم الظالم لنفسه باتباعه النهج الاخوانيّ البدعي، فقد والله ظلمنا الإخوان قبل الانقلاب بمذهب "المشاركة لا المغالبة" ثم هزمونا مرة أخرى بعد الانقلاب بمذهب "سلميتنا أقوى من الرصاص". فأوهنوا القلوب، وخوّروا العزائم، واستأنسوا المقاومة، ونحروا الجهاد، الذي لم يؤمن به أحد منهم يوما من الأيام، منذ ظهور الجيل الإخواني الثالث، جيل العريان والكتاتني، جيل الديموقراطية البرلمانية الشركية.

فأين الحل يا ترى؟ أيظن الناس أنّ هذه المقاومة السلمية "الهفتانة" ستوقف السيسي الملحد وأتباعه عما يقصدون؟ ألا يظن من لا يزالوا يتحدثون عن السلمية، وعن المشاركة لا المغالبة من زرارى الإخوان أن ذلك النهج له فائدة تُرجى؟ ما لهم كيف يحكمون؟ أفلا يتفكرون؟

الحل يكمن في تربية جيل جديد، كما سبق أن قلنا، فإن أبناء هذا الجيل، أقصد الجيل المسلم لا جيل السيسي الملحد، قد فسدت عقائدهم، وعميت بصائرهم، وانحرفت فطرهم، فصاروا لا يرون بوصلة الاسلام ولا توجهاته، وإن حسنت فيهم النيات. فإن النية لا يقوم بها عمل، بل يقوم العمل على فكر صحيح وتوجه رشيد، واتباع للسنن ونفي للبدع. وهذا الجيل، أو معظمه لنتجنب التعميم، تربى على بدع الإخوان ونطاعة السلفيين، فلا خير في كثيرٍ منهم.

يجب أن ينشأ الجيل الجديد على مفاهيم التوحيد الصافي كما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من توحيد ربوبية وألوهية وعبادة ونسك وولاء وبراء. لا تنقص من هذا شيئاً. وكم حذرنا من تلك المناهج التي تجتزأ من الاسلام جزءا تعتني به وتدعى أن هذا دورها، وأن دعوة الجماعات تكمل بعضها بعضاً! كم حذرنا من أن هذا خلل في التنظير، وأن هذا سيؤدى إلى جيلٍ مشوه منقوص العقيدة، فالاسلام يجب أن يُقدّم كله وحدة واحدة جامعة، لا أجزاء مبتسرة مفردة. وها نحن اليوم نرى نتيجة هذا التخليط البدعي، والتجزئة الباطلة، لكن لا حياة لمن تنادى، وقدر الله سابق.

ولا يظنن أحد أن "الثوار" ينتصرون لدين الله، فمنهم من هم على حق، كما كان سكان رابعة تقبلهم الله في جنته، ومنهم من هم ثوارٌ من أجل حياة أفضل، وعيش أرخى، ودنيا أرفق. وهؤلاء، لا ينصرهم الله إن لم تتوجه اليه النية بلا خلاف. ولا عليك بأقوال مبتدعة الإخوان من أمثال حشمت ومحمد محسوب، فهؤلاء والله رويبضات علم لا في العير ولا في النفير، حين يتحدث العلماء. بل هم رجال إعلام لا رجال شرع. وهم عينات من قادة الإخوان الذين تخرجوا في الدفعة الثالثة من تاريخ الإخوان، كما ذكرنا من قبل.

وها هو السيسي يترشح للرئاسة، وها هي فيفي عبده أما مثالية، وها هو محمد إبراهيم يقتل الأبرياء ويغتصب النساء يوميا دون توقف، وها هو عاهر الأزهر يدعو "لبيعة" السيسي، وها هو زنديق الفتوى علي جمعة يحرض على قتل المسلمين ليل نهار، وها هو مال الدولة يسرق بلا حياء، وها هو قضاء الدولة قد سقط في أقذر مستنقع، ألا وهو الخضوع للظالم والرشوة والمحسوبية، ورحم الله الحسن البصريّ حين أفتى بكفر القاضى المرتشي.

لا أدرى ما ستأتي به الأيام في مصر، ولا ما يخبئ لها قدر الله سبحانه، ولكن لا أراها تأتي بخير طالما أنّ الناس يتغافلون عن سنن الله، فإن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، والجهاد ذروة سنام الإسلام، لم يتركه قوم إلا كسرهم الله.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

د طارق عبد الحليم

30 جمادى الأولى 1435 – 31 مارس 2014

وتوفي أخر العمالقة .. محمد قطب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد،

" يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾"الفجر

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

لست والله أجد في صدرى متسعاً لأن أتنفس الهواء، وقد خنقته عبرات الحزن والأسى .. فهذا ثالث من تودعهم دنيانا الراحلة، نستودعهم أمانة عند الله، العالم الجليل الحبر الفذ، صاحب النفس الراضية المرضية، والعقل الراجح واللسان الصدوق، الأستاذ محمد قطب رحمه الله تعالى.

ومن أنا لأرثى أستاذنا، وأستاذ جيلنا محمد قطب! هو آخر العمالقة بلا جدال. فلم يبق في الساحة من جيله أحد. ذهب من قبله محمود شاكر، ومحمد محمد حسين، وأضرابهما، ثم من جيلنا عبد المجيد الشاذلي والحبيب مجدى عبد العزيز وأمثالهما..

ذَهب الذين يُعاش في أكنافِهم وبقيت في خَلَفٍ كجلدِ الأجربِ

وقيمة محمد قطب، وقامته بين العلماء، ليست من كونه أخا لسيد قطب، علم التوحيد في عصرنا، لكن من كونه محمد قطب، المفكر والكاتب والتربوي والمرشد والأيمن على دينه وأمته.

وقد كان رحمه الله صديقاً وزميل دراسة لخالي عبد الحميد البشري رحمه الله، ولا زلت أحتفظ بكتاب له بتوقيعه، إهداء له. وقد قابلته مرة واحدة في مكة المكرمة، في عام 2008. وقد وجدته حاد الذكاء، محتفظاً بكامل ذاكرته، وقوة استدلاله. وقضيت معه ساعة، من العمر لا أنساها، فقد بوركت داراً وصاحباً، فصدق فيها قول شوقي:

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

ولست بحاجة إلى أن أعدد ما كتب أستاذنا رحمه الله، فهي معروفة للجميع، لكن أردت أن أشير إلى طريقته الفذة في الكتابة، والتي كانت تتسع بالأسلوب السهل الممتنع، الذي يفهمه الجاهل ويقدّره العالم، ويتعلم منه الصغير ويستفيد من الكبير. ولم تكن لتجد في أسلوبه نقولا كثيرة، ولا شواهد عديدة إلا في مواضع الحاجة، وهو ما يدل على استيعابه للعلم، فأصبح خراجه لا يحتاج لسمادات مقوية، ليكون مزدهراً يانعاً، عكس ما نرى من أساليب المتسببين إلى السلفية، بحق أو بدون حق، شرآح المتون، وأوعية الأصول.

ولم ينعت الرجل نفسه، ولا نعته غيره بألقاب مثل "الشيخ"، ولا "الشرعي"، فقد كان أكبر من تلك الألقاب التي كان لها بريقٌ وصدى أيام كان العلماء معروفون، والمدعون مكشوفون. أمّا اليوم فيا حسرة على الألقاب، ويا حسرة على ذهاب مستحقيها.

وقد ترك فقيدنا ثروة نحسبها في ميزان حسناته ثقيلة إن شاء الله، فعمله الصالح لم يذهب، بل هو باق ما دام أحد يقرأ له من علمه الواسع الماتع، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "مسلم.

وإذ ذهب هذا العملاق الأخير، أقول هل حلّ أوان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا

وأضلوا"البخاريّ. اللهم لا اجعلنا ممن لا يفتى ولا ممن يتجرأ على التقوّل عليك وعلى رسولك صلى الله عليه وسلم بغير علم، فنكون من الضالين المضلين، وما أكثرهم في هذا الحين.

رحم الله أستاذنا وشيخنا محمد قطب، وألحقه بركب التوحيد ممن سبقه، وألحقنا به وبهم في مقعد صدق إن شاء الله تعالى.

د طارق عبد الحليم

4 جمادى الثاني 1435 – 4 أبريل 2014

جيشٌ للإيجار .. !

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

مصر المأساة، مصر الفاجعة والحَزَن، مصر التناقض والضبابية، مصر الفسق والعُهر، مصر الطهارة والنبل، مصر الفقر المنتشر، مصر الغنى المنحصر المنحسر، مصر الخيانة والعمالة، مصر الجبن والرزيلة، مصر سيد قطب ومحمد قطب وأحمد ومحمود شاكر، مصر برهامي ومخيون، مصر الهام شاهين وعلى جمعة، هي مصر السيسي!

لكن يظل العار، أشد العار، هو ما عليه جيش مصر، الذي هبط به السيسي إلى أحطّ مستو يمكن لجيش نظامي أن يصله، أن يكون جيشاً للإيجار! يقوم بمهام لصالح أعداء الدين والأمة والوطن، أعداء الأهل والعشيرة، مقابل منحٍ ومالٍ وعلاواتٍ وامتيازات لضباطه وجنوده، ثم مليارات تدخل جيوب سادته.

يقتل الجيش المصريّ المرتزق أهل مصر في سيناء لحساب العدو الصهيونيّ، ليخلى لهم الجبهة، ويضمن سلامتهم، ويقتل كلّ أمل في أن تعود سيناء لمصر حقا وواقعاً.

يقتل الجيش المصريّ المرتزق أهل مصر في الشوارع والميادين، بالآلاف، نساء وأطفالاً، شيوخاً وشباباً، كي يقمع فيهم آخر نفس من أنفاس حرية ظنوا أنهم تنفسوه، فترة سنة واحدة منذ ستين عاماً!

يحرس الجيش المصريّ المرتزق مصالح كلّ دول الصهيوصليبية، في المنطقة، بأجرة تدفعها له أمريكا في شكل "مساعدات"، يذهب 80% منها في شكل عمولات لجيوب المرتدين من رؤوسه وقياداته، والباقي أسلحة يقتل بها الشعب.

ثم تأتي الأنباء بعقد عملٍ جديد للجيش المرتزق، أن يقاتل الاسلاميين في ليبيا، فبئس العاقد والمتعاقد!

ولا أخلى مسؤولية الشعب المصريّ المسلم، لا شعب السيسي الملحد، على ما حدث. ويتحمل نتيجته قيادات الارجاء والبدعة من أول محمد مرسى إلى بقية قيادات الاخوان، رفع الله عنهم الظلم. فهؤلاء هم من هيأ الأمر بسذاجتهم وبدعة سلميتهم وجهلهم بالسياسة الشرعية والسياسة الوضعية على السواء، والتي من أول قواعدها أن "الزجر سبب الانكفاف"، وهو المبدأ العام للقصاص، أن تزجر المعتدي لينكف عن العدوان. فإذا بهم يناورون ويحاورون، ويتنازلون ويشاركون ولا يغالبون. فإذا هم في قاع السجن قابعون، ولمصر خاذلون، ولأنفسهم وللشعب ظالمون.

يا أهل مصر، ما العمل ؟ أظل هناك أملٌ؟ لا أراه والله قريبا، بل ولا بعيداً. إذ إن قدر الله على هذا الشعب، أو غالبيته، أن يكون ذليلاً مطيعا لسادته وكبرائه، لا يرفع بالحرية رأساً، إلا بعضا منهم، ممن من خاصتهم، قد غلبتهم العامة على أمرهم. ألم يقل الله سبحانه في كتابه "فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ"الزخرف 54. هذا كتاب الله ينطق بالحق، ويتحدث بالصدق. فهو يصف المصريين بصفتين، خفة العقل، والفسق. وسبحان الله، هي دليل على الإعجاز القرآني ورب الكعبة.

فإن هاتين السمتين هما ما نراه إلى يوم الناس هذا في ذاك الشعب، منذ خلقه الله على الأرض. انظر خفة عقل من يستمع لعمرو أديب، وعلى جمعة وبرهامي وأحمد كريمة، ويصدق السيسي. انظر إلى فسق قضاته وراقصاته، وإلحادهم في دين الله، مع كبيرهم الذي قادهم للردة، السيسي! وتأمل الآية مرة تلو المرة، وقل صدق الله.

قدر الله وسنته، لا تتخلف، ولا تجامل، ولا ترأف بمن لم يرأف بنفسه "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ"الرعد1.

ثم تخرج المظاهرات، وتهتف الحناجر، وتتساقط القتلي، وهم ذاهلون عن سنن الله سبحانه. الحناجر لن تغنى عن الخناجر. وقد كتب الله الجهاد على الأمة، فلا نصر لها بدونه. من هنا لا نرى فيما يحدث أملاً قريباً، أو بعيداً إن استمر على منواله هذا.

ثم أيها الجيش العميل، لقد أراكم الله الفضيحة في نسائكم، لاعبات الكراتيه، يستأسد عبد الفتاح السيسي على العُزّل المسلمين المساكين، ويستأسد عبد الفتاح الصعيدي على لبؤات نسائكم! ما أعدل الله وما أسرع عقابه، إن كانت لديكم ذرة باقية من الرجولة!

يا أهل مصر، انظروا إلى تاريخكم، وتوبوا إلى بارئكم مِنْ تركِكم شرعه ورفضكم لدينه، واستسلامكم لقدرٍ أنتم من رَسَم خطواته، وها أنتم تذوقون علقمه وويلاته.

والله المستعان

د طارق عبد الحليم

26 جمادى الثاني 1435 – 26 أبريل 2014

مسيرة الأمة المصرية إلى الهاوية ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

من الثابت المؤكد أن "الدولة" المصرية، لا يمكن أن تستمر في الوجود كدولة ونظام، وهي تسير في هذا الاتجاه الذي يدمر كل شئ بإذن سيسها.

لا يمكن أن تستمر في البقاء لغياب العدل بشكلٍ تام من على أرضها، وسقوط الضمير القضائي إلى حضيض حضيضها.

لا يمكن أن تستمر لِكَّم الفسق والفجر والعهر الذي ظهر على السطح الاجتماعيّ مؤخراً، بارتكاب الفواحش، بعد أن كان الفحش صفة يتداولها الناس في الحديث عن الاوساط "الفنية" خاصة.

لا يمكن ان تستمر لانعدام الدافع الاجتماعي للحفاظ على هذه الكيان الذي عاد عبئا على المواطن، لا سندا له.

لا يمكن أن تستمر للتدهور الاقتصادي الذي يتوالى في كافة أوجه الاحتياجات الانسانية الضرورية للحياة.

لا يمكن أن تستمر لسقوط منظومة التعليم الذي صار يتأرجح بين تعليم أجنبي علماني صرف، يقدر عليه الاغنياء، ويخرج به جيل مشوّه، وتعليم عام غير موجود أصلاً، ويخرج به جيل أجهل بالعلم مما دخل.

لا يمكن أن تستمر والعسكر والشرطة والأمة هم سادة المجتمع وسارقيه وكابتي حريته وقاتلي أبنائه.

إذن ما هو شكل المستقبل الذي يقود السيسي البلاد اليه؟ وما هو مصير هذه الدولة وهذا اللا-نظام المصريّ؟

ما أراه، هو أنّ قيادات الدولة الحالية، والتى تتمثل في حفنة من العسكريين، مع بعض قادة الشرطة والأمن والقضاء والاعلام يعلمون تماما أن مصر تسير إلى الهاوية، بخطى ثابتة! وأن لا رجعة لها من هذا الطريق. بل هم يدفعونها على السير فيه بقوة وجسارة!

الأمر أنّ هذه الحفنة قد عزمت على تجفيف آخر ما بقي في مصر من مصادر مادية، بالاستيلاء على تلك المصادر كاملة، وتحويل هذه المنهوبات إلى خارجها، لفترة من الزمن، أقدرها بعقد أو أكثر قليلا، لا يزيد. هذا العقد هو ما يريد السيسي أن يتربع فيه على عرش مصر، ويطلق كلابه تعيث فساداً ونهبا لما بقي فيها من قوة مادية، تنشأ من قوة عملٍ لقرابة ثلاثين مليونا من العاملين، ولو كانت نسبة الانتاج 10%، إذ يعنى هذا ما يقرب من جهد ثلاثة ملايين عامل. هذا غير الاستثمارات الخاصة بمؤسساتهم التي تنتشر في كل مجال من مجالات التجارة.

وفي العقد القادم، ستمتص هذا العصابة كلّ ما تبقي في مصر، وتعصرها عصراً، ثم تهرب بما سرقت، وتتركها قاعاً صفصفاً، لا تصلح للحياة. تتركها آنذاك فريسة للفوضى العارمة، التي تأتي مع الانهيار الاقتصادي، وما يصحب ذلك من انهيار المؤسسات العامة والخاصة. ثم ما يتبع هذا الانهيار من الفوضى الجافة والقتل والنهب العلني، حيث تقع البلاد فريسة الانهيار التام، بهيكلها ونظامها. وساعتها، يستر الله علي تلك البلد المفجوع، ولا يتبقى فيه إلا من حمل سلاحاً، يسيطر به على غيره، أو يدفع به صائلا عن نفسه. لكنها السنن!

وماذا على هذه الطغمة الشيطانية من هذا المصير المرعب؟ ولماذا يؤرقها شبح ذاك الانهيار المرتقب؟ هؤلاء لا ضمير لهم ولا خلق. هؤلاء قد ارتدوا عن دين الله وكفروا به وبشرعه، وحاربوا دعاته وقتلوهم، بل قتلوا العامة ممن يحبون الله ورسوله، وجندوا كفارا من علماء السلاطين يبررون لهم خطاياهم

لماذا، يسأل السائل، يحدث هذا لمصر وأهلها؟ والجواب، ذلك أنه "ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"الروم41. ذلك أنّ المصريين قد خابوا وخسروا وضلوا طريق الهداية، وسار كثير منهم في طريق الغواية، ولم ينكر عليهم من لم يشترك معهم هذا الضلال والغيّ، بل حتى دعاتهم قد سكتوا، لا عن الحاكم فقط، بل عن وصف الأشياء بأسمائها، الكفر كفرا والفسق فسقا والمعصية معصية. فصدق فيهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله عز وجل أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"الترمذي وقال تعالى "وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ"الأنفال 25. رضوا بالكفر وركنوا إلى الذين ظلموا، بل دعا قادتهم ودعاة أكبر جماعة "إسلامية" فيهم إلى "المشاركة لا المغالبة"، مشاركة الكفار، أي فسق وضلال! وهذا شعب السيسي اليوم، يملأ شوارع مصر، طولاً وعرضا، وهؤلاء الخاصة من المسلمين يدعون، فلا يستجاب لهم.

اللهم لطفك لطفك

د طارق عبد الحليم

29 جمادي الثاني 1435 – 29 أبريل 2014

هل ترى في مصر من باقية؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

سألني الكثير، إخلاصاً أو لؤماً، لماذا لا تتحدث عن مصر وأحداثها، وتترك الشام ونوائبها؟ أليس في نوائب مصر ما يكفي أن يغرق في مستنقعه ألف كاتب وكاتب، يستهلكون أقلامهم، وسيتنزفون عقولهم جرياً وراء تلك المصائب المتتابعة هناك؟

والحق، أنّ مصر اليوم، قد باتت كالعجوز العقيم، لا حاجة لأحدٍ فيها، فقد انهارت مؤسساتها الأساسية، وتصدعت بنيتها كدولة، في السلطات الثلاثة، التشريعية والتنفيذية والقضائية، إذ اجتمعت كلّ هذه السلطات اليوم في يد رجل واحد، هو أخبث الرجال وأحطهم قدراً وأبعدهم عن المروءة والخلق والكرامة، السيسي أقصد.

فما بالك بأمة أسلمت أغلبيتها قيادها، طواعية واختياراً، إلى مثل ذاك الداعر الخسيس؟ أسلمت له كلّ ما تملك، وأعز ما تملك، فاغتصبها، ثم اغتصبها، ثم اغتصبها، ثم أسلمها لرجال عصابته، يغتصبونها بدورهم مرات تلو مرات، يستبيحون حرمتها في كلّ مجال. كيف لا و"رجال" ينتسبون لها يتشرفون أن تحمل نساءهم بِضْع السيسي! أيّ والله! فما عاد هناك عفة تعرفها مؤسسات هذه الدولة، ولا رجالها، ولا نساءها، فصاروا أنجس من قوم لوط.

ماذا يريد هؤلاء أن أحكي عن مصر، بعد أن دونت فيها أربعة كتب كاملة في عامين؟ إن أمرها قد قضى وانتهى. انقسمت مصر إلى فئتين، فئة الكفر والالحاد، من كفار أصليين كالقبط، ومن مرتدين عن ملة الإسلام، بما فيهم القضاة والعسريون والشرطة والإعلاميون، وأصحاب المصالح في عالم التجارة، والفنانون القوادون والقوادات، والداعرون والداعرات، وفئة يقولون إنها مغيبة، وهي والله أنجسهم جميعا، وهم من يجمعهم اسم "شعب السيسي". والفئة الثانية فئة تريد أن ترى المعروف وتنكر المنكر، لكنها ضلت طريق ذلك بإضلال الله لقادة ما يسمى بالحركات الإسلامية، على درجات من الضلال، بلا استثناء أحدٍ منها.

وقد رأينا في مسائل العمران وأصول الاجتماع البشريّ، أنّ هناك علاقة تبادلية بين "الحاكم" و"الرعية"، تسير على سنن ثابتة، تجعل الحاكم وليد الرعية، والرعية حاضنة للحاكم ومنتجة له بالقوة[8]. ولا محل هنا للبحث فيمن أثره أسبق، أو تأثيره أقوى في هذه العلاقة، لكن الثابت اليقينيّ هو أنها واقعة مؤكدة. فالأمة المصرية قد وصلت بيئتها إلى أن تفرز السيسي، بكل انحطاطه وفسقه وخيانته وكفره. والسيسي لم يخرج إلا عن بيئة غاية في الانحطاط والفسق والخيانة والكفر، وجهانٍ لعملة واحدة، البيئة المصرية والسيسي!

الأمر إذن، لا يكمن في "انقلاب" قام به السيسي، بل هو في حقيقة الأمر "تصحيح" يوائم البيئة التي رعته وأفرزته، ويساير مستواها، ويحقق قدرها في الانحطاط والفسق والخيانة والكفر.

ومن ثم، فالانقلاب على السيسي، هو انقلاب على البيئة المصرية المنحطة الفاسقة الخائنة الكافرة كلها. ومن ثم، فإن المحاولون لهذا الانقلاب يجدون صعوبة، بل شبه استحالة أن يتم هذا الأمر، كما يتصورون. فإن القوة العسكرية التي يواجههم بها السيسي، قد استندت على "أمة" منحطة فاسقة خائنة كافرة. وهذا هو سبب بقائه، لا قواته العسكرية، في حقيقة الأمر، كما يتصور الناظر العَجِلُ إلى الموقف. وهذا نفس ما رددناه من قبل، في سلسلة مقالاتنا عن "التمكين"[9].

---

[8] القوة هنا لا تعنى قوة السلاح والعتاد، لكن تعنى قوة القهر والاضطرار التي تفرضها السنن وترتكز فيها الفطر.

[9] جيل الاستبدال وجيل التمكين http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-71806

جسر العبور .. من الاستبدال إلى التمكين http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72110

حقائق ثابتة على طريق التمكين http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72452

مفاهيم في طريق التمكين -1 http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72463

مفاهيم في طريق التمكين -2 http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72467

مفاهيم في طريق التمكين -3 http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72470

أمر التغيير في مصر، أو الانقلاب على بيئة السيسي، ليس بأمر يحدث بسلاسل بشرية، أو انتفاضة طلابية، أو مسيرة أهلية! هذا وهمٌ وسرابٌ تعيشه بقايا حركة الإخوان، وتزرعه في عقول الفئة القليلة التي لا تزال في فطرتها بقية من صلاح، فتخرج بها عن نهج الاصلاح السديد.

وقد دعونا مرات إلى أنّ السلمية ليست طريق الخلاص، بل هي خيانة لمنهج الاسلام في التغيير. لكن، لمّا تكشفّ أمرُ البيئة المصرية الحالية، من انحطاط وفسق وخيانة وكفر، وهو ما كان حجمه الهائل مفاجئاً للجميع، وجب أن تتبدل النظرة التي تدعو لجهاد بديل. إذ، من سيجاهد؟ ومن يجاهد؟ الغالبية العظمي ممن يتسمون بأسماء المسلمين، لا يعون منهج الاسلام ولا يعرفون توحيدا من شرك ولا ولاءً من براء. وهم أنفسهم سيكونون، بل هم بالفعل اليوم، أول من يقف في وجه "الارهابيين"، وفي صف السيسي وقواته.

الأمر إذن، ليس في السلمية، التي لا ينشأ عنها إلا مزيد من قتل الأنفس وانحراف التصورات وانتكاس الفطر. وليس للجهاد الحقيقي محلٌ اليوم، إذ لا تتوفر آلته البشرية، ولا بيئته الحاضنة.

الأمر إذن لله، هو يحكم في عباده، وينفذ فيهم قدره، ولا أراه في مصرإلا شؤماً قادماً أشرّ مما كنا فيه، حتى يقال "فهل ترى لهم من باقية".

والله المستعان

د طارق عبد الحليم

5 رجب 1435 – 5 مايو 2014

البرهاميّ .. ومصيبة دعاة الدين على هذا الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مقالٍ نشرته قريباً بعنوان "المسلمون .. وفقه الغفلة عن الكوارث"[10]، قلت ما نصّه "هؤلاء قد أُشربوا فقهاً جديداً هو فقه الغفلة عن الكوارث حتى وقوعها. وهو فقهٌ جاء من أصلٍ صحيحٍ، تعلّموه في مساجدهم ومن آبائهم ومشايخهم، أنّ المسلم الطيب يُحسن الظنّ بأخيه، وأنه يجب أن نأخذ الأمور على عِلّاتها، فمن قال خيراً أخذناه بما قال، وأعطيناه ظهورنا آمنين، حتى يأتينا اليقين!".

كان هذا في معرض الحديث عن غفلة هؤلاء الدعاة الذين لا يرون إلا الحسن من الفعل، في ظاهره، ثم يتغافلون عن الجانب المظلم الباطل، بعلم أو بجهل، تحت دعوى حسن الظن، خاصة في وقت صار فيه حسن الظن ابتداءً تغفيلا وهطلا.

تحدثت عن هذا الموضوع، لكن يظهر أنّ الخرق فيه قد اتسع على الراقع، وانتشر هذا الفيروس اللعين، بين من كنا نحسبهم قد تحصّنوا ضده. فقرأت اليوم دعاوى تندد بالقول بكفر الزنديق البرهاميّ المصريّ! بل والشعور بعدم الأمان لمن يقول بهذا القول، وزجره عن قوله، وتحذيره من البلايا التي تصيبه من جراء "التكفير"، الذي يصفونه "بالإسفاف"، وكأن الأحكام الشرعية، إن صاحبها الدليل، تُعتبر إسفافاً عند هؤلاء الرحماء "المُأسلِماتية[11]"!

[10] http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72465

[11] "مأسلِماتي، هي عكس تكفيريّ، وهو الشخص الذي يُسبغ صفة الإسلام على كلّ من هبّ ودبّ، ضارباً بالدليل الشرعي عرض الحائط.

هذا والله ما نراه مرضاً عضالاً، ومِعْوَل هدمٍ لدين الله أشدّ وأشرس من هدم السيسي وبشارٍ له. هذا معولُ هدم في يد من يثق فيهم الناس، يعدّلون به من لا من يعرف الناس خبثهم وكفرهم، بينما السيسي وبشار قد صار من المعلوم من الدين بالضرورة خبثهم وكفرهم، ونستغفر الله إن وصفنا السيسي وبشار بالكفر، فإن دعاتنا من ذوى القلوب الرحيمة قد يرون هذا إلحاح في التكفير، فما عدنا والله نعرف ما هي مقاييس الإسلام والكفر التي يدينون بها.

المهم هنا أن هؤلاء الدعاة، من الرحماء على أهل الردة، لا يُقدّمون دليلاً فقهيا شرعياً على ما يقولون[12]، بل يلصقون فتواهم هذه، وهي فتوى في الدين سواءً أرادوا أم أبوا، يلصقونها باتساع اللغة العربية، وبإمكانية إيجاد "مخارج" فقهية لمواقف الردة الشرعية".

هذا والله من خلل الفقه في توحيد الله، ومن اضطراب ادراك السنن. وهو، فيما نحسب، ما أدى إلى تلك الكوارث التي تحيق بعالمنا الإسلاميّ اليوم، إذ إن كان هذا هو قدر الفهم عن دين الله عند من يحسبهم الناس دعاة علماء، فكيف ترى أحوال الجيل الذي يتربى على أيديهم؟ ثم أليس عصرنا هذا أليق بالتمييز بين فئتي الناس، مسلمين وكفار؟ أليس فقه اليوم هو ما أشار اليه الشاطبي في الموافقات من أنه إنْ زاد الهبث وجب التشدد وإن زاد الاستنطاع في الدين وجب التخفيف؟ قال رحمه الله في الجزء الثاني من الموافقات ما نصّه ".. فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الإعتدال فيه فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته وقوة مرضه وضعفه حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقا به فى جميع أحواله" ج2ص163. أليس في هذا الفقه ما يدل على وجوب التشدد حين ظهور الفسق بإطلاق، لحمل الناس على الوسط الأعدل؟ وهل هناك فسق وخروج عن الوسطية أكثر مما نحن فيه؟

خيانة البرهاميّ وكفره، من وجهة النظر الشرعيّ، أوضح من أن يُستدل عليها، وإلا فإنه ليس للكفر باب مفتوحٌ في عصرنا، كما يحب أن يروّج أهل الرحمة والقلب الحنون.

لا أدرى والله بم أبدأ، في توصيف حال هذا الخائن العميل. والله أخجل من أن أنبه أمثال بعض هؤلاء "الدعاة" لمثل ذلك الأمر، إذ لا أراهم إذن إلا أقل من طلبة علم، بل هم هنا أشبه بمن يرجون طلب العلم، دون محاولته إبتداءً.

كفر الرجل يثبت قطعياً من رضاه ومشاركته في دستور كفر، لا نعرف وثيقةً أبعد في الكفر منه. وليس لمن ينكر كفر هذا الخبيث إلا أن يوافقه على أنّ هذا أمرٌ من باب الضرورة، وهو الإدعاء الذي خرج به هذا المأفون أخيراً على الناس. وإدعاء الضرورة وأكل الميتة هنا لا محلّ له إلا عند المغفلين من البشر، عوامهم ودعاتهم على السواء. فالضرورات لها حدودها وضوابطها، ثم أيّ ضرورة في المشاركة في هذا الكفر البواح يراها أمثال من ينكرون كفره؟ أوُضع المسدس على جبهته؟ أم أخذت عياله إلى المذابح والسجون، أم جُرّد من ماله كله؟ أتصح الضرورة في الكفر الظاهر بالفعل لا بالقول؟ ثم كيف يصح هذا الإدعاء وهناك ملايين غير هذا المأفون، عوام ودعاة، ممن لم يشارك لا قولاً ولا تأييداً لهذه الوثيقة الكفرية (إلا إن كان هؤلاء لا يرونها كفرية إتقاء للشبهات!!!)، بل ضحوا بأنفسهم وأولادهم في سبيل الوقوف ضدها؟ أترى هؤلاء مسلمون على نفس دين البرهاميّ؟ هذا خلل عقليّ محض.

ثم يأتي كفره من باب الولاء للكفار، إن سلّم معنا "المُأسلِمون" من ذوى القلوب الرحيمة الناعمة بكفر الإنقلابيين العسكريين والعلمانيين. وهذا الولاء لا يمكن لأحد إنكاره إلا من غابت عنه البصيرة كليّة. فالرجل شاركهم مجالسهم، بل أعلن قبول ما اتفقوا عليه من كفر بواح، بل دعا الناس إلى الموافقة عليه، لأنه يحمى الشريعة! ونحن هنا لا نتحدث عن مشاركة في معصية، بل مشاركة في تشريع كفرٍ، والى فيه الهام شاهين وليلى علوى ومحمد ابو الغار وخالد يوسف ووقف في صفهم يدعو للتصويت بنعم!! أيقول أحدٌ أن هذا الرجل مُكره على هذه الموالاة؟ من أين يأتي الإكراه يا سادة؟ ألم يكن في وسعه

[12] ويتحجج غالبهم بانه "لا مجال هنا لإيراد الأدلة"، او "لا نريد هنا التوسع في الحديث"، أو ما شابه ذلك من حجج يظهر أنها غطاء لعدم توفر الأدلة إلا ما جاء من عمومات قد يموهون بها، ولا يوردونها منزلة على مناط أقوال هذا المرتد وأفعاله خاصة.

السكوت؟ أين مناط الولاء المُكفّر إذن؟ أله مناطٌ عند هؤلاء؟ أيكون هؤلاء ممن يقول لا ولاء ولا براء إلا فى صفوف القتال؟ أتكون النصرة في المعركة المسلحة لكنها لا تكون في معركة الصناديق؟ أليست الصناديق اليوم هي أسلحة الناس في المقاومة؟ أيمكن تشبيه فعل البرهاميّ بفعل أيّ من فقهاء السلطان الذين نقرأ سيرهم في كتب التاريخ من نصرة حاكمٍ أو والٍ أو خليفة في ظلمٍ أو فسقٍ أو بدعة على أكثر تقدير؟ أين في هؤلاء من نصر حاكماً في تقنين الكفر البواح الذي لا يختلف عليه مسلمان؟

يا مُثبت العقل والدين. والله لا يقول بعدم كفر هذا الرجل إلا متلاعب بالدين أو غائب العقل عن ثوابته، في هذا الموضع.

إن ما قد لا يعرفه بعض من يرون حكم التكفير الشرعي "إسفافاً"، وإن كانت عدم المعرفة ليست بعذر لهم في سوء فتاواهم، أن هذا الرجل قد مدح أمن الدولة طوال حياته النفاقية الدعوية، وتعاون معهم، وعُرف عنه ذلك في أيام سجنه الصوريّ، حين كان يسكن أفضل محل بالسجن، ويتلقى أفضل أكلٍ وملبس، ويُروّج لوثيقة التصالح مع أمن الدولة بين الإخوة الدعاة المعتقلين، ثم خاصة عقب دوره الخبيث في التغطية على قتل سيد بلال رحمه الله لحساب أمن الدولة أيام مبارك.

أيسمى هذا الذي بيننا وبين البرهاميّ اختلاف؟ أهذا اختلاف آراء يا من يدعى أنّ عنده عقل ودين؟ أيكون من برر الكفر والقتل ودعمه وأباحه ووقف في صفّ من فعل ذلك ووالى الكفار اختلاف سياسي أو فقهيّ؟ وما الحاجة إلى الشدة عليه إذا كان القائل يرى أنه اختلاف فقهي بدلائل شرعية؟ أيظن القائل أنّ السامعين من أصحاب الفهم في الشريعة مغفلون لا يفهمون أنّ هذا التحذير من إنهم سيكونون "أشداء على هؤلاء" و"حاسب يا جدع أنا هافرمهم بعد كده" كما يقال، ما هو إلا من منطلقٍ إرجائي مستتر؟ نحسب والله تعالى أعلم أن هؤلاء سيتحولون إلى جانب البرهاميّ وعلوش وأمثالهما تدريجياً مع الوقت.

ثم ما لبعض هؤلاء يُخوّن علماءً ودعاة رأوا كفر هذا الزنديق؟ إذ يقول أحدهم، متحدثاً لمن يقول بكفر البرهاميّ "كيف آمنكم؟ لا آمنكم!"؟ أليس هذا دليل على تخوينهم؟ فما لكم تُخوّنون المُخلصين، وتدافعون عن الخائنين؟ أهذا توجه العلماء الربانيون؟

لكن نحن لا نحكم بكفر مثل هؤلاء الدعاة، كما قد يموّه من لا علم له بقاعدة "من لم يكفّر الكافر فهو كافر"، إذ إن لها شروطها وموانعها التي لا تجرى في هذا المحل. لكن نجزم بخطل هؤلاء وسذاجتهم وجهلهم بالشرع والواقع جميعاً، ولو في هذه الواقعة وحدها، والله أعلم بحالهم في سواها.

لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك في هذا الموضوع، لا أرى من تفاهة غرضه، لكن وَجب التنويه، والتحذير من تلك الفتاوى "الشوكلاتية"، التي تروق لأمثال على جمعة وأحمد الطيب والبرهامي، وسائر من يستخدمون لفظ "التكفير" أو "الإرهاب" ليغسلوا عقول العامة من آثار الإسلام بالتمام.

ولعل أحدهم أنْ يتفضل علينا بنشر تفصيلٍ شرعيّ في مناط البرهاميّ الخاص، ليدل على عدم ردّته، ولا أظن أحداً سيفعل، لعل أمثالنا يرتدع عن الحكم بردته، ونتوب إلى الله من زلتنا.

ورطة المسلمين في العصر الحاضر – بين ذليل وعميل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

كررنا مراراً في كثير من مقالاتنا أن الوضع الحاليّ للمسلمين لم يسبق له مثيل في تاريخ الإسلام. وهو وضع ينبئ بتآكل الجيل الحاليّ، بل والأجيال القادمة إلى وقت لا يعلمه إلا الله. وعن المسلمين نتحدث، لا عن الإسلام. فإن الإسلام باق ولو كره الكافرون، ولو كره الصهيو-صليبيون، ولو كره السيسيون، ولو كره السلوليون الخليجيون والغنوشيون والحفتريون، وسائر كفار هذا العصر، قبحهم الله أجمعين.

ولسنا ممن يدفن رأسه في التراب، ثم يدعى أنه لا يرى شراً قائماً أو خطراً قادماً. فإن هذا هو تعريق المغفل في لغة العرب، وفي كلّ لغة. بل الشرّ محيق بنا، من كلّ ناحية، نراه ولكن لا نشعر به، كأنه ذبابة نهشها عن أنوفنا! كيف لا والجهاد ماض

في الشام والعراق، والمساجد عامرة في رمضان، وأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لا تزال بخيرٍ إلى يوم الدين ، و.. و.. إلخ.

إذا نظرنا حولنا، لوجدنا أن المخطط الصهيو-صليبيّ قد آتى أكله، وأثمر وأينعت ثماره، إذ رعوه منذ بداية القرن التاسع عشر الميلاديّ، حق رعايته. بل قد آتى أكلاً لم يكن زارعوه الأوائل يحلمون بمثله، ولا قريبا منه.

ولسنا بصدد درس في التاريخ، لكن نريد أن نلقي ظلالا على الموقف اليوم من كافة زواياه، لنعرف حجم المشكلة، وحجم المطلوب للخروج منها، ومتى؟ كيف؟

المرة الأولى في تاريخنا يعيش المسلمون، كلهم، تحت نظم كافرة ملحدة، ليس فيها نظامٌ واحد مسلم، ولو من قريب. هذه حقيقة يجب أن تستقر أولاً في عقول وقلوب المسلمين ممن لا يزال في قلوبهم بقية حبٍّ لله ورسوله، وأثارة فهم عنهما.

وهذا، لا يعنى أنّ كلّ من يحيا تحت هذه النظم، كافر أو مشرك. لا والله، بل نحن نتحدث اليوم إلى من فيهم إسلام من هؤلاء. ونحن ندرك أنهم قليل، إذ خرج الكثير من الملة، لا على التعيين، تحت وقع الجهل والشهوة ومحبة الكفر التي زرعتها في أنفسهم وسائل إعلام تلك النظم، فتسرب الكفر إلى أنفسهم متعسعساً لا يشعرون به، حتى أصبحت قلبوبهم لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً. بل أسوأ من ذلك، أصبحت ترى المعروف منكراً والمنكر معروفاً. وأصبح الولاء للكفار، سواء في الداخل أو الخارج هو الأصل، لا الشذوذ.

أصبح المسلمون، كلهم بلا استثناء، يعيشوا تحت مظلات الكفر. منهم من هم في الشرق العربي، وهم الأسوأ حالاً، إذ صاحب الكفر، الظلم والاستبداد والقهر والسجن والقتل والتعذيب والتشريد. فهو كفر وفُجر اجتمعا، فسحقا المسلمين سحقا. ومنهم من يعيش تحت الكفر الغربي، وهؤلاء أحسن حالاً، إذ دخلوا تحت مظلة العدل العام الذي تظل مجتمعاتهم، والذي لا يستثنون منه أحداً إلا في مناسبات خاصة، تجرى على بعض المسلمين، وفي تخفٍ وحذر وتآمر.

إذن، لم يعد للمسلمين دولة مركزية، ولا غير مركزية، يفزعون اليها، تقوم بحمايتهم وحفظ حقوقهم. فصاروا كاليتامى، أماً وأباً، في هذه الدنيا، لا ترعاهم إلا يد العناية الإلهية، التي لا تتدخل في عالم الأسباب إلا لماماً وإعجازاً ليس محله أهل هذا العصر. فالمسلمون اليوم عبارة عن أفراد متفرقين، قد يجتمعون قبليا أو عائلياً، حسب العادات الإقليمية السائدة. وإن كان معظمهم يعيش اليوم في البيئة المدينية، أي ثقافة المدينة الكبرى[13]، فهم أقارب، يتزاورون، لكن قد يكون بينهم بعد المشرقين فكراً وتصوراً وتصرفاً. فهؤلاء لا يقوم بهم، أو عليهم "مجتمع مسلم".

وقد كان المخطّط الكفريّ العام، بقيادة الصهيو-صليبية، سائراً على منوالٍ محدد، إلى أن ظهرت بوادر من "المسلمين"، أو دعنا نقول "في أراضي المسلمين"، تدل على أن هناك بقية مقاومة داخل نفوس ذلك البشر المسحوق، مادياً ودينياً وحضارياً. وهي مقاومة أشبه بتشنجاتٍ المذبوح، قبل أن تفارقه الروح إلى غير رجعة. وكان من جرّائها ما يسمى "الربيع العربيّ". كذلك، ظهور مقاومة مسلحة جهادية في بعض الدول التي تسمح سيكولوجية أبنائها، وتاريخها، أن يظهر فيها مثل هذه الحركات، كالعراق والشام واليمن. وكان أنْ صار تعديل البرنامج الكفريّ العام، ضد الإسلام، ليريح المذبوح من ألم ذبحه.

وبدأت معالم برنامج جديد، تقوده علنا، الدولة السلولية والخليجيين، إذ هؤلاء مفضوحو الوجه والسريرة، لا حياء ولا ضمير أساساً. وتقوده الصهيو-صليبية سراً ، إذ الغرب لا، ولن، يتخلى عن النفاق السياسيّ، حيث يظهر وجه الحسرة على ضحايا القتل العشوائيّ في سوريا وغيرها، ويبطن التآمر للمزيد منه.

ظهر الدعم السلوليّ الرسميّ للسيسي وكلابه، من السلولية الخليجية، بشكل مقزز مجرم. وظهر تحالف "مَلَكيّ" يضمّ الممالك التي لم تسقط في القرن الماضي، كمملكة آل سلول وآل الصباح وآل طلال وآل خليفة وآل نهيان وآل مكتوم في الشرق وآل

[13] Metropolitan

الحسن في المغرب. كلّ ذلكم الآل، الذين آل اليهم نفط العرب، ففجروا وكفروا وصدوا عن سبيل الله، وقتلوا دعاته، ودعموا كل مجرمي الأرض للبقاء على ممالكهم، كفراً وجحوداً واستعلاء واستكباراً. ووالوا وعادوا في الكفر، ورفعوا شرع الله من حكمهم، وتمسحوا بشكلياتٍ نُسُكِيّة لا ينخدع بها إلا جاهل أهطل أو سلفيّ أخَبل ، ولا ينخدع لها إلا سروريّ أو إخوانيّ أو علوشيّ أو غنوشيّ.

ولم يبق اليوم، إلا جيوب المقاومة المسلحة الجهادية، التي انقسمت بالفعل إلى أقسام ثلاثة متناحرة، منها ما وقف في صف السنة، وألقى رجاءه على الله وعلى ما قد يأتي من نصر "المسلمين" في المَحلة، ومنهم من ابتدع بدعة الحرورية، فصار يقتل المسلمين لحساب النظم الكفرية المتآمرة كلها، فصاروا كلاب أهل النار، ومنهم من يحاول أن يقف وسطاً بين الإسلام والكفر، استصلاحاً، وهم أحمق في هذا الموقف من الرضيع الذي تهديه سليقته ألا يضع يده قرب النار إن لدغ منها مرة! وهاهم يرون المخطط "المُلوكيّ" يتجه إلى القضاء على كلّ ما يحمل اسماً إخوانياً، فما بالك بمن يحمل اسماً جهادياً سلفياً؟ فهؤلاء آثروا الصلح مع الكفر، وهم لا يعلمون أن الكفر لن يرضى بصلحهم، لكنهم لا يكادون يفقهون حديثاً. فاليوم إما إسلام أو كفر، ولا ثالث بينهما.

الواجب اليوم، على الشتات المسلم، المتمثل في أفراد علماء، أو جماعات متناثرة في أنحاء الكرة الأرضية، أن يروا رأيهم في كيفية التعامل مع هذا التجمع التتاري السلولي الجديد، الذي يظهر من أجندته أنه يؤمن بمفهوم الاستئصال والابادة، في أعلى وأبشع صورها. بل لا يكاد يكون مثله إلا ما رأينا من فعل الصرب مع مسلمي البوسنة في أوائل التسعينيات من القرن الخالي.

وأقول، أخيرا، إن التغيير لن يأتي إلا من الداخل. لن يكون إلا بإزالة تلك النظم، والقضاء عليها. ولهذا حديث آخر إن شاء الله.

د طارق عبد الحليم

5 شعبان 1435 – 3 يونيو 2014

العدو الصهيوني .. وقطاع غزة المَنسيّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

أوشكت الأحداث الجارية على أرض العراق، والشام، أن تنسينا ذلك الداء المقيم، الذي بات جزءاً من حياتنا اليومية، كأنه مرض مزمن قد آيسنا من شفائه، فعشنا مع بلائه، نتجرع ألمه ونحمل همه، وهو ألم الحصار الصهيوني لغزة وأهلها، دع عنك احتلال الكيان الصليبي لفلسطين كلها.

تأتي الضربات الصليبية على رؤوس الفلسطينيين، دون كلمة اعتراض واحدة من أي من كلاب الحكام العرب، ملوكاً ورؤساء وأمراء. فعاهل بني سلول مشغول بلقاء مرتد مصر لدعم التعاون على تعزيز الحرب على الإسلام. نعم، ولم يكلف نفسه، خاذل الحرمين هذا، أن يقول كلمة واحدة فيما يجرى من أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجريم الصلاة عليه. ولم يكلف نفسه أن يتحدث عن جرائم الصهاينة ضد شعب أعزل محاصر! كيف وهو، وبقية "أمراء" الخليج أصبحوا مكية للكيان الصهيونيّ رسميا، بل وللكيان الصفويّ على السواء. فلم يعد هناك كيان معاد للإسلام، إلا وهؤلاء مطية له، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

والعجيب، أن هذه الزيارة تأتي متزامنة مع قرار المرتد المصريّ ببيع أسلحة لحكومة المالكيّ، الذي هو، فرضاً، عدو للسلوليين "الوهابيين"، الذين اتهمهم علنا الأسبوع الماضي بمعاداة بلاده والتآمر عليها! فما هذه السياسة العربية التي جعلت العرب أضحوكة العالم، شرقه وغربه؟ كيف يجتمع الضدان، إلا في السياسة العربية الخائبة؟

الحصار المصريّ-الصليبي على غزة، ثم ضرب غزة بالطيران، وقتل أبنائها، ثم قبول كافة الدول التي تسمى نفسها إسلامية، بهذا الجرم، هو دليل آخر على ردة هذه الأنظمة كلها، وخروجها عن الاسلام قلباً وقالباً. وقد ظلّ آل سلول يحتفظون بالقالب

المسلم، يناورون به عقوداً، رغم ردة قلوبهم، إلى أن أصبح إسقاط هذا القالب لازم لضمان استمرار دولهم الخليجية، فإذا بهم يعلنوا ولاءهم للصهاينة، ورضاهم بقتل المسلمين وحصارهم، دون كلمة اعتراض واحدة! ورحم الله الملك فيصل، فوالله شتان بينه وبين هؤلاء السفلة ممن خَلَفَه.

السقوط الخلقيّ والعسكريّ هو نتيجة طبيعية لسقوط الكرامة، وفك عرى الإسلام. وهو ما تميزت به الأنظمة الحاكمة في أرض المسلمين منذ سقوط الخلافة، وعلو شأن العلمانية في المنطقة كلها. وقد أصبحت هذه القوى كلها، إن صح استخدام تعبير "قوى"، خادما ذليلا للغرب، وللصهيونية، وقريباً خداما للمجوس.

ومما يساعد على ترسيخ هذا الوضع الذليل، هو ضعف أهل السنة، وأقصد بهم من بقي منهم علي الإسلام، لا المرتدين من حكامهم وأتباعهم وأذنابهم. فالقوة السنية المتبعة لنهج النبوة، قليلة ضعيفة، لا أثر لها في مصر، إلا أقل القليل، وغاب عن فلسطين، بسياسات حماس الإخوانية، وأثرها في سوريا بات مهددا بقوى الغلو الخارجي الفاحش. وقد كسر مقاتلوا السنة ظهر التنظيم الحروري في الشرقية رغم قتالهم على جبهتين.

والوضع في غزة أشبه بالوضع في الجبهة السورية بالشرقية. إذ المسلمون في غزة يواجهون قوة صليبية متمكنة مسلحة للنخاع، تحارب عن عقيدة، وإن كانت باطلة. والشرقية فتواجه فيها القوات المقاتلة فراخا تائهة، لا قوة لها ولا عزيمة ولا عقيدة، من ناحية، وحرورية متورمة، لا تعبأ بدم مسلم.

أعان الله أبناء غزة على محنتهم، ورفع عنهم كيد الصليبية، وأراح المسلمين من تلك النظم الخبيثة التي تهدم الاسلام لصالح الصهيونية، وبقائها الموقوت على عروشها.

د طارق عبد الحليم

21 يونيو 2014 – 23 شعبان 1435

الإيمان .. بين العلم والتصديق والالتزام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

من الأهم الأسبق هو أن يفهم المسلم تفاصيل عقيدته، ومركبات إيمانه، حتى لا يدخل عليه الخلل فيها، فيتسرب في شكل انحرافاتٍ هنا وهناك، تزيد في هذا وتنقص من ذاك، فإذا به يمرُق من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يمرق السهم من الرميّة.

يتكون إيمان المسلم من ثلاثة عناصر، هي العلم بموضوعه، ثم التصديق بما علِم، ثم الالتزام به. وتفصيل ذلك، في عجالة سريعة، ما يلي:

أما العلم، فإنه لا يصح إيمان بمجهول، والإيمان بالشئ فرعٌ عن تصوره، قال تعالى "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك" فطلب العلم قبل العمل. والعلم المقصود هنا هو المعرفة، أيّ معرفة معنى لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، وهي أقل ما يجب لإثبات إيمان. ثم بعدها يأتي العلم بالواجبات الشرعية، حسب الحاجة للواجب المعين، على المعين، في الوقت المعين.

أما التصديق، فمطلق التصديق معناه إثبات صحة الخير إلى المخبر به، بلا زيادة. فإن هذا القدر من التصديق يقع من الكتابيّ والكاهن، أن يثبت صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون أن يتبعه، كما جاء في خبر كرز بن علقمة وأخيه، التي رواها بن القيم في زاد المعاد، قدوم وفد نجران، حيث قال كرزٌ لأخيه "فما يمنعك من اتباعه وانت تعلم هذا؟ قال أبو حارثة ما صنع بنا هؤلاء القوم. شرفونا ومولونا وأكرمونا (يقصد نصارى نجران)، وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت لنزعوا منا كلّ ما

ترى. فأضمر عليها منه كرزٌ بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك"[14] والتصديق هنا في مسألتنا ليس بهذا التصديق، بل هو تصديق ينبني عليه العنصر الثالث، وهو المتابعة والالتزام بموضوعه.

أما الالتزام، فإن له شقان، شق هو "التزام الإقرار والخضوع"، والشق الثاني هو "التزام التنفيذ"، فيتحصل لنا إذن أربعة أجزاء. و"التزام الإقرار والخضوع"، معناه أنه يجب على المسلم إعلان الإقرار بكل أمر ونهي في الشريعة، الخضوع لكل أمر ونهي، وهو ما تحملة دلالة كلمة التوحيد "لا إله إلا الله". أمّا "التزام التنفيذ" فهو يعنى التنفيذ العملي لكلِّ أمر ونهي في الشريعة حسبما وردت تكليفاً بها وامتثالاً بما أقر به المكلّف. وهذا القدر من "التزام التنفيذ"، هو ما يجرى فيه معنى الزيادة والنقصان، فالمسلم، بعد أن يتحقق فيه عنصريّ العلم والتصديق، يفعل المطلوبات بدرجاتها، وينتهى عن المنهيات بدرجاتها، قدر الاستطاعة، فيكون محسناً بفعلها، ومسيئا آثماً بتركها، والعكس. وهو القدر الذي يتفاوت فيه الناس بين محسن وظالم لنفسه، وهو موضوع زيادة الحسنات وتراكم السيئات. وهو ما يتصارع فيه المسلم طوال حياته مع الشيطان، يريد الشيطان أن يضله ضلالاً بعيدا، وهو يقاوم، بعد أن ثبت لديه الثلاثة أجزاء الأولى "العلم والتصديق والتزام الخضوع"، فيعمل الصالحات ويبتعد عن السيئات.

فالقاعدة أنّ من لم يعلم موضوع إيمانه، ليس بمؤمن، ومن لم يصدق بما علم، ليس بمؤمن، ومن لم يخضع ويُقر بما صدّق ليس بمؤمن. ثم يأتي دور العمل، يزيد وينقص.

ولا يحسبنّ أحد أن الأجزاء الثلاثة الأولى التي ذكرنا، والتي هي مدلول التوحيد أو الإيمان المجمل كما يسميه شيخ الإسلام، ليس فيها عمل، فإن هذا يجرّ إلى القول بأن التوحيد قول بلا عمل، وهو قول المرجئة. بل إن في التزام الخضوع، قدرٌ عمليّ، وهو الإتيان بما يكون تركه كفر من الأعمال، وترك ما يكون الإتيان به كفر من الأعمال، مثال إقامة الصلاة، أو ترك السجود للصنم. فالإيمان، بهذا النظر، قولٌ عمل، يزيد وينقص، كما عليه أئمة أهل السنة والجماعة.

وقد أخْطَأت في هذا المفهوم البسيط فرقتان، المرجئة والخوارج. أما المرجئة، فقد أخرجوا الالتزام بشقيه عن الإيمان، فأثبتوا العلم والتصديق لا غير، فصحّحوا إيمان من لم يُقر ويَخضع، أو من ارتكب بعض المكفّرات. وأما الخوارج فقد أدخلوا التزام التنفيذ بكامله في التوحيد، فلم يفرقوا بين الإيمان المجمل، والإيمان الواجب، فكان تكفيرهم لمرتكب المعصية من هذا الباب.

وقد قصدت في هذه العجالة أن أبيّن هذا القدر المبسط في هذا الموضوع العظيم الجليل، دون الدخول في تفصيلات كثيرة حول كلّ نقطة فيه، لفائدة المسلم غير الباحث، فيعلم إيمانه بشكل مجملٍ، فلا يضيّع مركباً منه، ولا يدخل عليه آخر ليس منه.

وقد فصّلنا هذا الأمر، من كافة جوانبه، في كتابنا "فتح المنان في بيان حقيقة الإيمان"[15] الذي نشرناه للمرة الأولى عام 1979، فليرجع اليه من أراد التفصيل بالإدلة والنقولات في كلّ نقطة مما ذكرنا.

يوليو 3 2014، رمضان 5 1435

عيد بأية حال عدت يا عيد؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

وحلّ عيد الفطر المبارك لعام 1435 من هجرة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام. انتهى شهر الصيام، شهر العبادة والتفكّر والتلاوة، وجاء العيد يحمل للناس أملاً واعداً في غدٍ قريب.

[14] "زاد المعاد" ج3 ص530، طبعة دار الفكر 1998.

[15] http://www.tariqabdelhaleem.net/new/upload/attach/12885433273Haqeeqat_Al-Iman.pdf

كلماتٌ يجب أن تخرج من الفمّ، فيصوغها القلم، حقيقة من القلب. لكن، واحسرتاه، لا أجد لها طعماً لفرحٍ، لا ألمح فيها معنى لبِشْرٍ!

فقد جاء العيد، ونحن أسوأ حالاً من أيّ وقتٍ مضى، في كلّ بقعة من بقاع أرضٍ كان الإسلام مُمَكَّناً فيها في يومٍ من الأيام. وإذا بكفر وعلمانية وولاية كفار هي التي تسود وترفع أعلامها عليها اليوم، دون خجل أو استحياء.

قل لي بالله عليك، كيف يفرح المسلمٌ، والدماء تسفك يومياً في غزة، أكفالاً ورجالاً ونساءً، لا غذاء ولا دواء، بتشجيع ودعم مرتدي الخليج، والتنسيق والحصار من مرتدي مصر ؟

كيف يفرح المسلم وبراميل بشار تقتل المسلمين يومياً؟

كيف يفرح المسلم والمسلمون ينحرون يومياً في أفريقيا الوسطي نحراً دون كلمة اعتراض واحدة من أيّ دولة في العالم كله؟

كيف يفرح المسلم وهو يرى من يدّعى الإسلام يقتل المجاهدين ويطاردهم ليصفو له التحكم والسيطرة في قطاع ألقته اليه يد التقسيم الغادر في سوريا العراق؟

كيف يفرح المسلم وهو يرى المسلمون يعتقلون ويُصَفَّون في مصر والشيشان وليبيا وغيرها من كافة أرض المسلمين، يقتلون بلا رحمة، على يد العلمانية المتواطئة مع الصهيو-صليبية؟

كيف يفرح المسلم وهو يرى الجهل تطفح به عقول "المسلمين" في كلّ بلدٍ "مسلم"، يُوقّرون ملوكاً ارتدّت عن دينها، ويُعظّمون رؤوساء خرجوا عن ملتها، إن كانوا قد دخلوا فيها أصلاً، يُحقّرون العلم والعلماء، ويَتّبعون الرويبضات والسفهاء؟

والله لولا أننا أمرنا بالخروج للعيد، وبالفرح لتمكين الله لنا من قضائه صياما وقياماً، ما كان يومه إلا يوم همّ عظيم وحزن مقيم.

أعاد الله العيد على المسلمين في عام قابلٍ بخيرٍ مما هم فيه اليوم، قد بُدّلت قياداتهم، وقويت شوكة مجاهديهم، وأفاق عوامهم من سبات جهلهم، وحَيَت عقولهم من موت غفلتهم.

د طارق عبد الحليم

27 يوليو 2014 – 29 رمضان 1435

السلفية الجهادية .. تسميات تستوجب الحذر!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

من أثقل الأمور على عقلي، وقلبي، هو التنطع في التسميات، وافتعال المصطلحات، التي هي، عند التحقيق، لا تضيف ولا تبين ولا تعين على فهم ما تحتها من موضوعات. بل العكس، تعين على زيادة الخبط والخلط، وتوسعة دائرة الباطل باعتساف بعض الحق تحت تلك المسميات.

وأضرب مثلاً بتعبير "السلفية الجهادية". ووالله لم أكن يوماً مرتاحاً لمثل ذلك المصطلح، الذي هو، عند التدقيق، فيه من الغرر والتضليل ما فيه. وقد سبق أن تحدثت في هذا الأمر، حين كنت في مصر إبّان حركة 25 يناير. ولكن نصح بعض الإخوة بعدم الحديث فيها بتوسعٍ لحساسية الأمر بالنسبة للعوام من متبعي "السلفية الجهادية"، فسيرمونني بكراهة الجهاد، ومحاربة السلفية!

والتضليل هنا يأتي من أن مركبات المصطلح، "السلفية" و"الجهادية" يحملان وجه حقٍ بإفرادهما. فالنسبة إلى السلف، تعنى حبهم واتباع خطاهم، فرضاً! والنسبة إلى الجهاد تعنى الإيمان به كمفهوم شرعيّ، وكطبيعة فطرية في النفس البشرية.

لكنّ المشكلة تأتي حين تضع اللفظين جنباً إلى جنب، فيتولد منهما أكثر من معناهما المفرد. وإذا بصورة جديدة تتشكل لجماعة من الناس، لهم إسلام خاص، أو طبعة خاصة من الإسلام، يتبعون فيها السلف، ويؤمنون بالجهاد! وهذا محض خطئ في الفهم وقصور في التصور.

فإن الله سبحانه، ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلماء الأمة المنتسبين لأهل السنة والجماعة، لم يأتوا بمثل هذا التصنيف، في أيّ فترة من الفترات، على ما مرّ بأهل الإسلام من عصور ذهبية ونحاسية!

عرفنا "الجهاد" و"المجاهدين" و "السلف الصالح"، لكن لم نسمع عن "السلفية" أو "الجهادية" إلا في هذه الأيام النحسات.

وقد يقول قائل: "وماذا في هذا التعبير؟ هو مجرد تمييز لصنفٍ من المسلمين يرى أنّ اتباع السلف وأن الإيمان بالجهاد ضرورة ووسيلة، فما العيب في هذا؟ ونقول: هذا بالضبط ما يعيب مثل هذه التعبيرات والمصطلحات، التمييز بباطل متلبسٍ بحق.

ذلك أن "الإسلام" يحوى مفاهيم وتصورات، وأحكام شرعية تغطى كلّ مناحي الحياة البشرية، نصاً أو اجتهاداً. ومن ينكر منها مفهوماً يقينياً، أو حكماً ثابتاً بنصٍ أو إجماع أو تواترٍ، فقد خرج عن الملّة، بفرض ثبوت الحجة عليه. ومن تلك المفاهيم والأحكام الثابتة بالنص، أحكام الجهاد. ومن تلاعب بها دون إنكارها كليّه فقد خرج إلى الفسق أو البدعة. قال تعالى: "ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ"التوبة 41، وقال رسول الله صلى الله عليه سلم في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه "من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد "النسائي، وهو في دفع الصائل.

كذلك، فإنه من الثابت، عقلاً وتواتراً أن اتّباع السلف الصالح هو وسيلة النجاة، وطريق الهداية. ففي الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بن حصين رضي الله عنه، قال :"خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"متفق عليه، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، "وإياكم ومحدثات الأمور"حسن صحيح رواه بن ماجة والترمذي، ومفهومها اتباع ما كان عليه السلف. وقد روى عن مالك "لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

من هنا، فأن يوصف جمع من الناس بهاتين الصفتين خاصة، يجعل المسلم يعتقد أنّ الصفتين فيهما خصوص، ويمكن أن يكون من لا يتصف بهما على حقٍ كذلك. كأن يقال "السلفية الصيامية"، أو السلفية الزكاتية"، أو "الخَلَفِيَّة الجهادية" وما شئت من تركيبات، لا يصلح منها شئ. إذ فيها تخليط وخبط، وإن صحت مفرداتها على العموم.

ولا شك أنّ استعمال "السلفية" كتعبير، أدى إلى أن يجعل هناك شرعية مستقلة لها دون أن تؤمن "بالجهادية"، والمدخلية الجامية السلولية والبرهامية المرتدة دليل على أنّ ذلك يوهم العوام أنّ الخلاف على تفصيلة في الشريعة، لا أنّ المنضوين تحت التسميات الأخرى إما مبتدعة أو مرتدة.

فصفة "المسلم" الإيمان بمشروعية الجهاد، وأنه واجب على المسلمين في كل وقت ومكان، دفعاً للصائل على أرضهم. ومن يقر بهذا فهو مسلمٌ يعرف دينه، ومن ينكره، كمفهوم، كان كافراً، ومن يخالف في توقيته، فهو إما جاهل أو مبتدع أو مجنون. ولا يحتاج الأمر إلى أن يوصف من يؤمن بهذا إلى الاندراج تحت "فرقة" السلفية الجهادية.

ومن صفات المسلم السنيّ أن يكون متبعاً للسلف، في قواعدهم وأصول نظرهم واستدلالهم، وفيما يجتمع بينه وبينهم من مناطات، يستهدى بفتاويهم ويسير على منهاجهم. ومن لا يؤمن بهذا، فهو المبتدع الضال المنحرف بلا بد. فما الداعى إلى نسبة "السلفية" هذه؟ فليس هناك إلا سنة أو بدعة، لا غير.

فسموا الأشياء بأسمائها، رحمكم الله.

د طارق عبد الحليم

6 شوال 1435 – 3 أغسطس 2014

خالد فهمى .. وشُبهاته حول تطبيق الشريعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مقال مطوّل، أرسل اليّ وصلتَه اليوم قارئٌ حبيب، تناول خالد فهمى أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية شرح مشكلته مع جمعة تطبيق الشريعة، كما عَنوَن لها[16]، والتي هي، في حقيقة الأمر، مشكلته مع تطبيق الشريعة، لا مع جُمْعتها! وقد انبهر بما قدّم عدد من طلبته كما أحسب، واثنوا على قدرته في التحليل والاستدلال.

ورغم أننا قد رددنا على تلك الشبهات كلها من قبل، كما ردّ عليها غيرنا، ولكن كما نعرف، نحن المصريون، قاعدة التكرار، التي يتعلم منه .... الشُطار! وليسمح لنا الأخ ممدوح اسماعيل أن نتولى عنه مهمة الرد على ما قل عنه الأستاذ "الملحوظات سطرتها لنفسي كنقاط استرشادية قبل ذهابي لمقابلة الأستاذ ممدوح إسماعيل في حلقة الأمس من برنامج "بتوقيت القاهرة"، إذ ليست هي مما يعجز أحد، ولو من طلاب الثانوية الأزهرية، أن يجيب عليها.

وقد حاول أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، أن يقدم المسألة على أنها بحثٌ علميّ دقيق شاملٌ غير مغرض ولا مُوجّه، لكن الأمر ليس بهذه السهولة يا أستاذ التاريخ، إذ هناك من الدارسين على وجه الحقيقة والاستيعاب ممن يتربص بمثل تلك المحاولات التي لا تُغرى إلا الأغرار.

ثم نذكرك وأنت الأستاذ الجامعيّ بالجامعة الأمريكية، بأنك لم تذكر مصدراً واحداً لما ذكرت، واستخفيت في ذلك بقولك إنها ملاحظات! فأقول لك، إنه لا اعتداد بما لم تذكر مصادره من نقولاتك، فلتتخذ من ذلك عادة فيما يأتى من أبحاثك، حتى لا يعود عليك العالمون بالتكذيب والإنكار.

وتدور ركائز هذا التحليل الذي وضعه الكاتب في شكل إشكاليات ثلاث، جاء عليها بأدلة حشد لها من كتب الفقه ما يجعل الأغرار ينبهرون بهذا العلم الفقهيّ الواسع، سنوردها فيما يأتى. وسيكون ردنا إن شاء الله، على كلّ مشكلة من المشكلات التي حيرت أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية.

أما المشكلات التي عرضها فهي

- **أولا: عدم وضوح المعنى المقصود بـ"تطبيق الشريعة"؟**

وتحديدا عدم الاعتراف بالاختلافات الهامة بين المذاهب، فالإسلاميون من إخوان وسلفيين وجهاديين وجماعة إسلامية يعتقدون أن الاختلافات بين المذاهب السنية الأربعة اختلافات هينة ويقللون من أهميتها . على أن أي قارئ في الفقه أو في تاريخ القضاء في الإسلام يدرك أن هذه الاختلافات لها تبعات مهمة.

- **ثانيا. المشكلة الثانية هو اعتقاد الإسلاميين أن الشريعة ولدت كاملة سامية شاملة،** وهذه هي كلمات عبد القادر عودة الشهيرة في كتابه "التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي."

[16] https://www.facebook.com/notes/khaled-fahmy/%D9%85%D8%B4%D9%83%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D9%85%D8%B9-%D8%AC%D9%85%D8%B9%D8%A9-%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9/429910200407134

مشكلتي مع هذا الادعاء هو إغفاله للتاريخ، فالفقه الذي بين أيدينا بصرامته وعبقريته وجمال منطقه وروعة بيانه لم يولد هكذا بل تطور عبر مئات السنين، و بالتالي فإن اقتصار نظرتنا لفترة الرسول والخلفاء الراشدين كفترة وحيدة يجب الاقتداء بها يمكن أن يجعلنا نهمل فترات أخرى لاحقة قد تكون ملهمة أكثر ومناسبة لحالنا .

- **ثالثاً: ذلك الاتهام القوي الذي يوجهه الإسلاميون لكل من يتساءل عن المقصود بالشريعة أو لمن يتردد في تطبيقها**

هؤلاء في نظرهم مغيبون منبهرون بالغرب، على أحسن تقدير ، أو مستقوون به، على أسوأ تقدير. هذا إذا غضضنا الطرف عن اتهامات العمالة والكفر التي كثيرا ما يرددها الإسلاميون لكل من اختلف معهم في هذه القضية. والحقيقة أن هناك الكثير والكثير من الأسباب التي قد تدعوا المرء للتردد عند موضوع تطبيق الشريعة.

- فهناك أولا الأسباب التي ذكرتها (أي أعلاه)
- ثانيا إن أخشى ما أخشاه أن يؤدي التقنين ليس فقط للتخلي عن تنوع الفقه ومرونته بل أيضا لاختيار أكثر الآراء تشددا من كل مذهب وصياغة قانون مصمت
- ثالثاً، الوقائع التاريخية التي تثبت أن هناك أسبابا عديدة كانت وراء صياغة القوانين المصرية الحديثة مثل القانون المدني والقانون الجنائي والقانون التجاري وقانون المرافعات وقانون الإجراءات الجنائية. إن القول بأن ما لدينا الآن هو قانون فرنسي لا يمت بصلة للبيئة المصرية المسلمة وأنه نتاج تقاعس النخبة القانونية والسياسية المصرية عن القيام بدورها التاريخي وعوضا عن ذلك افتنانها الأعمى بالغرب – كل ذلك هو محض افتراء.

هذا ملخص العناوين الرئيسة في هذا المقال، منقولة عنه نصاً بكل دقة وأمانة.

أمّا قولنا يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، فيما عرض عليك من شبهات، فهو كالتالي:

- **أولا: <u>عدم وضوح المعنى المقصود بـ"تطبيق الشريعة"</u>؟**

الأمر، كما بيّنا من قبل، لا يتعلق اليوم، بتطبيق مفردات الشريعة وحَسْم أيّ من أحكامها الواردة في فروع الفقه أولى من بعض، كما أشعرت به في مقالك، ولكنه **إعتماد مبدأ أنّ الشريعة هي المرجع الأول والوحيد الذي تستند عليه القوانين في مصر. وهو إرساء لمبدأ الطاعة لله وحده.** وبالطبع، فإنك لم تورد آية واحدة في كل مقالك الطويل، وكأن بينك وبين القرآن عداوة، تستشهد بها على ما ذهبت اليه. لكن نورد عليك آية واحدة لا نتعداها إن كنت من الفاهمين "وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ" المائدة 49 . هذا ما لا نريده بقومنا ممن يؤمن بهذه الآيات، لا من يتلاعب بها، أن لا يكونوا من الكفار الفاسقين.

تطبيق الشريعة هنا، يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، يعنى بالنسبة لخطوة الدستور هو **إرساء المبدأ العام، أن لا خلط بين شرع الله المُحكم المشتمل على كلّ خير والناهي عن كلّ شرّ، وبين أي شرع آخر من عند غير الله**، مما تراه أنت ومن معك، من نتاج العبقريات القانونية، والتي ليست إلا عقليات انحرفت بها الفطر، فخرجت عن الهدي السماوى. وما لتسميتك لهم بعبقريات قانونية أيّ وزن في ميزان الحق.

وإذ حَسمنا المعنى المراد بتطبيق الشريعة التي يطالب بها الخارجون في جمعة تطبيقها، فإنه يظهر أنّ كل ما أوردت من أمثلة لا محل له من الإعراب في هذا الشأن، لكننا سنجاريك في رحلتك القصيرة في أرجاء الفقه الإسلاميّ الذي تعاونت عليه عبقريات حقيقية على مدى ثلاثة عشر قرناً، مستندة فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحدها، في عشراتٍ من البيئات المختلفة والثقافات المتباينة والألسنة المتضاربة، فإذا بهذا الفقه يوفيها حقها، دون حاجة إلى أساتذة التاريخ في الجامعة الأمريكية أو إلى غيرهم في هذا الصدد. ثم نسأل، ألا يعجبك ايّ قولٍ من الأقوال العديدة التي وردت في الفقه الإسلاميّ، على كثرتها، حتى تدعها لنتاج قرائح الأوروبيين ممن يعبد الصليب، ويبيح اللواط؟

لقد واجه الفقهاء تحديات كثيرة، في تنوع الثقافات والبيئات، عالجوها كلها بما أصّلوا من أدلة شرعية مستنبطة من الكتاب والسنة، فجعلوا النص هو الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع، ثم استنبطوا أدلة الإجتهاد من القياسِ والاستصحابِ والاستحسانِ والمصالح مرسلة، والعرف وسد الذرائع، مما هو ثابتٌ في كتب الأصول، التي أنصحك يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية أن تطّلع على بعضها، قبل أن تذهب في مهمة تصيّد عدد من الأمثلة الفقهية، تعتقد أنك تحرج بها فقهاء الأمة!!

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن تفصيلات ما نقلت، بلا أمانة علمية، من أمثلة من كتب الفقه، نودّ أن نسأل متى كان التعدد في الآراء مانعاً من تطبيق أيّها على الإطلاق؟ أليس في هذا التعدد توسعة على المكلف، وعدم حجرٍ على القاضى؟ أليس هذا دليلٌ على القدر الهائل من السماحة في الأحكام الشرعية المبنية على الكتاب والسنة، وما ثبت منهما من أحكام وقواعد كلية؟ أتقول يا هذا أنّ أحكام القضاء ليس فيها تنوّع، وأنها ثابتة جامدة، كما يأخذ القضاء الأنجلو ساكسوني بحكم السابقة، فلا يجوز مخالفتها[17]؟ أهذه هي المرونة والحرية الفكرية عندكم يا علمانيو العصر؟ أليس في هذا تقليل من قدر القاضي الحالّ، بأن يُفرض عليه رأي من سبقه، لمجرد أنه سبقه بالحكم؟ ثم إنه من المعلوم أنّ الدولة تتبنى رأياً محدداً يكون عليه المعوّل في الأحكام العامة، ثم تدع للمحاكم الشرعية الحرية في تطبيق أفضل وأنسب الأحكام، دون تقيدٍ بسابقة حكم، إذ القاضى الحالّ هو صاحب القول الفصل في الواقعة المنظورة.

ثم ننتقل إلى ما نقلت، بغير أمانة علمية، عن كتب الفقه في الأمثلة التي أوردتها.

قلت: "وبالتالي في حالة الزوجة التي تطالب بفسخ نكاحها لغياب الزوج يشترط الأحناف مرور 99 أو 120 عاما على غياب الزوج حتى يسمح للزوجة بالتفريق". وهذا عيبٌ عليك، فإن هذا قولٌ واحدٌ منقول عن أحمد بن أصرم عن الإمام أحمد، وهي تسعون عاماً من تاريخ ميلاده لا تاريخ غيابه. وهو ما قدّره الإمام أحمد، في هذا القول، كأطول عمرٍ يعيشه الغائب. ثم، لماذا لم تنقل أقوال مالك والشافعيّ والمشهور من قوليّ أحمد أنها تتربص أربعة سنواتٍ لا تسعين سنة[18]؟وما الضير أن يكون الحكم في هذا حكم المالكية والشافعية إذا؟ أهذه هي الأمانة العلمية يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية؟

أما عن **الخلع**، فإنى ممن يرى أحقية المرأة في الخلع، لا بحسب قول المجلس القوميّ للمرأة، الذى هو مجلس علمانيّ ساقطٌ حتى النخاع، ولكن بناءً على حديث امرأة ثابت بن قيس المروي في البخاري، وقد كتبت بحثاً مفصلاً في هذا الأمر لم ينشر بعد. أما عن العِوض في الخلع، فوالله إنه لمقتضى العدل، تتزوج المرأة رجلاً، وتعاشره، ثم تريد فراقه، فتذهب ومعها ما أعطاها؟ أهذا هو العدل ليدكم يا علمانيو العصر؟ وكيف إذا تبررون أن الله قد جعل حقاً على المُطلِّق أن يعطى النفقة الشرعية، ونفقة الحضانة إن لزمت، والمتعة حسب ما تيسر له؟ أنقر هذا ونرفض ذاك؟ أيّ عدل هذا يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية؟ ثم إن عليك إقرارك بأن الحنابلة قد جعلوا الأمر أيسر في موضوع الخلع، فلم لا يكون مذهبهم هو المذهب المعتمد، رغم أننا في بحثنا قد ذهبنا إلى أبعد مما قالوه في حِلّ الخلع أصالة، بناء على صريح السنّة؟

أمّا عن **الحرابة**، فقد أوردتَ قول الله تعالى، لمحادته لا استشهادا به"إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الْأَرض"المائدة 33. وهذا يجعل مبدأ الحرابة مقرراً بشكلٍ قطعي الثبوت، لا أدرى كيف تتفلت منه كمسلمٍ! ثم يبقى التطبيق والتفصيل الذي جادت بالكثير منه قرائح الفقهاء، التي لا تعتمد على منطق أوروبا، بل على القواعد الشرعية والأدلة الكلية المستنبطة من الكتاب والسنة.

وقد قلت في مشكلاتك" قال أبو حنيفة :يجب أن تكون في مكان لا يوجد فيه إمكانية الغوث، وبالتالي فلديه الحرابة لا توجد في المصر، أي في المدينة. الشافعية اشترطوا الشوكة والتكبر، وبالتالي يمكن أن تحدث في المصر". فنقول إن أبو حنيفة قد أعمل مبدأ "ادرؤوا الحدود بالشبهات"، وهو مبدأٌ عظيم النفع، وبه تحقن دماءٌ وتُعصم أرواح، فقرن أبو حنيفة بين الشبهة الواردة من وجود الصبيّ والمجنون في العصبة، وبين المرآة، وجعل ذلك دارئاً لحدّ الحرابة، لتخلف وصف المحاربين عنده، وإن لم

---

[17] The Anglo-American common-law tradition is built on the doctrine of Stare Decisis ("stand by decided matters"), which directs a court to look to past decisions for guidance on how to decide a case before it. This means that the legal rules applied to a prior case with facts similar to those of the case now before a court should be applied to resolve the legal dispute. (The Legal dictionary).

[18] انظر المغنى بن قدامة ج7 ص326

يسقط به حدّ السرقة أو القتل أو أيّ مما قد تكون العصبة قد ارتكبته، وهو ما لم تذكره يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية. ثم إنّ الشافعيّ وأحمد لم يسقطا بهذا وصف الحرابة، وأقاماه على المرآة دون الصبيّ والمجنون، كما أقاماه على العصبة لأن الوصف قائم عندهما. فما الخطأ في اختلاف الاجتهادات هنا؟ والدولة لها كما ذكرنا أن تتبنى قولاً يجرى به العمل في القضايا العامة ومنها الحرابة، ويكون هذا بناءً على ما تتخيره لجنة العلماء من أصحاب العلم والتقوى والإنتاج، لا من العلمانيين الليبراليين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة الأمريكية؟

ثم يقال في اختلاف الفقهاء فيمن يعتد بشهادته في إثبات الحرابة، ما قيل من قبل، إنّ في هذا إختلاف تنوع يثرى الأحكام الفقهية لا يلغيها.

- **ثانيا. <u>المشكلة الثانية هو اعتقاد الإسلاميين أن الشريعة ولدت كاملة سامية شاملة</u>**، وهذه هي كلمات عبد القادر عودة الشهيرة في كتابه "التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي."

والحق أن هذه المشكلة من أكثر مشكلاتك سفاهة يا "دكتور" خالد فهمي! تقول "المهم هنا هو تركيز الإسلاميين على فترة السلف الصالح وإهمالهم لثلاثة عشر قرنا من تاريخ الإسلام وتحديدا من تاريخ المجتمعات الإسلامية وتاريخ الدول والأنظمة الإسلامية. كل ذلك يسقطوه عندما يركزون على فترة الرسول والخلفاء الراشدين دون سواها، وعندما يغفلون تاريخ الممارسة الفعلية مفضلين التركيز على تاريخ الفكر(أي الفقه). وبالتالي أرى في موقفهم اللاتاريخي هذا تعاليا ليس فقط على المختلفين معهم في الوقت الحاضر، بل أيضا تعاليا على كل من سبقهم في التاريخ الإسلامي الممتد على مدار ثلاثة عشر قرنا باستثناء الأجيال الأولى القليلة التي صاحبت ميلاد الدعوة المحمدية".

وهذا قليل من حقٍ أريد به كثير من باطل، فقد شملت جملتك غلطات ومغالطات، نهنؤك على حصرها بهذا الكم الكبير في هذا العدد الصغير من الكلمات. فإن الإسلاميين لم يهملوا شيئاً قطّ، وهي دعوة مفرّغة من الحقيقة. إنك، كبقية العلمانيين، لا تفرّق بين مصدر التشريع، الذي هو كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما قد كَمُلا بلا خلاف ساعة وفاة سيدى وسيدك رسول الله صلى الله عليه وسلم "ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا" المائدة 3. ثم ألحق الفقهاء بهما ما أجمعت عليه الأمة خاصة في عصر الصحابة، وما أجمعت على فعله الصحابة رضى الله عنهم، لقول سيدى وسيدك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية برواية الترمذيّ "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم ير اختلافا كثيرا ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني والأرنؤوط. هذا ما يتمسكّ به المسلمون يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، الأصول الثابتة. ثم إن المسلمين (الذين تسميهم الإسلاميون) قد سلّموا بتطور الفقه، بلا تعديل في أصوله الثابتة، ولكن بما أنتجته قرائح العلماء من طرق الإستنباط من تلك الأصول كما بيّنا سابقا في تنوع أدلة الإجتهاد، ثم ما انبنى عليها من فقه، تجاوز المنصوص عليه، لا كما زَعِمتَ أننا نقف عندها، إذ من المعلوم المقرر أن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة، فلزم الإجتهاد. هي بديهياتٌ وردت في كل كتب الأصول والقواعد الفقهية بلا استثناء. فقولك محضَ إفتراءٍ علي المسلمين (الذين تسميهم الإسلاميون).

ثم إشارتك المتشابهة التي وضعتّها بين قوسين لتسوّى بين بين الفكر والفقه، هي مردودة عليك. ولا أدرى ما أقول يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، إن فات عليك الفرق بينهما. فالفكر لغة هو "إعمال الخاطر في الشئ"[19] ، واصطلاحاً هو إفراز عقليّ لفردٍ بعينه بناء على معطيات شخصيته وقدراته العقلية واتجاهه النفسيّ. وهو إما أن يكون تأملاً كما طلب الله سبحانه التفكّر، والتوسم، أو يكون مستقلاً عن المعارف القائمة لينشأ مركباتٍ فكرية جديدة كما فعل الفلاسفة. أما الفقه، فهو في اللغة العربية "الفهم"، وهو يستلزم أن يكون هناك مادة ثابتة يقع عليها "الفكر" لغة" إن شئت، أو الفهم، فلا يخرج فقهها عن محتوى ما تنتمى اليه المادة ذاتها ولا يعارضها، والتي هي في حالتنا هذه الكتاب والسنة، وما استنبط منهما من أدلة.

ثم لا ندري ما وجه حيرتك في "وجود المصادر التاريخية العديدة التي تمكننا من النظر بموضوعية لنماذج عديدة لتطبيق الشريعة عبر العصور. هذه المصادر ليست كلها كتب فقه، بل تشمل أيضا سجلات المحاكم الشرعية، ومجموعات الفتاوى، والحوليات التاريخية، وسجلات قضاء المظالم التي سميت في مصر في القرن التاسع عشر بمجالس السياسية والتي تزخر دار

[19] لسان العرب ج5 ص 150

الوثائق ببولاق بالآلاف منها". من الذي قال بعدم الرجوع إلى هذه المصادر، أو عدم استعمال ما ثبت ملاءمته و موافقته للأصول الشرعية وطرق الإستنباط المرعية؟

نحن نعرف أن الفقه تطوّر، بمعنى أنه ازداد ثراء لأنه عالج ما لا يحصى من الحالات والحوادث، وأنّ عقولاً جبارة قد تناولت النصوص، حسب القواعد التي لم يخرج عليها أحد، فتأمّلتها، وجمعت بين أطرافها، وحققت مناطاتها، وتركت لنا هذا الثراء الفقهيّ الذي تريد أنت والعلمانيين المعاصرين أن نغضّ الطرف عنه لصالح أوروبا وقوانينها!

ثم نأتي إلى ما يزيد من حيرتك، وما يزيد من يقيننا بشرعنا. قلتَ معترضاً على قبول الدية في القتل "فالقتل في الشريعة حق من حقوق العباد، عكس جرائم الحدود الأخرى، وبالتالي فمن حق أولياء الدم أن يقبلوا بالدية أو حتى أن يصفحوا عن القاتل. ذلك أمر له تبعات خطيرة على المجتمع وعلى الدولة، ذلك أنه يعني عمليا أن الأثرياء يمكنهم الإفلات بالقتل، كما يمكّن الأقوياء في المجتمع من إرهاب الضعفاء حتى يقبلوا بالدية أو حتى بالعفو". وغفلت وتغافلت عن أن تقول أولاً أن القصاص هو الذي يسقط بالعفو لا الحدود. ثم ثانياً أنّ هذا في القتل الخطأ ابتداءً، إذ لا يجب فيه إلا الدية، أما القتل العمد فالأصل فيه هو قتل القاتل، إلا إن عفى له من أولياء الدم "فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ" البقرة 178. وقد نصّ القرآن على حكمة ذلك أنه تخفيف من الله ورحمة، وأين أنت يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية ممن قالوا بحقوق الإنسان، فأسقطوا عقوبة القتل رأساً دون تصالح ولا دية، كما في غالب ولايات أمريكا، ومعظم دوا أوروبا التي تسترشد بقوانينها؟ أليس هذا مدعاة للشنآن والرغبة في الانتقام والأخذ بالثأر، أم أن يتصالح القوم ويتراضوا؟ وما الحكمة في إغلاق هذا الباب كلية، وفيه حقن للدماء؟ أيكون ما ذكرت من أن "الأثرياء يمكنهم الإفلات بالقتل، كما يمكّن الأقوياء في المجتمع من إرهاب الضعفاء حتى يقبلوا بالدية أو حتى بالعفو"؟ أيكون الحلّ عندك هو الإغفال عن الحكم الشرعيّ وتبديله، وهو يعنى قصوره وعدم صلاحيته، لا أن تتخذ الإجراءات الكفيلة بصحة تطبيقه، ثم هل القانون المخالف قد ضمن صحة التطبيق؟

ثم تنتقل إلى أزمة تالية عند عقلك المشتت بين الشرق والغرب: قلت "المشكلة الثانية في قضايا القتل تتعلق بطرق الإثبات في الفقه، فحتى يتمكن القاضي من إصدار حكم بالقصاص يجب على القاتل أن يقر بفعلته أو على المدعين أن يأتوا بشاهدين تتطابق شهادتهما في كل التفاصيل. عمليا هذا شبه مستحيل، إذ أنه يعني عمليا أن أحكام القصاص يمكن أن تطبق فقط على القاتل الأهبل الذي يرتكب جريمته في وضح النهار، الأمر الذي يمكن شاهدين عدلين من مشاهدته، أو على قاتل شهم ذي مروءة ونخوة يصحو ضميره فجأة ويذهب للقاضي بعد ارتكاب فعلته ليقر بها. أما وإن أغلب حالات القتل لا يرتكبها أي من هؤلاء القتلة فكان معنى ذلك أن أحكام القصاص في التاريخ (وليس في الفقه) أحكام نادرة جدا. ففي سجلات المحاكم الشرعية المصرية من القرن التاسع عشر، مثلا، نجد أن 2% فقط من قضايا القتل حكم فيها بالقصاص". احترنا بين الليبراليين من حفظة حقوق الإنسان وبين الليبراليين ممن هم ضد حقوق الإنسان!! أليس في هذا حفظ للنفس حتى لا تقتل هباءً؟ كما في الشهود الأربعة على الزنا؟ ثم قد قصر علمك يا أستاذ التاريخ، فإن الفقهاء قد أثبتوا طرقاً كثيرة في باب شكل الجريمة من باب القياس، حين قاسوا القتل بالمثقل على القتل بالمحدد على سبيل المثال. والأهبل حقيقة هو من جهل ما في الشرع من حكمةٍ اقتضت هذه الشروط، ومن تنوّعٍ يشمل كافة الأحداث والوقائع.

ثم إذا بك تصل إلى ما أردت، وهو أنه "إذا كان الأمر كذلك، فقد رأى فقهاء القانون المصري ضرورة استكمال أحكام الشريعة بقوانين أخرى تسمح للمشرع أن يثبت جريمة القتل بأساليب أخر". هذا بيت القصيد عند العلمانيين والليبراليين الخارجين عن شرع الله! يصلون بطرقهم الملتوية وحججهم المدحوضة إلى نتيجة يضعونها قبل مقدماتها، إنه يجب إغفال الشريعة، أو استكمالها (كأن بها نقصاً والعياذ بالله)، بما في قوانين البشر.

ثم يتحسر أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية لماذا يطلق المسلمون علي أمثاله كفاراً؟ عليك بمراجعة أيّ كتابٍ من كتب الفقه الذي تطور خلال الثلاثة عشر قرناً لترى أن الجملة التي أوردتها آنفا من إنه "ضرورة استكمال أحكام الشريعة بقوانين أخرى" بعد أن قال تعالى أنّ الدين قد اكتمل، ثم يأتي من هو مهينٌ ولا يكاد يبين، فيوصى بضرورة إكمال الشريعة من قوانين أخر! هذا كفر بواح، مهما ولولت وتباكيت على التكفير والردة التي يرميك بها المسلمون (الذين تسميهم الإسلاميون)، فما هو إلا ما سطرت يداك وأفرز عقلك وتلاعب به شيطانك.

- **ثالثاً: ذلك الاتهام القوي الذي يوجهه الإسلاميون لكل من يتساءل عن المقصود بالشريعة أو لمن يتردد في تطبيقها**

تقول "هؤلاء في نظرهم مغيبون منبهرون بالغرب، على أحسن تقدير ، أو مستقوون به، على أسوأ تقدير. هذا إذا غضضنا الطرف عن اتهامات العمالة والكفر التي كثيرا ما يرددها الإسلاميون لكل من اختلف معهم في هذه القضية. والحقيقة أن هناك الكثير والكثير من الأسباب التي قد تدعوا المرء للتردد عند موضوع تطبيق الشريعة".

يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، إن الإختلاف في هذه القضية، قضية إقرار مبدأ الطاعة لله وحده في الحياة كلها، وكونها مادة أعلى من الدستور، ليس من قبيل الفكر، بل هي مرتكز التوحيد الذي يقتضى عبادة الله وحده، أي طاعته، فالعبادة يا أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية هي الطاعة في لغة العرب، وفي المصطلح القرآني، إن كنت من الجاهلين! هذا أمرٌ لا يقال فيه "اختلفنا مع الإسلاميين"، بل يقال فيه "اختلفنا مع ربّ العالمين"! وهو، من ثمّ ، أمر كفر وإسلام، رضيت بذلك أم لم ترض، وفهمت أم لم تفهم.

ثم لماذا لا تعترف بتقديرك وحبك للثقافة والقوانين الغربية، وثقتك في اتزانها وعدالتها أكثر من ثقتك بالشرع الإسلاميّ، وأنت ومن معك، تدعون إلى إهدار فقه ثلاثة عشر قرناً، لأجل فكرٍ مختلطٍ في القرن والنصف الماضيين، فقط بسبب تعدد الآراء الفقهية؟ لماذا لا تخرج على الناس بحقيقة ما تقول؟ ما الذي يخيفك؟

أما عن مخاوفك الأخرى التي ذكرتها، وهي:

- "ثانيا إن أخشى ما أخشاه أن يؤدي التقنين ليس فقط للتخلي عن تنوع الفقه ومرونته بل أيضا لاختيار أكثر الآراء تشددا من كل مذهب وصياغة قانون مصمت".

وما الذي يدعوك لهذا الظن يا أستاذ التاريخ؟ أين هؤلاء الذين يتخذون ،أكثر الآراء تشدداً فيمن ترى اليوم؟ الإخوان المسلمون، الذين هم أشدّ ليبرالية من كثير من العلمانيين والليبراليين، أم السلفيون الذين تخلوا عن نبذهم للديموقراطية، وولجوها من أوسع أبوابها بمجرد أن انفتح بابها أمامهم؟

- "ثالثاً، الوقائع التاريخية التي تثبت أن هناك أسبابا عديدة كانت وراء صياغة القوانين المصرية الحديثة مثل القانون المدني والقانون الجنائي والقانون التجاري وقانون المرافعات وقانون الإجراءات الجنائية. إن القول بأن ما لدينا الآن هو قانون فرنسي لا يمت بصلة للبيئة المصرية المسلمة وأنه نتاج تقاعس النخبة القانونية والسياسية المصرية عن القيام بدورها التاريخي وعوضا عن ذلك افتنانها الأعمى بالغرب – كل ذلك هو محض افتراء".

إنّ هذه كلها مخاوف في عقلك المُتمَرّد على الشريعة ابتداءً لا أكثر ولا أقل. فإن حصيلة المائة والخمسين عاماً التي تتحدث عنها، لابد أن تكون موضع اهتمامٍ ومحل دراسة شاملة شافية من فقهاء القانون المسلمين (الذين تسميهم الإسلاميين)، وأن يأخذوا بأحسنها بما يتوافق مع قواعد الشرع الحنيف وثوابته وأصوله وكلياته.

تقول "وباختصار، مشكلتي مع مليونية اليوم أنها تطالب بما قمنا به بالفعل، كمصريين، على مدار 150 سنة. أما القول بأن ما لدينا هو قوانين غربية غير نابعة من البيئة المصرية فهذا افتراء وكذب وإهدار لمجهود فقهاء قانونيين ودستوريين أجلاء. بل هي نابعة من بيئة مصرية تلوثت في ال150 عاما الأخيرة"

نقول، نعم، هي قوانين نابعة من ثقافة وبيئة مصرية مختلطة، غزتها الثقافة الغربية التي أنتجت أمثالك، منذ عصر نابليون وجهود محمد على ورفاعة الطهطاوى في التغريب، على مر المائة والخمسين عاماً التي تقدسها.

مشكلتي معك ومع سائر العلمانيين أنهم يهدرون جهد أربعة عشر قرناً من البناء ، ثم يتباكون على جهد المائة والخمسين عاما الأخيرة من الهدم.

ثم، أخيراً، لقد بنى الأستاذ كلّ هذه الملاحظات، على فكرة رئيسة هي استحالة تطبيق الشريعة، بتفاصيلها لتعدد الآراء الفقهية. وهو أعجب سببٍ يمكن أن يخرج به عقل رجلٍ أكاديميّ حرّ. فهل ياترى حين يتعارض رأي الديموقراطيين والجمهوريين في أمريكا بشأن تطبيق قانون ما كقانون إباحة اللواط، أو زواج المثليين، أو تطبيق ضرائب على الأغنياء دون الفقراء، أو أي

قانون شئت، وما أكثر ما يختلفون فيه، أطالبهم أحدٌ أن يتنازلوا عن البناء الديموقراطيّ كله مرة واحدة؟ أهذا هو ما دار عليه جدلك السالف؟

ولعلى هذه الوريقات قد أنارت لك السبيل فيما تساءلت فيه، فإن لم يكن، فهو ليس من الله ولا منى، بل هو من الشيطان، أعانك الله عليه.

ضرورات بدهية في تقييم الأحداث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أودّ، قبل أن أنشأ في هذا المَقال، أنْ أُبَسِّط أمراً، في دائرة أصول الفقه، أراه لازماً ليستفيد القارئ ما أمكن مما يأتي، وهو يتعلق بأصناف الأحكام التي يخضع لها المسلم في حياته. فالأحكام صنفان، أولها الأحكام الشرعية، ولها شقّان، التكليفية، وهي خمسة، الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، ثم الوضعية، وهي خمسة، السبب والشرط والمانع، والرخصة والعزيمة، والصحة والبطلان. ثم الصنف الثاني وهو الأحكام العقلية، ويعنى بها الأصوليون ما هو ثابتٌ في العَقل الإنسانيّ من ضروراتٍ لا تتخَلّف، كقولنا أنّ الكلّ أكبر من الجزء، وأنه يستحيل اجتماع الضدين. وتتكون في العقل البشريّ أحكام "عادية"[20]، تربط بين هذين الصنفين وتصبح لازمة من لوازم العقل المنطقيّ.

المُمكن، والمُحتمل، والمقدور عليه

ثلاثة أصنافٍ، تشترك فيها الضرورات العقلية مع الأحكام الشرعية الوضعية، يجب أن يتفهمها الناظر في شؤون الاجتماع وحركة التاريخ، حيث تتشابك معانيها عند الكثير من الناس، مما ينعكس على أحكامهم على الأحداث والأفكار والناس.

فالممكن، هو قسيمُ المستحيل. وذلك يعنى أنّ كلّ ما هو ليس بمستحيل، فهو ممكن بالطبع. والمُمكنات أكثر من أن تُحصى، إذ هي كلّ ما يَتصور العقل وقوعه، بلا استحالة. ومثيل ذلك أن يطرق باب بيتٍ رجلٌ يقول أنّ قريباً لهم مات وترك لهم وللعائلة مئات الملايين من الجنيهات! وممكنٌ آخر أن أن تشرق شمس الغد على عبد الفتاح السيسيّ، فإذا به يشهد أن لا إله إلا الله حقاً وصدقاً، وأنّ شرع الله لابد أن يسود في بلاد المسلمين، وأنّه قرّر الإفراج عن كافة المعتقلين، وتسليم نفسه للمحاكمة حسب قواعد الشريعة وأحكامها. هذه كلّها من المُمكنات، إذ لا يُتصَور فيه استحالة عقلية. ومثل هذه المُمكنات أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة.

أمّا **المحتمل**، فهو تخصيص من الممكن بإحتمال الوقوع. فالمُحتمل هو الممكن الذي يتعلق به سببٌ ظاهر. إذ إنّ من تلك الممكنات ما يصاحبه أحوالٌ وأسبابٌ تَرْجُح بها ملابسات تجعلها أقرب للتحقق، وأسهل في تصور الوقوع من غيرها من الممكنات. من ذلك أن يُقال لمن يطلب وظيفة ويسعى لها أنّ هناك من سيطرق بابه في الأيام القادمة بخبرٍ سارٍ، أو أنْ يقال أنّ استمرار التظاهرات سَيَسْهُم في إسقاط النظام السيسيّ الكفريّ. هذه المُحتملات لها شواهد تجعلها مقبولة في العقل، وقريبة من المنطق. فالساعي للعَمل بجِدّية، سيجد بغيته على الأرجح، والتظاهرات هي بلا شك قلاقل تسهم في زعزعة النظام تجعل سقوط النظام باستمرارها سبب محتمل من بقية الأسباب التي تؤدى لتلك النتيجة.

[20] أي تصبح من قبيل العاديّ المقبول عقلاً ومنطقاً.

أمّا **المقدور عليه**، فهو تخصيص من المُحتمل بما يمكن أن يقوم به المُكَلّف[21]، سواءً كان فرداً أو جماعة. وليس كلّ مُحتملٍ مقدور عليه. بل تتحدّد القدرة على المحتملات بقدرة المُكلّفين، كما تُحْكَم بالأحكام التكليفية، طلباً ونهياً وإباحةً. فمثال ذلك أن يُطالبَ فردٌ بعينه بالإلتحاق بالجهاد، وهو غير قادرٌ عليه ابتداءً. وعدم القدرة هنا إمّا أن يكون عن عجزٍ جسدي طبيعي، وهو المرخّص فيه شرعاً، أو تأهيلي كانعدام الدُرْبَة، فيطالب الفرد بالتدريب، لكن لا يحاسب على عدم الجهاد لعدم القدرة عليه. أو يكون عجزاً نفسياً كالجبن والخوف، وهو ما يوقع في الإثم والحرج[22]. أمّا عن الجماعة، فإنها تأثم كلها إن لم يوجد فيها من يقدر على فعلٍ مطلوبٍ كالجهاد وغيره، إلا إن كان عدم القدرة هنا يختصّ بطبيعة عامة تجعل أفرادها لا يحسنون هذا العمل ابتداءً، كما نحسب أنّ المصريين لا يُحسنون الصراعات المسلحة، أسميه جهاداً أو غير جهاد، إلا المحترفين منهم كأفراد الجيش مثلاً. فهذا الطلب يُعتبر محتملاً لكنه من غير المقدور عليه بالنسبة لهم.

ثم من المقدور عليه ما هو مفعولٌ، وهو ما يثاب عليه الفرد، أو متروك وهو ما يحاسب عليه، فمثال ما هو متروك مع القدرة عليه الدفاع عن النفس ضد العدو الصائل، كما يحدث في مصر من تصدى للرصاص بالصدر المكشوف مع القدرة على الدفاع عن النفس، فهذا واجبٌ مقدورٌ عليه متروك معاقب علي تركه.

والأصل، هو أن يقوم الفرد بكلّ واجبٍ شرعيّ عينيّ كلّفه به الله سبحانه. ثم يأتي من بعد ذلك أصناف الناس ودرجاتهم في اختلاف القدرات، ومن ثمّ اختلاف طبقاتهم في حساب الآخرة، بين ظالمٌ لنفسه، ومقتصدٌ ومُسارعٌ للخيرات.

وفائدة هذا التصنيف الذي ذكرنا هو تنمية قدرة القارئ المهتم بالشأن الإجتماعيّ والسياسي في بلاد المسلمين على أن يرى الأوجه المتعددة التي ينظر بها الفقيه عادة إلى الأحداث، سواءً على مستوى الفرد أو الجماعة، ومن ثمّ يحكم على أدائه أو أدائها بما يوافق حكم الشرع.

ولعلي لا أكون أعْسَرْتُ على القارئ أمرَه، فليسامحنا، ولنجتهد سوياً في التعرف على أصول النظر، ليكون حديثنا على بصيرة.

مصر ... والشّرعية الإسلامية

إن الحمد لله نستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد

حين أنشأنا التيار السني لإنقاذ مصر، مع أخي الحبيب الشيخ الفاضل د هاني السباعي، كان الغرض منه إنقاذ مصر من التوجه الإخوانيّ الذي رأيناه، وقتها[23]، ليس بمُجدٍ، لا في قريب آجل ولا بعيد عاجل. ذلك إننا رأينا أن الإنبطاحية والإستسلامية والتنازلات التي لا تتوقف عند حدّ، حتى حدود الشريعة الثابتة، لن تشفع لأصحابها عند الغرب الصهيو-صليبي. فهؤلاء لا يرضون إلا على من ربوه على الولاء لهم والكفر بالإسلام ابتداء. أمّا من تحدث بإسلام يوماً، أيّا كان نوعه ولونه،

---

[21] المُكَلّف، يعنى المسلم الذي هو تحت تكليف الله سبحانه.

[22] وهو ما يقع هنا بين أمرين "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها"، وتحقق الوجوب العينيّ عليه. والفقيه يحكم حسب الحالات الخاصة، ويكون المطلوب بما هو مقدور عليه، لا بترك الأمر كلية، كأن يجاهد بالكلمة، أو بالمال، أو بكليهما.

[23] http://www.tayarsunni.com/ar/news.php?readmore=10

كالغنوشي الذي ارتد علنا في غالب قراراته الديموقراطية، أو الاخوان الذين تلاعبوا بمفاهيم الدين الثابتة، حكمة وسياسة، بزعمهم، فلم ولن يرضوا عنهم مهما كان. وها نحن نرى مصيرهم في تنحية الإخوان، والتشريد بهم في مصر، ثم حزب النهضة الشركيّ في تونس. والعجيب أن أحبار الديموقراطية "الإسلامية"، القرضاوي وشلته، لا يزالون يسيرون في نفس الخطى الثابتة إلى الى الهلاك، يهنئون العلمانيين "بعرس الديموقراطية" في تونس!، "ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشدا".

لكننا ما فتئنا أن أدركنا أن إنقاذ مصر ليس بتغيير نظام حكمٍ، أو تبديل حكومات، بل الأمر أكبر من ذلك وأعمق.

وتحول إنقاذ مصر، من إنقاذ لشعب غالبه مظلوم، إلى إنقاذها من شعب ضلّ غالبه طريقه في الدنيا، فتبع هواه، وانحرفت فطرته.

إنقاذ مصر لم يعد بتكوين جماعة مسلحة، ليست إلا ندرة بين الناس، تضرب موقعا هنا أو تقتل جنودا هناك، فإن هذا لن يقضي على جيش كامل دان بالولاء لسيده السيسي، ونظام متكامل يدعمه بكل وسائل الدعم. بل هذا قصور في فهم الواقع وتقدير احتياجات تغييره وقلب معادلات وجوده.

إنقاذ مصر لن يكون، والله تعالى يقدّر الأقدار، إلا بالعمل على تغيير قناعات واعتقادات شعب ارتدّت كثرته، بعلم أو بجهل، فليست هذه نقطة البحث، ومن ثم تكوين قاعدة شعبية متوازنة، تتراوح في موقفها من القلة المتحركة بين المؤيد القليل والمحايد الكثير. هذا أكثر ما يطمح فيه من أراد تغييرا في مصر. إذ اليوم يتأرجح موقف القاعدة الشعبية من الندرة المتحركة بين المعادي الكثير والمحايد القليل، وهي من ثم معادلة لا تنشأ توازنا، بل تميل بالكفة في صالح الكفر القائم، والفسوق السائد والعصيان المستقر.

لقد تكفّأ الشعب المصريّ في مسيرته الأخيرة نحو حرية موهومة، بنيت على سراب بقيعة ديموقراطية إخوانية، فلما عاجلها وعالجها النظام العالمي بيد عصبة الشر العسكرية، التي اعتمدت على جيش خائن عميل مدرب على الولاء لمن يطعمه، وعلى مؤسسات تقوم على خونة عملاء أو أتباع أذلاء، ثم على مخزون هائل من الحشد الاعلاميّ والنفسي طوال ستين عاما كاملة، يزحزح الإسلام عن مكانته، ويطيح بالعلماء ويقتل الدعاة وينشر الفسق والعهر والرضى بهما بالتعود عليهما، فانقلب الشعب على وجهه، بعد تكفّئه.

راهن الإخوان، وما أكثر رهاناتهم الفاشلة، على تحركاتٍ ندرة كالعدم، في بحر الشعب المصريّ، سلاسل بشرية ومظاهرات أسموها "مليونية"! وكان الفشل واضحا جلياً منذ الأيام الأولى لسيطرة السيسي على البلاد. وأصبح الصراع يدور أساساً على شاشة الجزيرة، وينحصر غالبا في توصيف سيطرة السيسي، ثورة أو انقلاباً! وكأن في ذلك حلّ القضية، وفي اتباع أمانيّ أنّ "الانقلاب يترنح"، ومن قال غير هذا فهو متشائم جهول. قلت في مقال لي، نشر بتاريخ 25 أكتوبر 2013، تحت عنوان "جيل الاستبدال ... وجيل التمكين": "إن القلب ليكاد ينفطر حين أقول ما سبق أن قلت، أنّ الباطل قد غلب في هذه الجولة ..." وقلت "هذا الإعداد هو حق الله علينا الآن. حق الله على القادرين عليه. القادرين على منحه، والقادرين على تلقيه. العلماء والدعاة، وطلبة العلم والحركة. يحسن اليوم بالعلماء والدعاة، من بقي منهم خارج السجون، أو من بقي في قلبه ذرة من شجاعة ممن هم خارجها، أن يدرك أنّ العلم الشرعي الأكاديمي ليس هو المطلوب لإعداد جيل التمكين. فنحن لا نعيش في ظل دولة إسلامية، نتفيأ ظلال العدل ونتحاكم إلى الشرع، فنتمتع بالبحث العلميّ وتحقيق المخطوطات، وتدوين الهوامش على كتب السلف. هذا علمٌ يصلح في عصر الخلافة إن شاء الله، لكنه ليس علم إقامة الإسلام بلا خلاف."[24]

المهم اليوم، بل الأهم، أن تجد الدعوة وسيلة ومتنفساً لتستمر ولو على أضيق نطاق، فإن خطة العدو واضحة، وَأد الدعوة في مهدها، بكل وحشية وبلا رحمة، بل ووَأد كلّ فضيلة قد تؤدى يوما لإحيائها، ونشر كلّ رذيلة تؤدي إلى البعد عنها.

[24] http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-71806

والمهمة اليوم قد تبلغ من الصعوبة حداً يصل بها إلى مشارف المستحيل. فقد استوعب العدو دَرس الحَركات الشّعبية العربية، ونهوضها ضد الظلم، ففكّر وقدّر، فقتل حيث قدّر، ثم عاد كأشد ما يكون عداءً وبطشاً وإجراماً سافراً. وساعده على ذلك إعداد ستين عاما من علمنة للفكر وشيطنة للإسلام. كما أعانه علماء سوء، دسّوهم وأنموهم على أعينهم، بلغ بهم المبلغ أن يرتدوا عن دين الله جهارا نهارا، حتى إن أحدهم قال بكل تبجح، ذاك اليوم على التلفاز، إن النصراني المقتول شهيد في الجنة، بل قد يكون أعلى درجة من المسلمين!

عاد الأمر اليوم كلية إلى غيبِ الله المكنون، وقدره المخزون، لا نعلم عنه شيئا. وما علينا إلا أن نحاول ما استطعنا، ثم الأمر بيد صاحب الأمر، يتدخل بحولِه وقوته لحفظ دينه من الزوال. وتدخله سبحانه واقع لا محالة، لكن لسنا في موضع لنعرف الكيف. هذه أيام تَدَبر آياته سبحانه "حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ" يوسف 110.

د طارق عبد الحليم

2 نوفمبر 2014 – 9 محرم 1436

ماذا يعني فشل أحداث 28 نوفمبر؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد

مبدأ أمنت به منذ فترة، يخص قيام الثورات الشعبية، وهو إنه لا يمكن أن يحدد لها وقت أو زمان أو مكان. فالثورة الجماهيرية الناجحة هي انفعال شعوري يعبر عن ألم مكتوم مشترك بين طبقات الجماهير، لم يعد يمكن السيطرة عليه، وكما لم يعد يمكن تحديد اتجاهه وآثاره، تماما كالفيضان العارم، أو العاصفة الزاحفة أو الزلزال المدمر. ومن ثم لا يمكن أن يحدد له موعد ولا مكان. تلك هي صفات الثورة الناجحة.

من هنا، فقد تشككت كثيراً في نتائج ما سيكون من حراك في 28 نوفمبر، لكني حرّضت وشجّعت حتى لا أكون عاملا سلبياً في المعادلة. وكان أن فشلت الانتفاضة بكل المقاييس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أسباب الفشل عديدة، ولكنها واضحة مفهومة.

1. سيطرة السيسي التامة على الجيش والشرطة والإعلام والقضاء وكافة قطاعات الدولة بلا استثناء.
2. انهيار الغالبية الجماهيرية وكفرها بالإسلام ديناً، وتبعيتها للسيسي، وهم من أطلق عليهم شعب السيسي.
3. ضعف الأقلية المسلمة المتبقية في البلاد، عددا وعدة، فغالبها من العائلات المسكينة التي لا حول لها ولا قوة في تغيير.
4. ضعف التصور الإسلامي عند الأقلية المسلمة ورضوخها للتصور الإخواني الباطل من حيث دعوتهم للديموقراطية والسلمية، وكلاهما يتناقضان مع منهج السيسي في الديكتاتورية الفاشية والقتل الجماعي، ومع المنهج الإسلامي في العدل والجهاد.
5. تعدد الخيانات وكثرة المنافقين والمشركين بالله ورسالته، كما رأينا من سلفية برهامي المجرم المرتد، وخنوع بقية من كانوا يوماً جماعات إسلامية.

وقد أتت براءة مبارك والعادلي لتكمل صورة الاستهزاء التام بأي حركة إسلامية تتحدث عن تغيير في مصر.

ما العمل إذن؟ وما هو دور المسلم اليوم.

الطرق الآن واضحة، والخيارات بيّنة، ولم يعد هناك جدل في إسلام من وكفر من. ولا اتحدث هنا عن شعب السيسي وحثالته، وإنما عمن بقي فيهم شعرة نسب للإسلام وذرة محبة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

إما أن يتبنى السلبية المطلقة، فلا يكون له في الأمر شيء، قولاً أو فعلاً أو إقراراً، كما قال لي أحدهم، ممن حسن إسلامه، بعد صلاة الجمعة أول أمس "أنا خلاص طلقت السياسة، مالي دعوة بالسيسي ولا بغيره"! وهؤلاء ما نراهم إلا من الهالكين.

وإما أن يكون ممن غسل الإخوان عقولهم، فأرادوا إسلاما من غير طريقه، ونصراً بلا تكاليفه، وآثروا القتل على الجهاد التي يدفعونها على أية حال! وهؤلاء لا حيلة فيهم، إنما هم عون حينا وعائق أحياناً.

وإما أن يكون ممن اتبع السنة وأخلص لمنهجها، وهؤلاء هم الأمل المعقود، وسنتحدث عنهم لاحقاً.

وإما هم من الشباب المسلم المتحمس، ممن لا يعرف خريطة العمل الإسلامي، فهؤلاء بين طريقين لا ثالث لهما، أولهما، أن يدفعهم اليأس والإحباط في طريق الغلو، فيتابعوا الحرورية البغدادية، جاهلين إنها الوجه الآخر الفاسد من العملة الإخوانية. أو أن يلتحقوا بأهل السنة والجماعة.

أما عن أهل السنة، فإن الطريق أمامهم اليوم واضح على صعوبته. لكننا يجب أن ندرك إننا، بفضل التصرفات الإخوانية العبيطة، وسياسة التفاوضات والمصالحات والمشاركات لا المغالبات، وكلّ هذا الهراء المزرى الذي تبنوه، فأودى بهم، بنا، قد عدنا القهقري ثلاثة أرباع قرن من الزمن، بل أسوأ. فإن القيم الخلقية لدى الشعب المصري، في الربع الأول من القرن الماضي كانت أفضل ألف ألف مرة منها اليوم، كما لم يكن التبجح بالفسق والنفاق علنيا كاليوم، ولم يكن هناك من أمثال برهامي وعلى جمعة والطيب من منافقي العصر ومرتدي المشايخ، إلا قليلا معروفين، كعلى عبد الرازق أو طه حسين اللذين طردهما الأزهر، بل كفرهما رسمياً!

طريق أهل السنة اليوم، كطريقهم في كل جيل مضى. الثبات على العقيدة الصحيحة، والتمسّك بها، ورفض البدع بكل أشكالها وأنواعها، مهما ظهر لبادى الرأي إن لها ظهور أو مكاسب. ثم الدعوة لدين الله بحذر وسرية، وتكوين خلايا دعوية، تتحرك بين الأهل والمعارف، ممن يوثق بهم لا غير، وتوثيق عرى الأخوة بين تلك الخلايا، دون نظام هيكلي محدد، أو بيعات طفولية. فإن بيعة الإسلام تكفي في هذه المرحلة، كما كانت في العصر المكيّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أما اليوم فهؤلاء ولدوا وشبوا على الإسلام، ليسوا بحاجة لبيعة عليه ابتداءً، فلا يغرنهم أقوال جهالٍ مفتونين.

وهي مرحلة أظنها ستطول، وسيعقبها، أو يتوازى معها، بعد نضجها، مراحل أخرى تقوم على أنواع أخرى من الجهاد ودفع الصائل، لكن لا نرى محلاً لها اليوم، بعد أن رأينا مدى ضعف وهوان المقاومة الإسلامية في 28 نوفمبر.

والله ولي التوفيق.

د طارق عبد الحليم

29 نوفمبر 2014 – 7 صفر 1436

دروس لن ننساها .. في رحلتنا إلى المستقبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد

هناك ثوابت يجب أن تستقر في قلب المسلم وعقله ووجدانه، إذ هي في عجينة خلقه وأسِّ فطرته.

أولها أنّ دين الله سبحانه لا ينهزم، إنما ينهزم من يحملوه، إن حملوه بضعف أو استهانة أو استكانة أو على غير نهجه أو ابتدعوا فيه أو بدلوه.

ثم إن دين الله باق لن يزول ولن يحول، فهو أساس الخلق، وهو سنته الكونية، وإنما تتخلف سننه الشرعية في حين أو في أحيان، لغياب من يحملونها.

ثم، إن أعظم في هذا الكون هو دين الله سبحانه، والقرآن الكريم سيظل محفوظاً أبد الدهر، فلا يمكن عقلاً ولا كوناً أن يغيب أو ينتهي، كيف وهو كلمات الله الباقيات، إنما هو غياب الآذان التي تسمعه أو الأبصار التي ترى به أو الأفئدة التي تشعره.

ثم إن الباطل ضعيف زهوق، وإنما قوته نسبية حسب ما يقف أمامه من حق. وقد يظن أهل الحق أنهم على حق كامل، فلم يهزمهم الباطل. الجواب بسيط، أنهم ليسوا على الحق الذي يتصورون، وأنهم عن حقيقة الحق محجوبون، وأنهم في تصوراتهم واهمون، لذلك هم عن النصر بعيدون. فإن كانوا أضعف من الباطل، ففيهم من الباطل ما يضعفهم بلا شك.

ثم إن السنن الكونية لا تتخلف ولا تتبدل ولا تنحرف إرضاء لأحد، ولو كان من أصلح الصالحين، من أولياء الله المتقين. فإن الله قد خلق الدنيا على تسلسل الأسباب والمسببات، لا تتخلف الأسباب إلا لمعجزة، ولسنا متعبدين بانتظارها. فمن أوقع سبباً فعليه أن يرتقب نتيجته لا تتخلف. ومن تخلف عن إيقاع سبب، فمن البله والعته أن ينتظر تحقق نتيجة[25].

ثم إن الحق لا وسط له، بل هو الوسط ذاته، فمن أراد أن يقف في منتصف الطريق بين الحق والباطل، لم يكن على الوسط الأعدل بل كان على باطل. فالوسط يقع بين باطلين، لا بين حقٍ وباطل. وهو الدرس الذي لم يعيه الإخوان حين سلكوا مسلك المفاوضات والمناورات والاتفاقات، يعتقدون أنهم بهذا وسط، فسقطوا وأسقطوا.

ثم إن القوة لا غنى عنها، في دعوة الكلمة، وفي دعوة اللسان وفي الجهاد بالسنان. القوة قاعدة الحق وحاميته. القوة هي اللبنة الأولى في أساس هذا الكون، لذلك فإنه "لا حول ولا قوة إلا بالله". القوة هي التي تأتي بالنصر لا الضعف، ولا السلمية ولا الخذلان ولا كلّ الأوهام. القوة بكلّ معانيها، إيمانية ومادية ومعنوية وشعورية. ولا يدخل الضعف أمراً إلا أفسده. ولا يجتمع ضعف وقوة، قال صلى الله عليه وسلم "والله لقد جئتكم بالذبح" فأراهم قوة في حال حسبوه ضعيفاً. وفرق بين الارتقاب في قوة لعدم المقدرة، وبين الضعف والخذلان مع المقدرة، لا يستويان.

ثم إن الدين قد اكتمل، نصوصاً وقواعداً ومنهجاً. من ادعى أنه يجب تجديد ثوابته فقد هرطق وخرج عن ملتنا. إنما التجديد في تطبيق قواعده الثابتة وتنزيلها على الوقائع المتجددة لا غير. ودعاة التجديد هم الدعاة على أبواب جهنم، وهم أبواق الشياطين، وهم أئمة المضللين.

ثم إنّ العلم لا يشرف به حامله إلا إن كان على نهج النبوة، وإلا فحامله كالحمار يحمل أسفاراً، بل هو أضل من الأنعام، إذ قد رفع الله التكليف عن الأنعام! وهؤلاء هم علماء السلاطين والحكام، تراهم في عمائمهم وقفاطينهم وطُرحهم، تحسبهم على شيء، وهم هملٌ على همل. يتحدثون في التوحيد كأنهم على إسلام، ثم إذا بهم يمجدون من ينفق أموالا طائلة ليصد عن سبيل الله، ويعين الكفار ويواليهم ويقتل المسلمين من الدعاة والمجاهدين، فيخرجون من دين الله كما يخرج السهم من الرمية، من باب الولاء والبراء.

ثم إن النصر لا يمكن أن يتحقق على نهج غير نهج النبوة، وعلى غير طريق الله سبحانه. ذلك إنه "نصر الله" نسبه لنفسه سبحانه في كلّ مناسبة " فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا" الأنعام 34، و "حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا" يوسف 110، و "حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ؟ ونفاه عن البشر " لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ" الأنبياء 43. فقد يكون توسع، أو تمدد أو تورم أو سيطرة أو ما شئت من مسميات، بل حتى إنه يمكن أن يصل البعض إلى حكم دول عريقة كمصر، لكنه ليس "النصر" الذي وعد الله سبحانه، بل هو وهمٌ خدّاعٌ لا يدرك حقيقته، ويحذر منه، ويعرف نهاية مساره، إلا من نظر بنور الله.

ثم إنّ الطغاة يد واحدة حين يكون الأمر خاصاً بالإسلام، فكلهم أعداؤه، وكلهم يريدون به وبأهله الشر، سواء الحكام أو الملوك أو السلاطين أو القادة العسكريون أو الجند الموالون المتابعون، بلا فرق بينهم، عربي وأعجميّ. عدوّنا هم كلّ من وقف في سبيل شرع الله ودينه فمنع إقامته على وجهه، وقتل أوليائه، وسعى في خراب مساجده، وكرّس ماله لمحاربته، وإن تستر باسمه

[25] راجع بحثنا المنشور في مجلة البيان اللندنية عام 1986 "مفهوم السببية عند أهل السنة" في ثلاثة أجزاء http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-75 & http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-76 & http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-77

واختفى وراء عباءته. فنحن نرى "خادم الحرمين" في الجزيرة، و"أمير المؤمنين" في المغرب، و"عبد الفتاح" في مصر، وآل نهيان وآل خليفة وكلّ "آل" في الخليج! لكن هم حرب على الإسلام وعلى أهله، وعون للصليب وأهله، فلا حول ولا قوة إلا بالله. يتعاونون بينهم مخابراتياً، لكسر شوكة أي جهاد يمكن أن ينشأ حكما بشرع الله، إذ كيف وهم أول من ينقض شرع الله، سكراً وعربدة واستحلالاً للفروج ونشراً للفساد والعهر وتعاملاً بالربا، وولاء للمشركين وتعظيمهم، ورفع قدرهم على قدر أي مسلم مهما كانت كفاءته. ويكفي أن ترى كيف يتحدث طاغية خليجي صغير القدر لمسلم غير خليجيّ، ولو كان عالماً في مجاله، كأنه من جنس أدنى، وكيف يتحدث هو نفسه لرجل عاديّ نصف متعلم أزرق العينين أشقر الشعر، يتحدث الإنجليزية، كأنه من كوكب آخر! هوانٌ وذلٌ وعار وخسة وانعدام ضمير وقلة كرامة، لا غير.

ثم إن أول السلم العلم، بدونه لا نصر ولا منهج ولا حق. ولن يضع قدمك أحد على سلم العلم إلا عالم، فالسلالم كثيرة مختلطة، والطرق متعددة متشعبة، فلا تغتر بنفسك، ولا يغرنك بالله الغَرور[26]، كما غرَّ السامرائي والعدناني جهلة الحرورية، أوهموهم إنهم لا حاجة لهم بعلماء، لما نأى عنهم كل من تحلى علم، وإنهم على دين الحق ومنهاجه، وإنهم لا يريَنَّهم إلا ما يروا ولا يهدينهم إلا سبيل الرشاد! فكانوا هم "الغَرور" لهؤلاء الجهلة الضالين.

ثم إن اليأس لا محل له في حياة المسلم المادية والشعورية، لكل ما تقدم. فالمسلم يعلم أن العدل قائم لا محالة، وإن لم يراه، فإن رأي ظلماً فهو من انحراف أهل العدل عن عدلهم، وبعد أهل الحق عن حقهم، فيدفعه هذا إلى النشاط والدفع لا إلى التراجع والطلح[27].

ثم إن النية الحسنة لا تغنى عن العمل شيئاً، فنصر الله لا يأتي لنية، بل لعمل متكامل، نية ولسان ويد، أفرادا وجماعات، بحسن تنظيم وقيادة رشيدة. هذا مطلوب ولو كنت ينبحث عن حذاء مفقود، فما بالك إن كنا نتحدث عن بناء أمة ساقطة وحضارة مندثرة؟ أخلص نيتك ما أردت، فهي خطوة أولى، لكن إن لم تتبعها بما بعدها، فستبقي في حيز العدم، لا حركة ولا إنجاز "وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ" التوبة 105. فجعل الله العمل مقياس الحساب.

ولنا من بعد حديث يطول عن دروس الماضي وعبره إن شاء الله.

د طارق عبد الحليم

1 ديسمبر 2014 – 9 صفر 1436

الشخصية الإسلامية .. على نهج النبوة

الحمد لله الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه سلم وبعد

(1)

تتطبع الشخصية الإنسانية عادة بتلك البيئة الحضارية والثقافية التي يحيا بها صاحبها، فترى أقواله وأفعاله وتصرفاه ومشاعره، ناشئة من رحم تلك الثقافة دون أن يشعر بأي تكلف أو تصنع لهذه الأقوال أو الأفعال أو التصرفات. ومن هنا عرف علماء الاجتماع الثقافة بأنها "هي تصرف الأفراد بشكل متماثلٍ دون شعور"[28]. فهي إذن مجموعة الطرق التي ترسمها الجماعة الإنسانية، فتستقر في عقول وقلوب أبنائها، وتنطبع بها فكرهم وعملهم، وتصبح لهم فطرة ثانية، بل فطرة قائدة.

[26] الغَرور: أصلاً الشيطان يزين لأوليائه الباطل، وينسحب على كلّ من يغرّ أحداً فيبعده عن الحق بالباطل.

[27] الطلح: التعب والإعياء

[28] "Without knowing it, they all behave alike".

والمسلمون ليسوا بدعاً من ذلك الأمر الذي هو سنة من سنن الله الكونية. بل هم كغيرهم من الأمم، تنطبع تصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم ومشاعرهم بالبيئة المحيطة، أي الثقافة التي ينشؤون فيها، فيحبون ما يحب الغير، ويكرهون ما يكره الغير، ويتمثلون بأقوال وأفعال كبرائهم، دون أن يشعروا.

ومن هنا، فإن الله حين أنزل الرسالة، لم يرسلها كتاباً يتلوه رسول الله صلى الله عليه سلم، ويعلمهم تفاصيله. بل جعلها حياة يحياها رسول الله صلى الله عليه سلم بينهم، ونجّم القرآن تنجيماً ليبني هذه الثقافة، بالتوازي مع سنة رسول الله صلى الله عليه سلم، فتتكون تلك البيئة، وتسود تلك الروح الثقافية السارية، بين الناس، فنشأ جيل الصحابة مشبعاً بتلك الروح الثقافية الحضارية، قولاً وفعلاً وشعوراً. وهذه الروح الثقافية الحضارية هي ما تعودنا أن نسميه "المنهج". وهو الذي عرّفته في كتابي القادم[29] بإذن الله، بأنه "المناحي العقلية والمسلمات المنطقية، المبنية على قواعد الشرع الكلية ومعطيات العقل الضرورية، التي يسلكها العقل للنظر في الأحداث الواقعة، ويستدل بطرقها على حكم الشريعة في تلك الأحداث".

ثم، حدث الخلل، تدريجياً، وتشبعت البيئة الحاضنة للشخصية الإسلامية بمكدرات لا حصر لها، من بيئات الفتوحات، فصارت الروح الشخصية الإسلامية أضعف، حتى وصلت على ما نحن فيه اليوم من انهيار تام وذوبان في الثقافات العلمانية المحيطة.

(2)

والقصد هنا هو الإشارة إلى منحى هام وأوَّلى من ذلك النهج النبوي الذي أنشأ تلك البيئة الفريدة الحاضنة، لأفضل جيل عرفته البشرية. ذلك المنحى هو التكامل في بناء الشخصية الإسلامية على النهج النبوي.

ذلك أن ما حدث من خلل في التركيبة، لتعدد مصادر تلقيها، مع بقاء الرغبة في التمثّل بالحياة السنية الصحيحة أن ظهرت النظرة المفككة" للشخصية الإسلامية. وهو أمرٌ طبيعي حين تتعدد المصادر وتتشابك وتتعارض. وهو ما أدى في العصور السابقة لعصرنا إلى شيوع الفسق، جنبا إلى جنب مع وجود العلم والعلماء. وما ذلك إلا لتفتت الشخصية واجتزاء النهج النبويّ، بدلا من أن يكون متكاملاً ينشأ عنه إنسان سويّ متجانس.

وكان من نتيجة ذلك أنّ تلك الرغبة الباقية في قلوب من لم تتحلل شخصيته الإسلامية تحللاً تاماً، وبقيت فيه بعض الرغبة في أن يكون على "منهاج السنة"، أن نظر إلى السنة تلك النظرة "المفككة"، فظن أن شخصية المسلم تتكون من خلال النظر الجزئي إلى مركبات السنة، والتعامل معها. فمثلا، تجده يبحث عن أحاديث الوضوء أو الطهارة أو الربا أو أحكام الجهاد أو غيره من "أجزاء السنة" و"مفردات الشريعة"، يطبقها جزئية جزيئة، مع بقاء الخلفية الثقافية التي كونت شخصيته الإنسانية في المقام الأول، والتي هي مركبات من ثقافات عدة متنافرة متضاربة. فينشأ من هذا الخليط، نفسية مضطربة مفككة متحللة، تركن في كثير من تصرفاتها لأحكام البيئة التي زرعت فيها طرق فهمها وتوجهاتها الأساسية، ثم تراها تفعل "القص واللصق" مع مفردات الشريعة، تريد أن تجد لها مكاناً في ذلك الخليط المتنافر. ومن ثمّ، تنشأ شخصية غير متوازنة، وغير متجانسة، كالإنسان المركب "فرنكنشتاين"، الذي أراد موجده أن يسويه رجلاً، فشوّه صورته، وجعل الصغير في الجسد كبيراً والكبير صغيراً.

(3)

[29] "التقريب في توضيح الموافقات - معالم في المنهج"

من ثم، وباعتبار ما ذكرنا، فإن الشخصية الإسلامية السوية، لا يمكن أن تنشأ في مثل هذا الجو المضطرب المخلط. بل هي نتاج تجانس[30] اجتماعي وثقافي يضع المفردات الشرعية والخلقية في موضعها من البناء الشخصيّ، دون زيادة أو نقص، بل بالنسب التي ارتضاها كما وقعت في التركيبة الجسدية للإنسان "الذي أحسن كل شيء خلقه".

ذلك ما حدث في نشأة الجيل الفريد، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم. فأمر تكوين الشخصية، هو أمر ممارسة ومعايشة ومتابعة، قبل، وأهم من أن يكون أمر دورات علمية ومعلومات تحصيلية.

لذلك ترى الفشل في غالب التركيبات الجماعية في "الجماعات الإسلامية". بغض النظر عن الخلل العقديّ. فالجماعة التي ينطق أبناؤها يسرق أبناؤها، بغض النظر عن السبب، هم ذوي شخصية سارقة أصلاً، ومن قتل فيها فشخصيته شخصية قاتل، وإن رأيته ملتحيا مقيماً للصلاة، فتلك هي المفردات التي لم يَحْسُن تسكينها في موضعها من الشخصية الإسلامية، فخرج "المسلم" مشوهاً مفككاً، يعمل بمفردات شرعية تجعله يشعر إنه المسلم السني الحق، ثم تغلُب عليه أحكام البيئة المشوهة المخلطة من ناحية، وما عليه طبعه، سلباً أو إيجابا، من ناحية أخرى. بل إنّ هذا التشوه قد أصاب القادة، بل الدعاة، بل بعض مدعى العلم، إذ هم وليدي نفس البيئة والمعطيات، فما بالك بالأفراد والعوام.

الشخصية المسلمة السنية القويمة، هي نتاج حياة وممارسة ومعايشة، تهذب وتشذّب، وتضبط وتحكم، وترخى وترسل، حسب المواقف والحالات والأحداث، وهي دائما في إطار كليات الشريعة، التي ترسم منهج الحياة، لا تعمل بمفردات شرعية، ثم تهمل كلياتها، كما أوضحنا مسبقاً في أصل بلاء أهل الأهواء.

فإذا تمّ هذا الأمر، تكونت الشخصية المسلمة السنية التي غابت عن ساحة الإسلام قرونا، تدريجياً، حتى أصبحت اليوم نادرة ندرة اللؤلؤ في الصدف.

يجب أن يفهم أبناء الحركة الإسلامية خاصة، والمسلمون السنة عامة، موضع الضعف الذي نواجه، ومن ثم نعرف لِمَ نحن مهزومون، على كلّ الجبهات، ولِمَ نجد في حركات يُفترض إنها إسلامية كالعوادية الحرورية، قتلة ولصوص وسوء خلق ولسان. ونجد في حركات أخر كالإخوان، ضعفاً وترددا وحيرة وتغيّب عن الواقع. وكلها حركات نشأت من هذه التركيبة التي وصفنا. إلى جانب أنّ أصحاب الطبع المتقارب من العنف وسفك الدماء والتعدي على الحقوق، يجتمعون تحت لواءٍ واحد، وأصحاب الطبع المتراخي المنبطح المستسلم يجتمعون تحت راية واحدة[31]، وكلهم يتصيّد مفردات شرعية وأحاديث نبوية يتكئ عليها في اعتقاده إنه بالسير عليها سيكون صاحب الشخصية السنية القويمة ... وهيهات!

إن هذا الفهم لأصل مشكلة الشخصية الإسلامية يجب أن يكون محل دراسة ونظر للقادة المخلصين، ممن اصطفاهم الله فأنجاهم من درك التخليط والتفكك في الشخصية، فهم كالدرّ بين أحجار صماء.

والمنهجية التي يجب ن تُتّبع في بناء الشخصية الإسلامية يجب أن تتعامل مع أصل النشأة، وتحديد مواضع الإصابة ومواطن الخلل في كل عنصر يريد أن يكون ضمن حركة إسلامية سنية، ثم تقديم العلاج المناسب للشخص المناسب، تماماً كما فعل رسول الله صلى الله عليه سلم مع أبي ذر، فيما رواه مسلم قال "يا أبا ذرّ إني أراك ضعيفًا وإني أحبّ لك ما أحبّ لنفسي، لا تأمُرَنّ على اثنين ولا تَوَلَّيَنّ مالَ يَتيمٍ" فقد تفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم حال أبي ذر رضى الله عنه، ووجهه إلى خلل في الشخصية الطبعية، لا يخلو إمرئ من مثلها، فأصلحها ووجهها.

والله ولي التوفيق

[30] coherence

[31] وقد تحدثت عن هذه الظاهرة بتوسع في كتاب "مقدمة في اباب اختلاف المسلمين وتفرقهم"، المنشور عام 83،
http://www.tariqabdelhaleem.net/new/upload/attach/1288543981ikhtilaf.pdf

د طارق عبد الحليم

17 صفر 1436 – 9 ديسمبر 2014

حول حادثة شارلي أبيدو ودلالاتها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد

ليس المقصود من مقالنا هذا الحديث عن واقعة شارلي أبيدو في حد ذاتها، فإنّ الغرب الذي توجهت ضده تلك العملية راشدٌ قادرٌ على تحمل عبئ تصرفات أفراده في ظلّ الحرية المطلقة التي يؤمن بها، ويحافظ عليها، والتي تتيح لأي فرد أو جماعة أن يتعرض بالسب والاستهزاء لأي شخصية أو أيديولوجية كانت. ومن الطبيعي أن من دواعي الرَشَد تحمل مسؤولياته وعدم البكاء واللطم على ما يأتي به من تبعات.

والحق أن طبيعة هذا الحادث تختلف عن غيره من حوادث الهجوم على مدنيين في الغرب، من حيث إن ما سبقها كان هجوماً يأتي من وراء فكرة تختلف تمام الاختلاف عن الفكرة التي نبع منها هذا الهجوم.

فالأحداث السابقة، كانت تنبع من فكرة أنّ الغرب "الصليبي" يقتل أبناء المسلمين ويقصفهم بلا تفرقة، مدنيين وغير مدنيين، ولسنا بحاجة إلى أن نأتي بأمثلة على ذلك أبعد من "جهاد الطلب" الأمريكيّ في العراق، والذي أدى إلى قتل مليون نفس عراقية! فإن ما فعلته أمريكا هناك هو صورة مكتملة لجهاد الطلب، في سبيل النظام العلمانيّ الصليبي ولا شك. ولذلك، *حسب التصور الذي يعرضه من قام بتلك الهجمات على المدنيين في الغرب*، فإن من حق المسلمين أن يقتلوا المدنيين عشوائياً في بلادهم، كردٍ على هذا العدوان. وقد أوضحنا رأينا في هذه المسألة من قبل في مقال بعنوان "عن الجهاد والمقاومة... نظرة فقهية تطبيقية" نشرناه عام 2009[32]، من الناحية الفقهية والسياسة الشرعية.

أما هذا الهجوم الأخير فلم يكن هجوماً عشوائياً، بل كان ردّاً مباشراً على تصرفات شخصية، تحمل أشد الإساءة لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وتتكرر بلا مساءلة، بل بمباركة الدولة الفرنسية. فعنصر العشوائية مفقود في هذا الحدث. وهو ما يجعله لا يخضع للصورة التي ذكرنا من قبل. وأية محاولة لجعله من نفس طبيعة تلك الأحداث هي إهانة للعقل والمنطق، إن كان الضمير العالمي به بقية من عقل ومنطق.

على هذا الأساس يجب أن ينظر الغرب إلى هذه الحادثة بالذات، لا أن يصنفها داخل تصنيفاته الإرهابية المعتادة. والحق إننا قد قرأنا الكثير جدا من التعليقات على الحدث من المواطن العادي، بل ومن بعض الكتاب والمفكرين، في القارة الأمريكية ما يذهب لنفس هذه النتيجة، ويحمّل فرنسا تبعة هذا الحدث من حيث إنها تبنت سياسة الحرية المطلقة، فعليها أن تتحمل تبعاتها.

أما عن ردّ الفعل العربي، فهذا أمر آخر. فعل سبيل المثال، لمَ لمْ ينظّم الملك عبد اللات الثاني ملك الأردن، مع إخوانه من الحكام العرب، ولا أذكر محمد عباس فهو خرقة بالية في ثياب آدميّ، مسيرة يستنكرون فيها تلك السياسة الغربية التي تتيح الأفعال المشينة والرسومات المسيئة لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، الذي هو دين شعوبهم، وإن لم يكن دينهم بطريق اللزوم؟ ساعتها كان من الممكن أن يكون هناك توازن شكليّ، ولو بالمعايير الدولية لا الإسلامية، إن استنكروا قتل تلك المجموعة التي مارست تلك الحرية الطليقة من كلّ قيد. والحق أنّ النسب القرشي الهاشمي، الذي هو نسب تلك العائلة الخسيسة، ليتبرأ من هذا الدعيّ عبد اللات الثاني ومن آبائه وأجداده، فهم عملاء للغرب منذ نشأة مملكتهم. وكم من منتسب للهاشمية، بحق وباطل، ممن هم رؤوس في الإجرام، وما السامرائي بن عواد منا ببعيد.

[32] http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-384

والمسلمون لا ينتظرون من هؤلاء الحكام نصرة لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولا للمسلمين ولا للقرآن، فأولئك أبعد الخلق عن الإيمان بهذه الأمور كلها. لكن إن احتقر هؤلاء الحكام دين شعوبهم إلى هذه الدرجة، فكيف لا نتفهم احتقار الغرب النصراني لنا ولديننا؟ تماماً كما يقتل هؤلاء الحكام شعوبهم ويعذبوهم، ثم لا نتوقع أن يقتلهم الغرب ويعذبهم؟ وقد والله أضحكني تسمية بعض المسلمين لعملية التعذيب التي ثبتت في أمريكا مؤخراً لبعض المسلمين "فضيحة"! فهي والله عشر معشار ما يفعله حكام العرب في العرب.

إن استنكار ما حدث بهذا الشكل المُهين، دون استنكار سببه لهو أمرٌ يعكس هواننا على الناس، ولا علاقة له بمقتل أحد أو حياته. وها هي الجريدة ذاتها تعلن استهزاءها بالمشاركين الملاحدة من العرب بنشر رسوم جديدة. فهل من مستنكر يا كلاب الصهاينة وعبيد الصليبيين؟ ثم يا عقلاء الغرب، ألا من حدّ لتلك الحرية الطليقة تمنع المصائب التي تنتظر الجميع؟

د طارق عبد الحليم

14 يناير 2015 – 24 ربيع أول 1436

بين الحكومات والشعوب - نظرة شرعية واقعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد

يجب أن نذكّر القارئ الكريم بأن الفرق بين العالم والعاميّ، كان، وسيظل، في قدرة العالم أن يرى المواقف المعروضة الواقعة في دائرة عمومياتها، وفي دوائر تفاصيلها وخصوصياتها، بينما لا يرى العامي إلا دائرة العموميات، واحدة واسعة لا شبه فيه ولا شكل لها ولا تفصيل. وهذا الفرق هو عصارة ما قرأ العالم وتعلم، وإلا فهو مُرَاكمٌ لا عالم.

وعلم العالم لا يأتي من الكتب وحدها، بل من واقع الحياة نفسها ومشاهدتها في تقلباتها، والتعامل مع الخلق وفهم تركيباتهم النفسية والخلقية والعادية. ومن ثم فقد أمر الله بالسير في الأرض، لا لرؤية الحيوان والبات في بديع خلقه فقط، بل لاكتساب الخبرات وجمع المهارات والكشف عن النفسيات وطرق التصرفات والمعاملات.

(1)

ليست المرة الأولى التي أتعرض فيها لموضوع في غاية الحساسية، بالنسبة للمسلمين، ولغير المسلمين على السواء. وهو موضوع "الحرب على الغرب ... بين الحكومات والشعوب"، أي من الذي يعلن الحرب ومن الذي يحارب، وما الأداة الوسيطة بينهما.

وقد عشت في الغرب ثلاثين عاماً تمت بدخول عامنا هذا، لاجئٌ في أغلبها، ومُضْطّر مُجبر في أواخرها، بعد أن اختطفت يد الغدر ابني الأكبر ليقضى عمره في السجن، فلا حول ولا قوة إلا بالله. لكن لهذا حكاية أخرى ليست موضعها في هذا المقام. إنما ذكرت ذلك لأبيّن معرفتي العميقة بطبيعة الحكم في الغرب، وطبيعة الحكومات وطرقها وتوجهاتها. وكذلك بطبيعة الشعوب ذاتها وعاداتها وطرق تناولها للأحداث، فهما ومشاعراً.

والمسألة التي يتناولها هذا المقال ليست مسألة من المسلم ومن الكافر، أو أيهما على حق، المسلم أم الكافر، أو هل يستويان مثلاً! فهذه أمور محسومة في العقيدة الإسلامية لا فكاك منها إلا بالفكاك من الدين نفسه. فدعونا نتفق على بعض النقاط التي تقيد حديثنا وتوجهه توجيها سليماً.

فأولا من الناحية الإنسانية العامة التي يشترك فيها جنس "البشر" الذي خلقه الله والذي يخضع لسننه سبحانه سواء بالطريق الشرعي أو بالطريق الكوني:

1. أنّ الحِفاظ على البيضة من العدو الصائل، وحماية الأموال والأرواح هي الأصل المستقر بين عامة البشر، وإنه "لا عدوان إلا على الظالمين".
2. أن هذا الحقّ مكفولٌ لكل بشرٍ على الأرض، مهما اختلفت ديانتهم أو جنسهم أو نوعهم أو لونهم أو رائحتهم، بلا فرق. وأن تصنيف الناس إلى درجات ومراتب أمرٌ يخالف الفطرة أولاً وأساساً، ويخالف ما استقر بين الناس من محاسن العادات وعدالة التصرفات.
3. أن العدل والقسط هما أسّ التصرفات الإسلامية، سواء مع مسلمٍ أو كافر بلا فرق، إذ هما أساس السنن الإلهية الكونية، وعليهما تبني الأمم، وبدونهما تندثر، مهما كانت عقائدها.
4. أن الدم معصوم في الأصل[33]. وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى"[34] يأتي في سياق قتال الطلب "أقاتل الناس" لا أن دمهم غير معصوم في كافة الأحوال. فيرجع حكم عصمة الدم إلى أصله في غير جهاد الطلب سواء بالجزية أو العهد أو المُسالمة[35]. أما في جهاد الدفع، فالصائل قولاً وقتالاً حاملا للسلاح غير معصوم الدم بلا شك كذلك، أما غيره فلا.

أما من الناحية العقدية الإسلامية

1. أنّ كلّ من ليس على دين الإسلام، الذي هو التلفظ بالشهادتين والإقرار بمضمونهما، قصداً وعملا، فهو كافر في دين الله وميزانه. والآيات في ذلك متواترة.
2. أنّه ليس دين آخر غير الإسلام بمقبولٍ عند الله سبحانه "إن الدين عند الله الإسلام"
3. اليهود النصارى في الشرق والغرب هم أهل كتابٍ، وهم كفارٌ من الناحية العقدية كما أسماهم القرآن التسميتين.
4. أما عداهم فهم كفارٌ مشركونٌ لا دين لهم على الحقيقة، يعاملوا معاملة أهل الكتاب كما هو في أصح الأقوال، بناءً على حديث البخاري عن عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من مجوس هَجَر.
5. أنّ رَدّ العدوان يكون بمثله "ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم". وأنّ هناك آدابا وحدودا في الحرب، قررها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد لها فعل الصحابة من بعده، مثل عدم قتل النساء والرهبان والأطفال، إلا من حمل منهم السلاح، ففيما فعل صلى الله عليه وسلم وصحابته على سبيل الاستمرار والتكرار، فهو ما تَعيّن سُنّة متبعة في كلّ الأحوال، إذ تعريف السنة مرتبط بالاطراد، وإلا فهي قضايا أعيان وحوادث أحوال تراعى حسب مواضعها بلا تعميم.

(2)

ومعسكر الشرق، مثل معسكر الغرب، حكومات تحكم شعوباً، إلا إن طريقة تعيين تلك الحكومات هي التي تختلف بين المعسكرين وإن تقاربت أدوارهما. وها هي مقارنة سريعة بين المعسكرين في هذا المجال.

ففي شرقنا "المسلم":

---

[33] وما أقصد هنا هوما قصده بن تيمية في الصارم المسلول حيث قال "فان الاصل أن دم الآدمي معصوم"ص44 نسخة الشاملة.

[34] البخاري ومسلم

[35] ولولا ذلك ما فُرّق بين الرجال وبين النساء والأطفال والشيوخ، إذ صفة الرجولة تعنى المحاربة، فإن انتفت رجعت حرمة الدم إلى أصلها، ولا نرى وجها لمن قال امتنع عن قتلهم للمنفعة كالاسترقاق، ففي هذا تكلّف شديد، ولا يُفهم من ظهور الغضب في وجهه صلى الله عليه وسلم حين رأي امرأة مقتولة فقال "ما كانت هذه لتقاتل" فهذا لا يحمل رائحة منفعة. وقد ورد عن عمر (اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب). والأمر فيه خلاف كبير يرجع لنظر المجتهدين، فقالت الشافعية غير ما قالت الأحناف، وتحقيقه ليس موضعه هذا المقال. ولا شك أن المنفعة أو المصلحة الراجحة أحد أوجه الفتوى (لا تقرير الحكم) في مثل هذا الموضوع في زمننا هذا.

- الحكومات كلها "ديكتاتوريات عسكرية فاشية" سواء في النظم الملكية أو الجمهورية، فهي كلها نظم شكلية لا تعنى إلا أفراداً محددين يسيطرون على الشعب تحت حماية القوة العسكرية، الفارق الوحيد بين النظام الملكي والجمهورية، أن الملك لا يتغير أبداً لأن ولاء الجيش للعائلة الملكية لا للمؤسسة العسكرية، بينما الجيش في الجمهوريات هو الذي يستبدل الحاكم بعسكريّ جديد، فالجيش حقيقة هو "الملك".
- الحكومات تعمل لصالح أفرادها الشخصية، من حيث الكسب الماديّ أو السيطرة والقوة، وتسيطر على الإعلام والقضاء بشكل تامٍ بطريق الرشوة وتعيين المخربين العملاء لا غير. والشعوب في شرقنا لديها القدرة على تحمل الظلم والقهر بطبيعتها من جهة، وبطول ممارسته من جهة أخرى، فكأن الحياة الذليلة الفقيرة أصبحت مركباً في الحامض النووي البشري الشرقي المسلم!
- الحكومات لا تهتم بأمر الشعوب بأي شكلٍ من الأشكال، حتى ما نراه في بعض النظم الملكية من رفاهة لأفراد الشعب، فهو نسبي من حيث إن مصادر الدخل تقدّر بمئات المرات من الميزانيات التي تنفقها الحكومات على أبناء شعبها، والباقي رصيد مدخر للعائلات المالكة.

أما في الغرب الصهيو-صليبي[36]:

- الحكومات كلها "ديموقراطيات" بمعنى إنها تأتي للحكم حسب ما يُخرجه صندوق الاقتراع الذي يمليه أفراد الشعب المحكوم. لكن مهلاً، فالأمر ليس بهذه السهولة. فإنه لمّا كان من صفات أهل الغرب "عدم الصبر على جور الحكام"، فقد خرج سحرة الحكام بطرق جديدة "يوحون" إلى شعوبهم إنهم أصحاب الكلمة النهائية، والشعب في حقيقة الأمر مثله كمثل الميت، يحمل وارثه يده، يوقع بها على الوصية، كأن الميت هو من وقعها بالفعل، ولا ينبّؤك مثل خبير!

- تستخدم الحكومات في الغرب الآلة الدعائية الهائلة التي لم يسبق في التاريخ قوتها في السحر، لترسم واقعاً معينا للأفراد، من حيث يتم توجيههم لتبنى سياسة أحد معسكرين "ليبرالي أو محافظ"، ولا غيرهما، وقد يكون "ديموقراطي أو جمهوري"، أو يكون "عمال أو محافظين" حسب الدولة، لكن مبدأ الثنائية التي تعزف وَترية الحرية لا يتغير أبدا، ليكون التأثير على العقول البسيطة إنّ هناك لديهم حرية اختيارٍ فعلية، ويشهد الله إنهم لكاذبون على شعوبهم، فالسياسة العامة للحكم لا تتغير بتغير الأحزاب على الاطلاق، خاصة السياسة الخارجية.

- من مستلزمات هذا المنطلق، وطبيعة الشعوب الغربية، أن يكون هناك اهتمام بالشعب ولا شك، لكنه كما قلنا اهتمام مقصود به الوصول لسدّة الحكم، لا غير، فلا يمنعهم من ممارسة أفعال كثيرة سياسات لا يوافق عليها أفراد الشعب، بل ويمجّونها ويستقذرونها، وقد رأينا بأنفسنا ذلك في الكثير من السياسات التي مارسها النظام في أمريكا وكندا وبريطانيا في العقود الأخيرة خاصة، بل وعاشرنا عن قرب الكثير ممن يناقض تلك السياسات ويقف ضدها بقوة وشراسة. لكن الحق أو المعارضة للشر إن شئت هي القلة في كلّ مكان.

- تكون السيطرة على أجهزة الحكومة بتعيين عدد كاف من السيناتورات وقضاة المحاكم الفيدرالية والمحكمة الدستورية العليا ممن يتبع الحزب الحاكم، وبهذا يضمن إمرار "القوانين" التي على هوى رئيس الوزراء أو الرئيس حسب نظام الدولة. وهذه الممارسات تحدث على أشدها في كندا مؤخرا مع سيطرة اليمين المتطرف، ثم أمريكا ثم بريطانيا وأستراليا.

ويجب أن نقرر هنا أنّ كافة الحكومات، في الشرق والغرب، تقف في معسكر العداء للإسلام، بلا تمييز، وإن اختلفت درجته قليلاً بين دولة ودولة حسب تاريخها وحجم الجالية المسلمة فيها والبعد الشخصي الملازم لحاكمها في آونة محددة. هذا باستثناء واحدٍ وهو الدولة الفرنسية التي يعتبر عداؤها للإسلام لا مثيل له في تاريخ المواجهة بين الشرق والغرب، وهو ما تراه هنا في

[36] ولا نقصد بالمصطلح هنا المعنى السياسي، بل التركيبة الاجتماعية المسيطرة

كندا، في محافظة كويبك Quebec، الفرنسية اللغة والثقافة، فإنها المحافظة الوحيدة التي تفرض على المسلمين قيوداً لا حدود لها، وتتعرض فيها المسلمات لاضطهاد فجٍّ واضح، وما ذلك إلا من آثار التراث الفرنسي المزروع في قلوبهم ضد الإسلام.

(3)

أما عن الشعوب، فقصتها تختلف عن حكومتها، شرقاً وغرباً. وقصة الشعوب الغربية هي كمثيلتها في الشرق، أفرادٌ ليس لهم همٌّ في الحياة إلا أن يُأمِّنوا لأنفسهم وأولادهم وعائلاتهم سبيلاً أكرم وأهنأ في الحياة، حسب المستوى المتعارف عليه في الكرامة والهناء في محيطهم القريب. وهم، شرقاً وغرباً لا يعلمون كثيراً عن تفاصيل المؤامرات والخدع، وإن كان الجهل بهذا أكثر وأشدّ عمقاً في الغرب منه في الشرق، نتيجة لأمور ثلاثة، أولهما شدة التأثير الإعلاميّ بما يفوق مثيله في الشرق، والثاني قلة الحاجة لمعرفة التفاصيل عن "العالم الخارجيّ"، إذ ليسوا تحت ضغط ماديّ عنيف أبداً لتحديد السبب والمُسَبَّب، ثم الثالث هو البعد الجغرافيّ عن مركز الأحداث وعدم تأثرهم المباشر بها. فإن كان المصريون لا يعرفون شيئا، حرفيا، عن مشكلة الشام، فكيف بمن يعيش في أوروبا، ودع عنك من يعيش في أمريكا!

لكن الأمر أنّ تلك الشعوب الغربية هي الحاضنات الشعبية لحكوماتها، ولو بالخديعة والمكر، شرقاً وغرباً. ومن مصلحة تلك الحكومات أن تجعلهم يتبنّون وجهة نظرها في أمور السياسة الخارجية، لأن تلك قواعد اللعبة الديموقراطية، كما بيّنا. لكن، في حقيقة الأمر، كما عايشناه طويلاً بما لا يعرفه الغريب عن تلك البلاد، فإن الكثير، ما يصل إلى أكثر من نصف عددهم، لا يقبل بالممارسات الحيوانية التي تمارسها حكوماتهم في حروبها وعدوانها. كم من كاتب، وكم من مقال، وكم من تعليق يُكتب وينشر على تلك الأحداث وتلك السياسات، يكاد يطابق ما عليه الرأي المستند لوجهة النظر الإنسانية البحتة. بل كم من عائلة وتجمع في مواطن العمل والتجمعات الخيرية وغيرها، يتعاطفون مع مصابي تلك الحروب، ويتمنون وقفها. كم من مكتب للمحاماة يعمل في الدفاع عن المسلمين المتهمين زوراً، بلا أجرٍ؟

لكن، ألا يعرف المواطن العربي المسلم مدى تأثيره، فرداً على حكومته؟ ألا نعرف كلنا ما يمكن أن يكون لعائلة أو تجمع أو حتى جماعة على سياسة دولة. هذا بالضبط هو وضع المواطن الغربيّ العاديّ، بلا فرق.

الحقيقة هي إنه هناك صائلٌ على الإسلام وعلى بلاد الإسلام وعلى المسلمين، هم كل الحكومات، وبعض الأفراد ممن صال بالتعدي على حرمات الدين ومقام نبيّ الإسلام. وليراجع من أراد مقالنا الأخير "حول حادثة شارلي أبيدو ودلالاتها"[37].

لكن هناك الغالب الأعم، إلا في فرنسا واحة الإلحاد وعدوة البشر بما فيهم إنجلترا وألمانيا، بل على رأسهم الانجليز والألمان، هناك الغالب الأعم الذي لا يصول على المسلمين، ومنهم من يتعاطف معهم.

ومن الناحية الفقهية، فإن التوسع في دائرة إدانة كل غربيّ بشكل عشوائي، والحكم بحلّ دمهم جميعاً، لا يقوم على أساس من دين الله ولا منطق العقل. وهذا منطق التعميم البدعي الذي يرى أنّ كلّ المؤسسات الحكومية ومن يعمل بها في بلادنا هم كفار، ولو كانت مؤسسات مدنية، إذ هم، بطريق غير مباشرٍ يدعمون الطاغوت، وهذا تسلسل لا يتوقف عند حدٍ، بل يكفّر به المرء نفسه في نهاية السلسلة، إذ هو يبيع ويشترى في أسواق الطاغوت، وهذا دعم مالي أكيد!!

وإلى جانب تلك الناحية الفقهية الشرعية التي لا يصح فيها أخذ غير الجاني بالجاني انتقاماً، وتحريم قتل الآمن غير المحارب أو معين المحارب المباشر، فالسؤال، لمصلحة من يُقتل غير الصائل عشوائياً؟ وهم من ناحية أخرى ليسوا محاربين، فإنّه من غير الصحيح أن يقال أنْ كلّ من يعيش في الغرب، هو عدو محاربٌ للمسلمين بطريق اللزوم. هذا غير صحيح البتة، إن فهنا الفرق بين الحكومات والشعوب، كما نفهمه في ديارنا.

[37] http://www.tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72832

ثم من ناحية فقه المصلحة، الذي يتوافق مع الحكم الشرعيّ بالتمام، فأي مصلحة تتم بقتل فرد أو اثنين أو عشرة؟ هل يعتقد من يفتى بهذا أن حكومات الغرب تهتم لمقتل رعاياها؟ لا والله، إلا إنها تتخذ هذه الحوادث وقوداً لدفع عجلة العدوان أسرع وأقوى، لا غير.

ولا أظن أن هذا البعد عاد يخفى على قيادات الجهاد السنيّ اليوم، وإنما يشيعه عصابة العوادية الذي يستوي عندها قتل أبو خالد السوري "المرتد" مع قتل غربيّ يبيع في متجر!

وأظن أن اعتبار هذا البعد يجب أن يكون حاضراً في عقول أصحاب المسؤوليات من العقلاء. فالمسلمون لا يحاربون الدنيا اليوم، بل يحاربون من اعتدى عليهم، الأخطر فالأقل خطراً، لمنع المجازر ووقف شلالات الدماء من المفاسد والمضار، قبل التفكير في إنشاء خلافات موهومة وضرب عملات فكاهية من أبواب المصالح المرجوحة.

لقد كنت، ولا زلت أرى الصراع مع العدو الصائل، وعلى رأسه الحكومات في بلادنا، هي الأولى بالجهد والإزالة، قبل الحديث عن مواجهات بالخارج، حتى مع العدوان الخارجيّ، إذ إن هؤلاء الخونة من الداخل هم أسّ البلاء وأيدي الكفرة الممدودة على الإسلام.

د طارق عبد الحليم

19 يناير 2015 – 29 ربيع أول 1436

رؤية في سياسة القاعدة في عقدها الثالث .. الثابت والمتغير

الحمد لله الذي لا يحمد سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

(1)

حين أتحدث عن تنظيم القاعدة، فإنني أتناوله كمحلل سياسي مستقل، لا ينتمى للقاعدة ولا غيرها، بل كمراقب للأحداث عن قربٍ قدر الإمكان، دون التدخل في صناعتها أو صياغتها. كذلك، فإني أحاول جهد الطاقة، كمحلل سياسيّ، ألا أكون طرفاً في الصراع الدائر بين القاعدة وبين غيرها، سواء من التنظيمات "الإسلامية" أو القوى الدولية المعادية للإسلام بشكل عام. وذلك حيادٌ يستلزمه النظر التحليليّ، وإن لم يرض عنه النظر الشرعيّ، الذي لا أراه ضروريّ لإعلانه في كلّ آونة ومكان.، فهو أمرٌ شخصيّ من حيث إنّ الله لم يتعبد أحداً بولاءٍ لتنظيمٍ أيّاً كان، ولكن بالولاء له سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه وأهل دينه عامة. والبيعة التي ينجو بها المرء من ميتة الجاهلية هي البيعة العامة لخليفة شرعيّ مسلم سنيّ، لا لحاكم طاغ طاغوتي، ولا لمسخ حروري عوادي.

والقاعدة، كتنظيمٍ، له حسناته التي يراها المسلم بعين دينه، وله أخطاؤه التي يقدرها المراقبون من كلا الطرفين، المسلم وغير المسلم. فالقاعدة، كأي تنظيم أو تشكيل جماعيّ، يعتمد تقييمها على عين الناظر ورؤيته أولاً وأخيراً.

والقاعدة، بلا شك، وباعتراف العدو والصديق، قد صمدت كتنظيم، مدة ربع قرن أمام دول عظمى، حاولت ولا تزال، أن تدمرها تدميراً. واستطاعت أن تنشأ لنفسها مكاناً مركزياً في خراسان، تدير منه أفرعها في أنحاء بلاد المسلمين كليبيا واليمن والمغرب والجزيرة، ومؤخراً في شبه القارة الهندية، حيث اتخذتها طالبان تحت جناحها ومهدت لها سبل البقاء والعمل، كما مهد أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه سلم، مع فرق أنّ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد أي تنظيم يجب على الكلّ طاعته إلا إن اتحدت كلمة المسلمين السُنة على وليّ أمر عام. وهذا في حدّ ذاته نصرٌ كبيرٌ فيه استمرارية للحركة وتفوق وتجارب تحصنها بالخبرة والعلاقات الخارجية وفهم الواقع والتصرف الأحكم.

وما أظن أن هذه الخبرة إلا قد انتجت تغيراً ملحوظاً واستراتيجياً في سياسة القاعدة، قبيل استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، ثم سار عليه خليفته الشيخ د أيمن الظواهري حفظه الله، بخطى وئيدة، مبنية على فكرٍ وخبرة لا يستهان بهما.

(2)

وهذا التغيير الاستراتيجي يتمثل، فيما أرى، في بعدين. الأول هو النظر في البعد العميق للأمة الإسلامية، والثاني هو تبني منهج التخلص من الخطر الداخلي على الأمة والمتمثل في حكامها المحليين، كدور جهادي أساسي، مقدّمٌ على مواجهة الغرب الصليبي. وسننظر في هذين البعدين نظرة أقرب وأعمق إن شاء الله تعالى.

أمّا عن النظر في العمق الاستراتيجي للأمة، فإن التجارب التي خاضها الجهاد الإسلاميّ قد أظهرت كلها دون استثناء أنّ إغفال الأمة، واعتبار أنّ التنظيم الجهادي، مهما قويت شوكته هو الأمة، وأنّ أفراده هم أفرادها، هو خلل سياسي وخطأ شرعي يودى بهذا التنظيم، بغض النظر عن تكفير الأمة الذي هو مصيبة أخرى مرّ بها الجهاد الإسلامي في ثلاثة تجارب خلال العقود الأربعة السالفة، وأراد الله سبحانه أن نكون شهود عيان لها، وهي حركة شكري مصطفي في مصر في منتصف السبعينيات، وحركة الزوابري في الجزائر في منتصف الثمانينيات، ثم حركة ابراهيم بن عواد السامرائي في العراق والشام، وهي الأسوأ عقيدة والأكثر انحرافا ودموية من سابقتيها. لكن المبدأ واحد، وهو إنهم كلهم اعتبروا "إنهم هم الأمة وأن أفرادهم هم المسلمون، وأن عداهم هم الكفار المرتدون"، حكومات وأفرادا. وهذا هو ما جعل تلك التنظيمات كلها ذات عمق ضحلٍ جداً، وإن حاول تنظيم ابن عواد أن يصحح ذلك الخطأ بالدعاية والإعلام، واستجلاب شباب غرٍ ليكون له عمق استراتيجي يمده بما تمد به الأمة أبناءها. لكنّ هذا التصرف أثره جدّ محدود من حيث إن المبدأ لا يزال كما هو، وهو أنّ "من بايعنى هم الأمة، ومن خالفني كافر مرتد" وهذا الفكر الحروري لا يمكن معه أن تحيا حركة أو تمتد إلا إلى فترة تطول وتقصر حسب وعي الأمة أولا، وسياسة مخاصميها ثانياً.

وقد وعت القاعدة هذا الدرس، وإن لم تكن استراتيجيتها مماثلة لتلك الحركات الحرورية ابتداءً، لكنها، فيما نرى، تخبطت بعض الوقت وتردد نظرها في ترجمة القطبيات والمودوديات، وتراث ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وهو أمرٌ نراه طبيعي في المراحل الأولى من أي تنظيم يجد نفسه أمام هذا التراث الهائل من ناحية، وهذه التقيدات البشرية والتنظيرية والتحديات السياسية والعسكرية من جهة أخرى.

لكنّ هذا التردد لم يستمر إلا إلى بعد الانتهاء من حرب أفغانستان، ثم بعد ما حدث في حرب العراق عقب غزو الولايات المتحدة لها، حيث بدأ التغير في النظر "للأمة" في عصر أسامة رحمه الله، وظهر هذا جلياً في أثناء انتفاضة الشعوب ضد حكامها، في مصر وليبيا واليمن وتونس، والتي أظهرت مدى الغضب الكامن داخلها، ومدى القوة التي يمكن أن يمثلها هذا البركان إن أُحسِن توجيهها. فأيّد أسامة رحمه الله تلك الحركات علانية، وباركها، بل ودعا إلى توجيهها وإعانتها على تصحيح مسارها بمجالس شورى استشارية. ثم، كان اغتياله رحمه الله وتقبله، وتولى من بعده رفيق دربه، ومنظر حركته، الشيخ الجليل د أيمن الظواهري، الذي سبق الشيخ أسامة رحمه الله في هذا المضمار من حيث بدأ رحلة جهاده في الستينيات، قبل أن ينضج الشيخ أسامة رحمه الله في رحلة جهاده.

ونظرة الشيخ الفاضل أيمن للأمة هي نظرة تعتمد الأمة كحضنة شعبية، بما فيها من حسن وسئ، وتقي وعاصٍ، إلا من ابتلاه الله بالبدعة الجماعية، أو بالكفر البواح. ومثال الأولى هو تلك الجماعات التي تمارس بدعا تنشرها وتعمل على تخريب عقائد الأمة كالصوفية والحرورية، ومثال الثاني، هم أولئك الحكام، الذين ارتدوا من أبواب لا حصر لها، من أي جهة نظرت اليهم. لكن القاعدة اليوم تُفرق، فيما أحسب، بين هؤلاء النفر من رؤوس البدع وجنودهم، والحكام وجيوسشهم، وبين الأمة المطحونة التي وإن وقع كثير مها في أعمال ردة وموالاة للباطل، فإنه يمكن استنقاذها، أو أكثرها، أو أقلها، بالدعوة والبيان والبلاغ[38].

[38] وعلى هامش هذا الأمر فإني أحسب أن ذلك هو وجه التول في فكر وتصرف الشيخ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله في أخريات أيامه، من حيث معرفتي الشخصية الوثيقة به.

(3)

أما التغيير الآخر، فنحسبه " تبني منهج التخلص من الخطر الداخلي على الأمة والمتمثل في حكامها المحليين"، كدور جهادي أساسي، مقدّمٌ على مواجهة الغرب الصليبيّ. وما ذلك لضعف في المواجهة، أو مداهنة للغرب الصليبي كما يرون، لكنه تحوّل يواجه الواقع ويعيشه، دون أحلام خيال، أو استسلام لأوهام. فإن القضاء على الولايات المتحدة، كما يتصايح سذاج الحركات الجهادية، لم يتأتى بتدمير البرجين في 11 سبتمبر[39]، أو بضرب بارجة اليمن أو غير ذلك. فكل تلك الهجمات هي هجمات موضعية تؤلم ولا تضر، ثم تعطى غطاءً شعبياً لمزيد التدمير. الاتجاه الأصح هو تحرير البلاد من حكام الطاغوت، الذي يأتون بالغرب ابتداءً ويعينونه، فهم الأولى بتوجيه النظر اليهم، وهم من يفعل الظلم ويعتقل ويقتل ويسرق ويوالى. والغرب ليس إلا ساع لمصلحته ومصلحة أسياده من اليهود، فإن وجد طرقا ممهدا على يد حكامٍ خونة فلم لا يسلكه؟

الأصل إذ ليس هجمات على الغرب، ففي هذا سذاجة وقلة نفع وجلب مفاسد تربو على أضعاف مصلحتها. وها هي دعوة طه حمام العدناني بضرب وقتل النصارى في كل دول العالم، ماذا حققت؟ مقتل ثلاثة أو أربعة أفراد! هذا تغفيل وانحراف في بوصلة الجهاد. وهو ما أدركته القاعدة مؤخراً.

وقد يقول قائل، فلم إذن نفذت القاعدة ضربة تشارلي أبيدو، ولم تنفذها حرورية العوادية؟ قلنا، تشارلي أبيدو ليست هدفا من أهداف الغرب، كغرب، ولم تنبع من استراتيجية ضرب الغرب وشنّ حربٍ عليه. تشاري لأبيدو كانت ضربة لمجموعة محددة من الأفراد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه سلم، وقد شجعها وباركها غالب الأمة كأفراد، الغلاة منهم والوسطيين منهم على السواء. بل من الغربيين من تفهم دوافعها ونشر رأيه فيها. ومن ثم فهي ليست انحرافاً في مسار القاعدة الذي نراها تتبناه اليوم، على ما نحسب.

ولعل في هذا التغيير تركيز للجهد، وتمكين لقوى المقاومة الإسلامية التوجه أن تكون أكثر تأثيراً في مواجهة تعدد القوى المعادية كالصفوية والروافض والحوثية والنصيرية والسيسية، وهم العدو المحليّ الذي يجب التخلص منه قبل الحديث عن أي عدو خارجي، إذ لا قدرة لعدو خارجي دون هؤلاء العملاء الخونة.

هذا ما نراه اليوم استشفافاً من سياسة القاعدة. وهو عكس ما تذهب اليه الحرورية العوادية، التي شبت على مراهقة جهادية، ولم تستفد من أي تجربة سابقة، بل أخذت من التجارب أسوأها، ومن العقائد أخبثها، فكانت على الأمة وبالاً وعلى الجهاد بلاءً.

يتبع إن شاء الله تعالى (الثابت)

د طارق عبد الحليم

25 فبراير 2015 – 7 جمادي الأولى 1436

رؤية في سياسة القاعدة في عقدها الثالث .. الثابت والمتغير الجزء الثاني

الحمد لله الذي لا يحمد سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

(3)

[39] وإن كان لنا نظرة خاصة في هذا الأمر أوضحناها في مقالنا "من المسؤول ورء أحداث 11 سبتمبر"

انتهينا إلى أن "المتغير" في استراتيجية القاعدة بعد ربع قرن من الزمان، هو نظرتها إلى الأمة، بعمقها الاستراتيجي، الذي لا يمكن أن يكون هناك نصر حقيقي دون دعمه، وكذلك تحولها إلى العمل الأكثر محلية من باب العدو الأقرب أولى بالصدّ، وهي نظرة حصيفة صحيحة شرعاً وعقلاً، وإن لم يكن هناك فرق بين الشرع الصحيح والعقل الصريح.

فقد أدركت القاعدة، فيما نحسب، أن استعداء القوى العالمية دون مبرر أو استعداد هو من قبيل استدعاء الحرب غير المتكافئة دون العُدة، وهو محضور شرعاً، وإن تهيأ لبعض مخابيل الوقت من الحرورية إنه بطولة وشهادة! وعدم الاستعداء لا يعنى المولاة أو التعاون أو الرضى أو الموافقة إلا في عقل المخابيل ذاتهم. بل الثابت في فكر القاعدة، وفي الفكر الإسلامي السنيّ بشكل عام هو أنه لابد من أن يقوم القسط بين الناس، لا على أرض المسلمين وحدها، بل بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل الأخرى، إذ لا يمكن أن يكون هناك عدل على أرض، وبقية من حولها طالمون لها قاسطون في حقها.

ومعنى ما نقول، هو ضرورة إقامة التوازن أولاً. والتوازن هنا هو محك القسط والعدل، ولا عدل إلا بتوازن في القوى، فطبيعة بني آدم الاعتداء والظلم والعلاج هو الصد والردع. وإقامة التوازن لن تكون بضرب سفارة هنا وسفينة هناك، أو قتل مدني هنا أو يهودي هناك. عرفت القاعدة، فيما نحسب وليس هذا بلسانها، أن هذه التصرفات لا تؤدى إلى توازن حقيقيّ، بل منها ما قد يكون غير شرعي بحسب بعض الآراء الفقهية في قتل غير المحاربين. لكن الأولى هو زعزعة من يميل القسط بالميزان ويطففه لحساب القوى المعادية للإسلام، وهم حكام السوء والرذيلة والردة.

فالتغير في سياسة القاعدة، كان في اتجاه ضبط بوصلة الجهاد إلى ما يفيد في إحداث تغيير حقيقي على الأرض، لا ما يوهم الخلق أنّ هناك تغيير، بالإيحاء والدعاية والشعوذة الإعلامية.

والإعلام والدعاية وتبيين المواقف وتوضيح الأهداف أمرٌ، والشعوذة الإعلامية التي تسير على المذهب الصهيوني الهوليوودي "إن لم تجد ما يؤيدك، أوْجده". وهو ما تتبعه الدعاية الصهيونية وأذنابها في البلدان "الديموقراطية" حين ترفع مرشحاً وتخسف الأرض بغيره، وليس في كليهما أمر مما يدعونه سلباً أو إيجاباً. هذه هي نوع الدعاية التي تتبناها الحرورية العوادية، وهي الدعاية التي لا ترضاها القاعدة، على ما نحسب، إذ ثوابتها تضاد الدجل والكذب، ويعرف علماؤها حدود ما يقع تحت خدعة الحرب والتدليس والكذب على أهل الملة الواحدة.

(4)

الثابت في استراتيجية القاعدة، حسب ما نرى من تصرفاتها، هو اتباع السنة، ورفض البدعة، والتمسك بمنهج السلف والرجوع إلى العلماء في أمر الدين والدنيا، وعدم تمكين الرويبضات، وصدق الكلمة والمروءة، وطيب اللسان، والرجوع إلى الحق إن ظهر إنه خلاف ما هم عليه. وهذا لا يعنى إنهم ليسوا بشراً يخطأ ويصيب، حاشا وكلا، لكن هم رجاعون إلى الحق، وهو غاية ما يمكن أن يطلبه المرء من بشر يسعى على الأرض. وهل يعنى ذلك أن كلّ اختياراتهم صحيحة، كلا والله، فقد أخذ كاتب هذه السطور عليهم بعض المآخذ، لكنها في حدود السنة، وداخل إطار الشرع وضمن حدود الخلاف المشروع وبوسائله وأساليبه.

الوصول إلى حالة من التوازن بين قوة الإسلام وقوى الكفر لابد أن يتحقق على أرض المسلمين، لا على غيرها، ثم من هنالك، يمكن أن يكون تعايشاً بين دار إسلام ودار كفر. وهو ما كان على عهد كافة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالكفر ثابت وموجود، ولأهله أحكام في التعامل، سواء في التجار معهم أو السفر اليهم لغرض مشروع، من علم أو غيره. هذا كله لا مشاحة فيه إلا ما كان من نعيق بعض رويبضات هذا الزمان، وسفهاء الأحلام ممن يهرف بما لا يعرف. وهو ما لا يعنى ولاءً ولا غيره، بل هو محض تعامل بشريّ له أحكامه الشرعية.

ولست منظراً للقاعدة، ولا متحدثا باسمها، وهو ما يجب أن يدركه قارئ هذا المقال، لكني أكتب من خلفية شرعية عايشت أحداث نصف قرن من الزمن، جرت فيه أحداث على غاية الأهمية، كلها جاءت بالسلب على الأمة، التي لا تزال لا تعرف من

ورطتها مخرجاً. وما يظهر أنّ أيّ من الحلول التي طرحتها العقول في العقود السالفة، لم تأت بثمارها، إما لخطأ في تصورها أو لخطأ في تطبيقها.

والكيانات الدولية المعادية للإسلام لا تعمل من خلفية مصالح شعوبها أو من زاوية عدل أو قسط، كما أوضحنا من قبل في مقالات عديدة. فقتل أفراد مدنيين لها هنا أو هناك لا تطرف له عين سياسيّ منهم، بل هم، في بعض الأحيان، يشجعونه، بل ويسمحون به، كما يظهر في موضوع الصحافي الأمريكي، حتى تتفاعل الشعوب مع تلك الحكومات الساقطة العفنة، فتقوم بما تقوم به من غزو وقتل وسفك دماء.

لكن هل ينفع قتل أولئك المدنيين القضية الإسلامية؟ هل يحقق مصلحة؟ هل يضعف العدو؟ هل يعجّل بوقف اعتداءاته؟

إبان حرب فيتنام، والتي دخلتها أمريكا بكل قوتها في الستينيات، قاومت فيتنام بجنودها ومدنييها ذلك الغزو، وأثخنت في المحتل الأمريكيّ حتى وصل الأمر إلى خسائر في الأرواح لم يمكن لأي حكومة تبريرها، فانسحب الغزاة.

إبان الغزو السوفييتي لافغانستان، قاوم المجاهدون الأفغان، وطالبان والقاعدة الغزو السوفييتي، وأجبرته على الريل مذموما مدحوراً.

لكن في كلتا الحالين، لم يتبنى أحد استراتيجية قتل مدنييّ الدول المعادية، إلا من كان مرافقا لقوات الاحتلال. ولعل هذا ما أدركته القاعدة، فركزت على قتال الحكام، أو القوات المحتلة، فإن قتل ثلاثة أو أربعة مدنيين كل بضع أعوام، لا يؤثر إلا سلباً على تطور القضية الإسلامية، لا أقول في المحافل الدولية، فهي كلها صهيونية الصنع والأداء، لا نفع فيها ولا خير، لكن في ميزان الأساس الذي تبنى عليه قوى الغشم المحاربة مبرراتها، وهو حسّ شعوبها ودعمه، أي حاضنتها الشعبية. فهم يعبئون ويعتنون بالحاضنة الشعبية أيما عناية، عكس ما كان عليه التصور الجهادي قبلاً، أو ما عليه مخابيل العوادية القتلة الآن.

ثم إني أذكر مرة أخرى بأني لست مُنظراً ولا منتمياً للقاعدة أو غيرها، ولكن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.

د طارق عبد الحليم

26 فبراير 2015 – 8 جمادي الأولى 1436

تجربتي مع السرورية .. بعض من تاريخها

12 ديسمبر 2013

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لعل ما ألجأني اليوم إلى أن أتحدث عن أمورٍ مرّ عليها ما يقرب من ثلاثين عاماً، هو ما نشره أخ يُدعى أبو الملك الشرعيّ[1] عن "السرورية"، وما ذاع عن أنّ هناك من جماعات الجهاد من أنشأ قائمة لمشايخ ينسبونهم للسرورية، إن ظهر منهم نقد للجهاد وجماعاته.

أتحدث عن السَّرورية، دون أن أدّعى أنني أعرف كلّ ما كان يدور وراء كواليس الأحداث في هذه الجَماعة، لكن من منطلق أنني على علمٍ بالكثير عن فكرهم وحركتهم، إذ عايشت شيخ هذه الجماعة محمد سرور زين العابدين، مدة ثلاث سنوات، كنت فيها ملازماً له في لندن، بشكل شبه يوميّ، وعرفت كثيراً ممن كان ينتمى لهذه الجماعة في الثمانينيات من السعوديين والسوريين وغيرهم.

وتعود معرفتي بالرجل إلى عام 1979، بعد أن نشرت كتابيّ "الجواب المفيد" و"حقيقة الإيمان"، حيث اتصل بي الشيخ محمد سرور في مصر، عن طريق أحد أخواني الأحباء، حفظه الله أينما كان اليوم، وطلب أن يأتي لزيارتي في شقتي بمدينة نصر. وقد كان. حضر الشيخ محمد سرور ومعه الشيخ سفر الحوليّ، وكان أيامها شاباً دون العشرين من عمره. أمضينا ثلاثة أيام كاملة في بيتي أتبادل الآراء، والشيخ سرور، حول قضايا إسلامية كانت تشغل الناس وقتها، ومنها ظهور الروافض على الساحة، وكتابه "وجاء دور المجوس"، وإمكانية توزيعه في مصر.

ثم، مرت الأيام، وغادرت مصر فاراً من نظام مبارك إلى الأردن، بعد مقتل السادات، حيث كنت، وإخوة لي، من أصحاب النشاط الدؤوب في مجال الدعوة. ثم استقر بي المقام بعد الأردن والكويت في العراق، عاملاً في مجال إدارة المشروعات التي تخصّصت فيه.

وكان أن اتصل بي أحد القريبين من الشيخ محمد سرور، بل أقرب الناس اليه، وطلب منى أن أحضر إلى لندن، لحاجتهم إلى تعاونٍ في إنشاء مجلة البيان. وكان أن أجبت، إذ كان الهدف هو الاستمرار في العمل في الدعوة، بدلا من العمل للدنيا.

ومضت سنوات أعنتُ فيها على إنشاء مجلة البيان، وكتبت في أعدادها الأولى بشكلٍ مستمرٍ، وأعنتُ في صياغتها فنياً، كما أعنت في تقييم مبنى المنتدى الإسلاميّ من الناحية الإنشائية، قبل شرائه، وأقمت دروساً فيه بعد إنشائه.

وفي يومٍ من أيام شتاء 1988، كان أن فاجأني محمد سرور بحضوره لبيتي في لندن، مع بعض الإخوة، وطلب منى يومها أن انضم إلى جماعته، وأبايعه على ذلك، ووعدني بكل مساعدة، وكرّر لي إعجابه بأسلوبي في الكتابة وطريقتى المنهجية في التفكير. فكان أن تردّدت، وذكّرته أنني لا أحب أن أكون تحت أية قيادة مهما كانت، وأنني صاحب فكرٍ ومنهج مستقل، بيّنته في كتبى، وعشت به وله أربعة عقود متتالية. فغضب الرجل، وهاج وماج، وخرج مهرولاً من البيت. ثم أصدر أوامره لتلامذته بعدم الحديث معي أو حضور دروسي. وانقطعت بيننا الصلة من يومها إلا حين اتصل بي بعد حوالي عشر سنواتٍ، في بيتي بتورونتو، يحكى لي عن أمراضه وعلله!

المهم في هذا الأمر، أنّ عشرتي للرجل، جعلتني أعرفه معرفة تامة، والتحقق من وسائله، وطرق فكره، ومناهج بحثه، وتعامله من الناس.

الرجل كان من الإخوان، كما هو معروف، ثم خرج عنهم لسبب يتعلق بتقديرهم لمكانته، كما يراها، وتوليته مناصب معينة، لا لخلافٍ فكريّ كما قد يشاع.

ولا نريد أن نُجَرّد الرجل من كلّ فضلٍ، بل قد عمل جهداً كبيراً في مجال الدعوة إلى الله، وأصلح كثيراً من الشباب، خاصة في جزيرة العرب، في السّبعينيات خاصة. لكنّ هذا يشكره له الله سبحانه، ويجازيه به إن شاء الله.

لكن نقول أولاً أنّ الرجل ليس بذاك في العلم الشرعيّ، بل هو، إن صَنّفناه، من متوسطي الرتبة في طلبة العلم، تشهد على ذلك كتبه التي تعتمد على جمع المعلومات ابتداءً، ولا تكاد تجد فيها أثرا لعلم شرعيّ أصيل. وكانت عملية جمع المعلومات في مكتبه بدار الأرقم بلندن، عملية منظمة دقيقة، يقوم عليها عددّ من طلابه، وكان غالبهم من السعوديين المُبتَعَثين للدراسة في لندن، ومنهم كثير من الأسماء المعروفة اليوم، لا أريد أن أذكرها لعدم الحاجة إلى ذلك.

والرجل يعمل بطريقة مُخابراتية، تعتمد على التَجسس وتسجيل المكالمات، حتى بين من هم في صفه، فقد طلب منى في يوم من الأيام أن أجلس اليه لأتحدث عن الشيخ عبد المجيد الشاذليّ رحمه الله، وعما أشيع من أنّه يقول بالتبين والتوقف، فكان أن جلست اليه ساعة أبيّن له أصل المسألة ومعناها، وبراءة الشيخ منها، ثم لمحت في آخر لقائي به أن هناك جهاز تسجيل يعمل تحت الكرسي الذي كنت أجلس عليه، وأقسم بالله سبحانه على صدق ما أقول. ومن هنا رماني الشيخ، بعد خلافي معه، بأنني من أهل التوقف والتبين، في كتابه الثاني عن التكفير وأهل الغلو، كما ذكر لي أحد الطلبة السعوديين الملازمين له في مؤتمرٍ كنت قد دعيت للحديث فيه، في التسعينيات في كولورادو، وهو كتاب في غاية الفقر من الناحية الشرعية ابتداءً.

كما أن الرجل يتمتع بغلوٍ في تقديره لذاته، وعظمة ما يكتب، وروعةُ دوره في الدعوة، وخبث مخالفيه مهما كانوا.

يجب، حين نقيّم الرجل، أن نذكر أنه تربية إخوانية، قلباً وقالباً، ومن هنا ترى في منهجه الفكري شبه تطابق مع الفكر الإخوانيّ، مع بعض التعديلات التي ألجأه اليها اضراره لإيجاد نقاطٍ تُبرّرُ انشقاقه عن الإخوان. لكنك تجد رأيه في الحُكام هو على وفق نهج الإخوان الإرجائي، وهو رأي من هم على طريقه ممن عرفت من القريبين له.

من هنا، فإننا لا نرى أن هناك نهجٌ منفصل يسمى السرورية، بل هي إخوانية معدّلة، لتناسب هوى من أنشأها، لا غير. كذلك يجب أن نفهم منطق محمد سرور في التهجم على بعض الجماعات الجهادية، إذ لا يزال نهج الإخوان في رفض الجهاد شكلاً وموضوعاً، يحكم فكر سرور في النظر إلى الجماعات الجهادية، وإن كان أخف من النهج الإخواني قليلاً ليكون هناك تمايزاً يبرر الخلاف كما ذكرنا.

وما نرى إلا أنْ لا يوصم كلّ من نقد الجماعات الجهادية بأنه "سُروريّ". هذا لا يصح على الإطلاق. بل هؤلاء فيهم من المعايب والانحراف ما فيهم، ولكن لا دخل للسُرورية المُدّعاة في انحرافهم هذا، وإلا وصمنا كل مرجئ بأنه إخوانيّ، وهذا باطلٌ لا شك فيه.

ونسأل الله السلامة ونتوب اليه من الزَلل.

http://tariqabdelhaleem.net/new/Artical-72477

تأملات في سورة النساء

د.طارق عبد الحليم

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رَسول الله صلى الله عليه وسلم

استوقفتني آيتين من آيات الكتاب المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من سورة النساء، ارتعدت بسماعهما أوصالي، وقفز شعر رأسي. وعجبت ممن يقرأ كتاب الله ثم لا يضع آياته في مواضعها، ولا ينزلها منازلها، ولا يجريها مجراها في حياته وحياة الناس، وكأنها نزلت لقومٍ آخرين، من الكفار، ليس بيننا وبينهم شبهٌ، أو شبهة شبه.

يقول عز وجل "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا" النساء 66. تصوّر لنا هذه الآية حالة الضعف البشري، الذي يصاحب الإنسان، إلا أصحاب العزائم، وقليلٌ ما هم، في كل زمان ومكان. وهو تكليفٌ قد رحم الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم منه، بعد أن فشلت فيه بنو اسرائيل من قبل. لكن الشاهد في هذه الآية، أنه رغم أن الله لم يطلب من المسلمين أن يفعلوا ذلك بأنفسهم، فإنه حتى لو طُلب منهم فعل ذلك ففعلوه، لكان في ذلك الخير لهم والنصر والحياة الكريمة الراضية. ذلك هو المحك. أن يطاع الله ورسوله، وأن يُقدم الإنسان في مواضع الإقدام، لأن في الإقدام الخير كل الخير، وفي الإحجام الشر كل الشر، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. إن مجارى التكاليف التي فرضها الله سبحانه على الناس ليس فيها ما يَعجز عنه الإنسان، بل هي كلها في حدود ما يمكنه فعله، وشتان بين قتل النفس وبين الخروج لمواجهة عدوٍ ظالم آثم. الأول ممنوع ومرفوع من التكليف، رغم أنه لو كُلف به البشر لكان خيرا لهم. والثاني من أصل التكاليف وصلبها، وهو بذلك خير لهم وأقوم.

كيف يدعى العلم من يقرأ هذه الآية، ثم يُحجم عن مواجهة الظلم والبغي والفساد، والله سبحانه يقرر أن أشد التكاليف لو جاءت طاعة لله لكانت خيراً. أيكون هؤلاء الذين يقدمون في موضع الإقدام، أشباه ابن أم عبد الذي أخبر الصادق المصدوق أنه لو أن الله فرض ذلك على أمته لكان من القليل الذين يفعلونه ابن أم عبد، عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. أيكون من يحجم ويتوانى ويتخلف ويتعلل عن الخروج في وجه الطغاة وإن تعرض للموت، من أشباه أولئك المنافقين الذين تحدثت عنهم سورة النساء؟

وقد ثبت في علم التفسير أن ما نزل في الكفار والمنافقين، فللمسلمين منه نصيب إن اقترفوه، والقاعدة في الأصول أن تجريم الفعل يقع على الصفة لا على الموصوف.

ثم يقول الله تعالى في آية بعدها "وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا" النساء 72.

روى بن كثير عن مقاتل بن حيان قوله "أي ليتخلفن عن الجهاد ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطئ غيره عن الجهاد". وقال السعديّ في تفسيره "ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: { وَإِنَّ مِنْكُمْ } أي: أيها المؤمنون { لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح. وقيل معناه: ليبطئن غيرَه أي: يزهده عن القتال". وقال سيد قطب رحمه الله فيها قولا بديعاً "وكذلك يشي تركيب الجملة كلها: (وإن منكم لمن ليبطئن), بأن هؤلاء المبطئين - وهم معدودون من المسلمين - (منكم) - يزاولون عملية التبطئة كاملة، ويصرون عليها إصرارا , ويجتهدون فيها اجتهادا . . وذلك بأسلوب التوكيد بشتّى المؤكدات في الجملة ! مما يوحي بشدة إصرار هذه المجموعة على التبطئة ، وشدة أثرها في الصف المسلم، وشدة ما يلقاه منها! ومن ثم يسلط السياق الأضواء الكاشفة عليهم، وعلى دخيلة نفوسهم ، ويرسم حقيقتهم المنفرة".

كلها تفسيرات وأقوال تصُبُ في إتجاه واحد، هو خِسّة وضآلة أولئك الذين هم في صفوف "المؤمنين"، بنص القرآن في قوله "منكم"، ثم إذا هم يفعلون هذه الأفعال التي تدعو إلى التثبيط والتخذيل، بشتى الأعذار والتعلاّت، ولكن تبقى حقيقة الصورة هي هي، ويبقى التخذيل هو هو، من أيام عبد الله بن أبيّ المَدنيّ، إلى بن حسان الفضائيّ.

وإنك لتسمع لقول "الشيخ" الحويني بعد أحداث 25 يناير، وظهور الثوار على عدوهم، ولو وقتياً، في تبرير سكوته والتزامه الصمت، أن ذلك إنما لأن الصورة لم تكن ظهرت بعد، من المنتصر ومن المنهزم، فقد كانت هناك - على حد تعبيره - تظاهرات كثيرة من قبل دون أن تأتي بنتيجة! عجبٌ والله موقف هذا الرجل! ألا يخجل من نفسه وهو يُرتّل قول الله تعالى " فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا"! أهكذا ينتظر "المؤمن" و"رجل الحديث" و"الشيخ علامة السلف"، إنقشاع الغبار عن حلبة الصراع، ليقرر من يجب أن يصف في جانبه؟ أإذا كانت المصيبة وانتصر الباطل، ظن أمثال هذا "العلامة" ومن هم على طريقه وطريقته من متحدثي السلفيين ورجال سياساتهم المحدثين، أنه قد انعم الله عليه، بأنه كان ممن "يُبَطِّئَنَّ" وممن "يُخذّلنْ"، حتى إذا ظهر نصر من عند الله، أقاموا الأحزاب، ودقوا الطبول للإنتخابات، لكنهم ظلوا، رغم ذلك ممن " لَيُبَطِّئَنَّ، عن الجولة الثانية، الحاسمة من الثورة. مصلحية وبراجماتية لا تفترق عن براجاتية الإخوان، إلا في تلفعها بالغترة وسردها السانيد والمسانيد. وصدق من قال من قيادات الإخوان، عن الحركة السياسية السلفية الوليدة لمن سأله عنها "إتركوهم، فسينتهون حيث بَدأ الإخوان"، وصدق.

مقاصد الشريعة ...والتجديد السني المعاصر 15 مارس 2011

(1)

الدوامة التي يعيشها الفكرُ الإسلاميّ السنيّ، بين إتجاهاتٍ عديدةٍ على الساحة في شِقّي الدّعوة، الفِكر والحَركة، والتحديات العريضة التي يتعرض لها الإسلام في عقر داره من العلمانيين والليبراليين، ومن ناحية، والقبط من ناحية أخرى، أدعَى لأن يسعى السّاعون من أهل العلم لحَسم الخلاف فيه، نظراً لطبيعة المرحلة القادمة في مصر خاصة، وفي العالم العربيّ المسلم عامة.

ولو ذهبنا نتقصى الفروق القائِمة على مُستوى الفِكر والعَقيدة، نجد أن من هذه الفروق ما له أثرٌ على العقيدة والحَركة جميعاً، ومنها ما يؤثر على العقيدة دون الحركة، ومنها ما يؤثر على الحركة دون العقيدة. كذلك نجد أنّ منها ما زال أثره بعد ساسلة الثورات التي تجتاح العالم العربيّ من مشرقه إلى مغربه.

ونحن، في مقالنا هذا، ندّعى أن الخلافات العقدية القائمة، إن أغفلنا الشِرزمة القليلون الذين ينتمون لإتجاه الرافِضة، تظل مقبولة في ظلّ دولة مُسلمة يتنتمى لها أهل السنة، وعدد من أهل البدع، الصغيرة أو المغلّظة، دون أن تتجاوز إلى الشِرك. كذلك ندّعى أنّ الخلافات الحَركية، والتي تأثر بها منهج هذه الإتجَاهات الفكرية بشكلٍ شبه كاملٍ، ترجع جلّها إلى إنعدام النظر الفقهيّ في مقاصد الشرع، أو ضعفه على أحسن تقدير.

وإذا ذهبنا ننظر في التوجّهات العَقدية والحَركية للمسلمين من أصْحاب النظر الفقهيّ، نجد إنّها تنحصر في الآتي:

1. **أهل السّنة والجماعة**: وهؤلاء يتّفقون على ضرورةِ الرجوع إلى الكتاب والسّنة بشكلٍ كاملٍ وتامٍ في القوانين التي تحكم المُجتمع، من خلال التوعية وإحياء الأمة. وكذلك يتفق هؤلاء على رَفض الشَكل الديموقراطيّ الغَربيّ الذي يُرجعونه إلى أن المَرجع في القانونية الدستورية فيه هي للشعب، وليست لله سبحانه. ينشأ عن هذه النقطة خلاف كَبيرٌ في تصوّر الحَركة وبالتالي شكل الحكم المقبول إسلامياً، وفي عدد كبيرٌ من المسائل الحساسة في الداخل والخارج، كالمسألة القبطية ومسألة ولاية المرأة وغيرهما. وهم يؤكدون على فرضية الجهاد بشروطه وموانعه، وبما يناسب طبيعة الشعوب النفسية والجغرافية، وطبيعة المرحلة الزمنية التي يمرون بها.

2. **الجهاديون**: : وهؤلاء يتّفقون على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسّنة بشكلٍ كاملٍ وتامٍ في القوانين التي تحكم المُجتمع، مع الإختلاف في تصوّر طريقة التغيير المطلوب. ومن الواضح أن هذا الإتجاه قد فقد كافة مقوّماته الفكرية التي تقوم على إستخدام القوة للتغيير بادئ ذي بدءٍ، كوسيلة وحيدة أصلية واصيلة لتغيير النظم.

3. **الإخوان المسلمون**: وهم، كانوا أبداً في خندق الفِكر الإرجائيّ، الذي أثر على حركتهم في قبول الإنخراط في الأشكال البرلمانية الديكتاتورية التي تقوم على الفِكر العِلمانيّ، والتغاضى عن بعض المسلمات الفقهية كولاية المرأة والنصرانيّ. وهذا ما يفسر عدم إشتراكهم في التَخطيط للثورة منذ لَحظتها الأولى، ثم في دورِهم المّشبوه في "التحَاور" مع النّظام البائد في مصر، جنباً إلى جنبٍ مع أسوأ الأحزاب الديكورية العَميلة، وبعيداً عن الحَركة الوطنية بشَكلٍ عام، مما أفقدَ الكثير من العَامة ثقتهم في الحَركة ومصداقية توجّهاتها لصَالح المجتمع، لا لصَالح وجودها الذاتيّ.

4. **السلفيون**: وهؤلاء يتّفقون على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسّنة بشكلٍ كاملٍ وتامٍ في القوانين التي تحكم المُجتمع، مع خطئ هائل في النظر لمعطيات الواقع من ناحية، وهو ما دفعهم لرفض الثورة أولاً، وتوجهات شخصية مصلحية لدى عدد كبير من رؤوسهم من ناحية أخرى مما دفعهم لإستغلال الثورة لصالح تلميع صورهم لاحقاً. هذه التضاربات في التوجه تعكس خللا في الفهم عن الواقع وتحقيق مناطات الأحكام والهوى المردي، مما يضع مصداقية تحركاتهم على المحكّ.

5. **الليبراليون "المُسلمون"**: وهؤلاء متذبذبون في درجة تمسّكهم بقضية الرُجوع إلى الكتاب والسّنة بشكلٍ كاملٍ وتامٍ في القوانين التي تحكم المجتمع، إذ بينما يصرّحون في بعض القضايا بما يفيد إما عدم ضرورة هذا الحسَم فيها، أو بمحاولة إرجاعها إلى الشرع من خلال التلاعب بمفاهيم إسلامية كالوسطية والتجديد وقبول التعددية، مثل محمد سليم العوا ومحمد عمارة وفهمى هويدى. وقد أظهر الكثير منهم مؤخراً ولاءه للعلمانية الليبرالية أكثر من الإسلام، في عديد من القضايا.

6. **الصوفية**: وهؤلاء، على أنّهم من أصحَاب البِدع المُغلّظَة والتي تصِل في بعض صُورها إلى الشِرك، فهم كانوا على الدوام خَدَمٌ للنظام القائم أيا كان إتجاهه. ولا يجب أن نعتبر هؤلاء حركة إذ هم مذهبٌ عقديّ خارج عن السّنة التي هي منهج الأغلبية، فلا نقيم لهم وزنا في موضوعنا هذا.

7. **"الدُعاة الجُدد المُستقلون"**: وهؤلاء أسوأ القوم حالاً وأخبثهم طوية وأجرأهم على دين الله سبحانه وأخطرهم على عقيدة المسلمين. إذ ليس لدى هؤلاء علم يستندون اليه، بل هم وليدي العصر الفاسق الذي حبس وإعتقل

وكمم وطارد وطرد أصحاب النظر الإسلامي الصحيح، ونصف الصحيح، داخل مصرٍ وخارجها، وسَمَح لأجْهزة الإعلام بتلميعِ هؤلاء، مثل عمرو خالد، ليكونوا بديلاً لأهل الحق، أو أنصافه. وهؤلاء ممن يجب الحذر من أثرهم على العامة، وممن يجب أن يَكشف الدعاة المصلحون دورهم الخبيث، بعد أن رُفعت عن أفواههم الكمامات، وأتيح لهم حمل الميكروفونات.

ومما لا شك فيه أن التجديد، بمفهومه السنيّ الصحيح، والوسطية، بمعناها السلفيّ المحدّد، وقبول التعددية، في إطار منهج أهل السنة والجماعة، كلها مما يتطلبه المسلم الآن في بلادنا، إذ إن مقولة أنّ الإسلام صالح لكل زمان ومكان، يجب أن يتبعها تطبيق مباشر لها في أوجه الحياة المختلفة، وإلا أصبحت شعاراً لا معنى له. وما التقصير في تطبيق قولة الحقّ هذه إلا لقصور فهم المتصدّين للحركات الإسلامية من جهة، وإنحرافٍ في فهم من حاول تطبيقها من ناحية أخرى.

ومن الضرورى الآن أن نسعى لفهم مقاصد الشريعة، في رتبها العليا، وقواعدها الكلية، ومن ثم في تطبيقاها الشرعية واحكامها الفقهية، ليسلم لنا نظر سنيّ صحيحٌ فيما يعرض علينا من المسائل الحيوية التي نتعرض لها في آننا هذا. وهو ما سنحاول عرضه في مقالاتنا القادمة من غدٍ إن شاء الله تعالى.

(2)

يقصِدُ الشرع الإسلاميّ إلى الحِفاظِ على الضَرورات البشَرية الأسَاسية والتي هي الدين، النفس، العقل، المال، العرض، ومن خلال هذا الهيكل، وفي طيّاته، تندرِج كافة مَظاهر الحَياة الإنسانية التي يتناولها التشريع في دَرجاته الثلاثة، الضَرورات والحَاجيات والتحْسينيات، سَواء بالإيجاد أو بالإلغاء. وهذا القَدرُ مَعلومٌ لدارِسى الأصول بشكلٍ عام.

ولنضرِب مثلاً بموضوعِ الإستفتاءات والتَظَاهرات السِلميّة قي ظِلّ حقِ التعبير.

فحقُ التعبيرِ يدخل تحت بند حِفظِ الدين، كالدعوة، التي هي صُورةٌ من صُور حُرية التعبير، وهي حِفظٌ للدينِ من بابِ الإيجابِ والوجود، وهو – أي حقّ التعبير - حفظٌ للنفسِ من جِهة العدم، للدِفاعِ عن الحَقّ ورَفضِ الظُلم، إذ لا يُمكُن أن تُحفظ النفس إلا برفعِ الظَلم والقَهر. فهذا ما يجعل هذا الحق، وهذه الحرية، من أعلى مقاصِد التشريع. لهذا فإن هذا الأصل يجب إعتباره بشكلٍ أساسيّ في أية أحكام شَرعيةٍ تتعلق بما ينضوى تحته، كموضوع الإستفتاء والتظاهرات السلمية. فالإستفتاء هو مظهرٌ من مظاهر التعبير عن الرأي، ومُمارسةً عمليةً لهذه الحرية، على شريطة أن يتحقق الأصل الشرعيّ بضَمان الحرّية التامّة الحقيقية التي يتحقق بها مَقصد الشَرع، وإلا فإن عدم تحقّق هذا الشَرط يَجعلُ مَقصِد الشرعِ غير مُتحقّق، بل يَكون تلاعباً بالشَرع وتحيّلا عليه. ومن هذا النظر، خَطّأنا من أحلّ الإستفتاءات في ظل العهد البائد، ووقفنا بشدة ضدّ من شارك فيما كان من انتخابات، يستمدُّ منها النِظامُ الخَارجُ عن شَرعية الإسلام شرعية وُجوده، تلاعباً بالشرع ومقاصده. فالعبرة هنا بما تمليه مقاصد الشريعة وما يحفظها على المسلمين حقيقة لا إدعاءاً.

كذلك النظرَ في التظَاهِر السِلميّ في وجه الحَاكم الظَالم، أو الكَافر بطريق الأولى، إذ يقع تحت نفس الأصل، لكن على المستوى الجماعيّ، لا الفرديّ، مما يجعله الصق بالضَرورة من الإستفتاء أو الإنتخاب. فممّا هو مَعلومٌ في الشَرع أنّ ما كان مندوباً بالجُزء (أي على الفرد) كان فَرضَاً على الكُلّ (أي على الجَماعة)، لمَا تعنيه مصلحة الجماعة من أهمية أعلى من مصلحة الفرد. لذلك فإن مراعاة هذا الأصل في صورة التظاهرات السلمية أولى وأكثر وجوباً من الإشتراك في الإستفتاءات أو الإنتخابات.

فأن يأتى من يَستشهِد بحديثٍ عن طَاعة الحَاكم الفاسق، عليه أن لا يخرُج منه بما يضرِب دين الله بعضَه ببعض، وأن لا يلتزم الظاهرية في فهم الحديث، بل يجب أن ينظر في لفظ الحديث نظراً فاحصاً، وأن يجمع بينه وبين غيره من الأحاديث والنصوص التي توضّحُ مناطاتها بالفهم المُستقيم، الذي لا يُعارِض مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية. فإن وُجد مثل هذا التَضارب، وأُغفِل أصلُ كليّ لصالح جزئية شرعية، أو العكس، كان ذلك من قِصَر نظرِ الناظرِ، لا من تقصير الشريعة في البيان.

من هنا نرى خطأ الإخوان فيما تبنّوه من خَطّ سياسيّ في ظلّ العهد البائد، يسمح بالإشتراك في الإنتخابات، إذ لم يتحقق فيها مقصد الشرع، بل كانت تحيّلاً عليه. ومن هنا نعرف لماذا فشل هذا الخطّ من العمل طوال عقودٍ طويلة. كذلك وقع النظر

الإخوانيّ في الخلط بين مقاصد الشرع وبين حسابات المصالح والمفاسد، وهو ما سَنحاول بيانَه في موضِعٍ آخر إن شاء الله تعالى.

كذلك يمكنُ أن نميّز الخَطأ فيما اجتهد فيه السّلفيون، الذين حَرّموا التَظاهُر في ظلِ الواقعِ الجَديد، كما حرّموا العَمل السياسيّ في العهد البائد، ، فكان تحريمهم السابق مبنيّ على إعتبار الجزئيات لا الكليات والمقاصِد، لكن صَادف الحق، وكان تحريمهم الحالّ للتظاهر، مبنيّ كذلك على إعتبار الجزئيات لا الكليات والمقاصِد، فصَادف الباطل. وكان خطؤهم مُركباً، لأنه مبنيّ أساساً على عدمِ النَظر في المَقاصِد، ثم لعدم التفريق بين مَناطِ المَاضى والحَاضِر.

هذا مثال على النظرِ الأصوليّ المُجدّد الذي يَقصِدُ إلى النظرِ في مَناحي الحَياة ويَضبِط فتاوى المُفتين، ويوجّه نظر النّاظرين. والأمثلة على هذا النمط الفقهيّ الأصوليّ كثيرةٌ متشّعبة، حاولنا أن نواكِب توجّهاتها فيما سبق أن حَرّرنا حول المَفَاهيم التي يتلاعبُ بها العلمانيون، وأنصَاف العلمانيين، كالوسَطية والتجديد والتعدّدية، والتي هي من قبيل القواعد الكلية، على مستوى المقاصد ذاتها.

ونحن ندعو إلى إنشاء لجنة فقهية أصُولية مُتخصّصة، ممن لهم العِلم الشرعيّ القَادر على تَحرير المَسائل التي برزَت على سطح الحياة الإسلامية في هذا الزَمن، في ضوءِ مقاصدِ الشَرع الحَميد، فتكون توجيهاتهم مَناراً لأمثالنا من طَلَبة العِلم.

(3)

قد نوّهنا في المقال السابق إلى ضرورة الفصل بين ما هو من مقاصد الشرع، وما هو من حِسابات المصالح والمفاسد، ومن ثمّ بين ما هو المقاصد العامة والكليات الشرعية التي تثبت بجزئياتٍ متناثرة في الشريعة، تستلهمها من الأحكام الشرعية الثابتة، وبين حسابات المصالح والمفاسد التي تتخذ مجالها أساساً في تلك الحوادث التي ليس فيها حُكمٌ شرعيّ خَاصٌ، وإن أمكن إدراجها تحتَ قاعِدة كليةٍ أو مقصدٍ شَرعي عامٍ ثابتٍ، وهي ما أطلق عليها العلماء "المصالح المرسلة".

ومقاصد الشريعة العاَمة يندرج تحتها كلّ الكليات والقواعد العامة، في مدارها الأعلى، ثم كافة الأحكام الشرعية فيما هو أدنى من ذلك في مراتب النظر. كما لا تتناقض هذه المَقاصِد مع أيّ من الأحَكام الشَرعية. فمثلا مقصد حِفظ النفس يُعضّده أكل الخنزير وشرب الخمر في الضرورة، فالحفاظ على مقصد الشرع أعلى درجة من الحِفاظ على منطوقات الأحكام الشرعية. لا يقال أن حُكم شرب الخمر وأكل الخنزير هو كذلك حُكم شرعيّ، لأننا نتحدث عمّا وراء الأحكام ذاتها، ثم إن من قال هذا فهو ظاهريّ لا حديث لنا معه. وهذه المقاصد يجب حفظها، بأن نأتي بكل ما يحققها، وأن نُبطلُ كلّ ما يمنعها، وليس في الشريعة ما يُضاد مثل هذه المَقاصد بأي شكلٍ من الأشكال.

وكما اسلفنا في مَثلِ الحُرية عامّة، وحرية التعبير كشكل خاصٍ منها، الحُرية أمر يندرجُ تحت مقصِدىّ حفظِ الدين والنفس، حفظِ الدين بحرية الدعوة إيجاباً، وحفظ النفس برفع الظلم سلباً، لا يشُك في هذا عَالمٌ، إذ دلّت عليه كافة ما ورد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أتي له كافة الناس يسألونه ويخاطِبونه بما يرضى وما لا يرضى، فلم ينهى أحدٌ قطّ، وقوله صلى الله عليه وسلم "خير الشُهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجلٌ قامَ إلى رجلٍ فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك" أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد، وهذا يدلّ على عِظم قدر الحرية، وحق التعبير والدفاع عنها ولو بالموت دونها، وهو أوضَحَ من ان ندلّل عليه. ولتحقيق هذا المَقصد، يجب على المُجتمع المُسلم عامة، ويندب للفرد خاصة، ان يشارك في كل عملٍ من شأنه أن يأتي بالحرية، ويمنع الكبتَ والظلم.

ويجب هنا أن نتحّدث عن قضِيةِ "التحاكم إلى شرع الله"، التي هي الحُكمُ العَام والقضيّة الكُلية التي تدخُل تحتها كلّ مَقاصِد الشَرع لحفظِ الضَرورات الخَمس، ومصادرِ القواعدِ الكليّة بلا إستثناء. لكن هذا الأساس الركين ليسَ إلا الصُورة الكُلية لتحقيق كلّ هذه المَقاصِد عن طريق كافة الأحْكام الشَرعية. وهذا الأساس هو ما يجب الحفاظ عليه، وهو لا يكون إلا بالحفاظ على كافة ما يحقّقه يقيناً أو ظناً غالباً، وبإبطال ما يُخِلُ به يقيناً أو ظَناً غَالباً. فلا يجب الإخلال بما يدعم هذا المَقصدِ الأعلى سَلباً أو إيجاباً. ومن هنا لا يجب أن يُنظر الى قضية التحاكم على أنها في مستوى الأحكام الشرعية، أو تطبيقاتها ومناطاتها، ولا يجب أن يُقال

أنّ حُكماً شرعيا او مَناطاً يتعارض معها، إن كان في حقيقة الأمر يدخل تحت مقصدٍ من مقاصد الشريعة العامة وأحكامها الكلية، مع التحرّز بكونها تحققه يقينا أو ظناً غالباً.

فإذا نظَرنا إلى الإستفتاء، وهو شكلٌ من اشكال التعبير، وليس هو حق التعبير أو حقيقة الحرية ذاتها، إذ هو آلية من الآليات التي إنْ أدّت إلى تحقيقِ القّصدِ الشَرعيّ، كانت مقبولة، وإن أدت إلى عدمِه بطُلت. هذا دون حسابٍ لمصالح أو مفاسد.

وآلية الإستفتاءات، بحد ذاتها يمكن أن تندرج تحت باب المَصلحة المُرسلة، شَكلاً لا موضوعاً، إذ موضوعها هو "التعبير" عن حقيقة قائمة بالفعل، تخدِم قصدَ الشَارعِ الذي اثبتناه آنفا، سواءاً بإيصال رأيٍ أو إبدائه اصلاً. فهي كآلية لا غبار عليها، فإن أدت إلى إرهاب عدو الله وعدونا، وإظهار هويّة الشعب الإسلامية، فهي محقّقةٌ لقصد الشارع، معينةٌ على تحقيق الحُكمُ العَام والقضيّة الكُلية التي تدخُل تحتها كلّ مَقاصِد الشَرع، وهي قضِيةِ "التحاكم إلى شرع الله"، ومن هنا لا يصح شرعاً أن يُنظر اليها على أنها معارضة لشكل الإستفتاء الذي أثبتنا صحته شرعاً.

وإذا نظرنا إلى الإستفتاء المِصريّ الأخير كمثالٍ على ما ذَكرنا، نرى أنّ:

- الإستفتاء كان على موادٍ مُحددة تتعلق بمدة الرئاسة وطريقة الإنتخاب (من قال أنّ الرئيس لا يُقال مدى الحياة كالخليفة، نقول هو خلاف فقهي غير معتبرٍ فيما نحن فيه) ولم يكن فيه أمرٌ يتعلق بتطبيق الشريعة كمبدأ عام. ولا متعلقٌ بما حوّره أو زوّره المجلس العسكريّ بعدها، إذ لم يكن ذلك في حسبان أحد.

- العدو العِلماني كان متربّصاً، ليكون رفض هذه التعديلات مَدخلاً لرفع قضية الشريعة إبتداءاً من دستور البلاد، فبينما نحن نريد أن نرفع سقف الستور لتصبح الشَريعة هي المصدر الوحيد للقوانين، إذا بنا، بنظرٍ قاصرٍ، نعود إلى دستورٍ لا يعترف بالشريعة إبتداءاً، ويكون عملنا قد عارضَ وخالف مقصد الشرع، من حيث يحسب من قال بذلك أنه يُحققه.

- النزاهة في الإجراءات كانت مضمونة لكل من له عينان وعقل، وذلك لقرب عهد الثورة بالناس، فإنتفت شبهة التلاعب بالشريعة التي شابت إجتهاد الإخوان في خوض الإنتخابات في ظل الوضعِ البائد، وهو الخسارة حتى بحساب المصالح والمفاسد.

- أن خوضَ الإنتخابات في ظلِ دستورٍ عِلماني لا يقر بالشريعة حرامٌ لا يجادل فيه أحدٌ، لكن الإستفتاء ليس كالترشيح للمجالس النيابية، الذي إعتبرته الإخوان من باب حِساب المصالح والفاسد، خطأً منهم وقلة إلمام بالشَريعة. إذ أقصى ما يقال في حال الإستفتاء أنه مجرد سؤالٍ وجواب، لا متلق لقوانين بها.

- أنّ هذا الإستفتاء بيّن ما سبق أن نبّهنا اليه في مَقالات سَابقة، من أنه يجب على من يمارسَ الدعوة أن يعامل الشعب على أنه شعبٌ مسلمٌ، وهو ما ظهر في هذا الإستفتاء، إذ كان أستفتاءاً على هوية هذه الأمة

فأن يشاع أن الإستفتاء السَالف الذكر هو شِركٌ لا يجب الدخول فيه، هو قول يدلّ على سَطحية في النظر نخشى على قائليها ومروجيها من التطرّف المُردى، وإتباع النظر القاصر، والسَير وراء مظهر التشدّد الذي عادة ما يناسبُ الروح الشبابية. ونوجّه الشَباب إلى دراسة كتاب العلامة الإمام الطاهر بن عاشور "مَقاصد الشَريعة الإسلامية"، فهو عظيمٌ في هذا الباب.

ثم عودة إلى ما نراه من مَلامحِ التجديد السُنيّ فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

---

(4)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم 24 مارس 2011

وصَلتني عدة تسَاؤلات وتعليقات، أظنها آراء وتوجّهات مُستقرات أكثر منها تعليقاتٍ، فَرَضَت عليّ أن أنحَرِفَ عن الإستمرار في الحديث عن صُلب الموضوع، إلى إيضاحِ بعض ما يتعلق بهذه التساؤلات والتعليقات، إذ إن الغَرضَ من الكِتابة هو التفاعُل مع القارئ ومحاولة إيضاح ما يغمُض منها على بعض القرّاء من المهتمين بالقراءة والتعقيب.

وقبل أن أتناول هذه التساؤلات والتعليقات، أود أن أوضح نقطة أو إثنتين، ليكون إيضاحُنا على بينة، وبلا غبش (رغم عِلمي بأن ذلك عزيزٌ على كلّ من تناول قلماً أنْ يَحسِم خِلافاً يُرضى كل قُرائه).

- الإشتراك في إنتخابات مجلس نيابيّ لا يتّخذُ شَرع الله سُبحانه مَرجعاً أساساً لا يخلِط به غيرُه، حرامٌ شرعاً، وخلطٌ في فهم التوحيد، لا يشك في هذا أحدٌ ممن يتبع منهج أهل السنة والجماعة. لكنّ يجب أن يكون معلوماً أنّ تبني هذا المّوقف ممن هم في مجال الدعوة يجب أن يلحقه بديلاً حَركياً منهَجياً للتغيير، إذ ليس من طبيعة الأمور أن يُترك توجيه المجتمع بيد العلمانيين اللادينيين، يسِنّون القوانين ويصرّفون الأمور، ويوجهون التعليم والإعلام وما يشاؤون دون تدخلٍ، إلا أن تكون هناك بدائلٌ واضحة لإعلاء كلمة الله، ولعل في دراسة الحركات الإسلامية خلال العقود الماضية أن يكون هَادياً في هذا الشأن، وألا يكون التعَجّل والإعتِساف والشَبابية هي الحكم فيه.

- كذلك يجب أن يكون دور العَامل النَفسيّ مفهوماً، في أي عملية فكرية في العقل البشريّ، دينية أو غير دينية على السواء، إذ إنّ أسْهل مسارٍ للعقل هو الإستمرار على ما هو عليه، وهو ما يَحدُث عادة في اللاوَعيّ، لذلك نجِد أن طبيعة النظر في كلّ جديدٍ ليست صعبة فقط، بل وتلقى مُقاومة من العقل، لعدم وجود القوالب الفِكرية الكافية ، والتي تتكون وتتطوّر على مَدارِ السِنين، ومع موالاة القراءةِ والنَظر والفَحصِ، وتراكُم الخِبرةِ والتَجربةِ، في مجال الشريعة وغيرها، والقادرة على إستيعاب صور ومركباتٍ جديدة، نعرفها في المصطلح الشرعيّ بالإجتهاد في أعلى مراتبها، أو الفتوى في مناطات جديدة فيما هو أقل من ذلك.

- يجب على الشَباب أن ينتبه، في فَهمِه وتناوله لهذه الأمور، إلى أنّ الرأي في هذا المجال هو "فتوى" في حد ذاته، مما يوجب التحرز من "إبداء الرأي"، والأفضل أن يكون قولهم إستفهامياً لا تقريرياً.

ثمّ إلى التساؤلات والتعليقات.

- ما المقصود من أن السلفيين حرّموا العمل السياسي من باب الجزيئات (كما ورد في المقال 2)، هل يمكن التوضيح جزاكم الله خيراً

القصد من أن السلفيين حرّموا العمل السياسي من باب الجزيئات، كما يتضح من القول قبلها، أنهم إعتمدوا على أحاديث (وهي الجزئيات) وإن صحت، إلا إنها تعارضُ مقاصِد الشَريعة في هذا المَناط كما بيّنا، وما ذلك لعيبٍ قي الأحاديث، بل لخطأ في النظر منهم، حيث ضربوا الجزئيات بالكليات عن طريق خلط المناطات. ومن شاء التوسع في هذه النقطة، فليرجعُ إلى كتاب الإعتصام للشاطبيّ فهو اصل في بيان هذا الأمر.

- قولنا (وهذا يدلّ على عِظم قدر الحرية، وحق التعبير والدفاع عنها ولو بالموت دونها، وهو أوضَحَ من ان ندلّل عليه. ولتحقيق هذا المَقصد، يجب على المُجتمع المُسلم عامة، ويندب للفرد خاصة، ان يشارك في كل عملٍ من شأنه أن يأتي بالحرية، ويمنع الكبتَ والظلم.) هل كل من يدافع عن هذه الحرية يدافع عنها بمفهومها الإسلامي الذي لا يتنافى مع شرع الله عز وجل أم بمفهومها العلماني؟ وكذلك لو فرضنا أن الحرية المنشودة هي التي حضّ عليها الشرع وجعلها من مقاصد الشريعة فهل يحل لنا أن ندافع عنها ولو بارتكاب الشرك ولو باعطاء حق التشريع للبشر ولو بتأييد رجل محاد لشرع الله عز وجل من أجل أن يدافع عن هذه الحرية؟

والرد على هذا بطبيعة الحال هو ما يعتقده كلّ مسلمٍ موحّدٍ، اننا في مجال الحديث عن الإسلام والمسلمين، فالحرية التي نعنيها هنا بالذات، هي الحرية التي تؤدى إلى تطبيق شرع الله سبحانه، ولا يحلّ الدفاع عنها بإرتكاب الشرك، أو بإعطاء أي بشرٍ حقّ التشريع من دون الله، أو تأييد رجلٍ مُحادٍ لله ورسوله، ولو دافع عن هذه الحرية. وهذه كلها بديهيات لا أعلم فيم التساؤل عنها.

على كلّ حالٍ، أضيف هنا أن مبدأ الحرية هو مبدأٌ عامٌ خلقه الله سبحانه ليحيا به الإنسان، مسلماً كان أم كافراً، وإن لم تتم هذه الحرية في أعلى درجاتها إلا بالإسلام، ولذلك وصف عمرو بن العاص رضى الله عنه الروم بقوله "..وخامسة حسنة: وأمنعهم من ظلم الملوك"، وهو مقتضى الحرية بلا شك. وقد قال تعالى ممتنا على الناس بالإسلام :ويضع عنهم إصْرهُم والأغلال التي كانت عليهم" الأعراف 157، فوَضْع الإصر والأغلال يتضمن معاني الحرية كلها.

- قولنا (وآلية الإستفتاءات، بحد ذاتها يمكن أن تندرج تحت باب المَصلحة المُرسلة، شَكلاً لا موضوعاً، إذ موضوعها هو "التعبير" عن حقيقة قائمة بالفعل، تخدِم قصدَ الشَارعِ الذي اثبتناه آنفا، سواءاً بإيصال رأيٍ أو إبدائه اصلاً. فهي كآلية لا غبار عليها،) هل يعنى أن آلية الاستفتاء لا غبار عليها وكأننا نتكلم على الإستفتاء مجردا عن أي ظروف أو سياقات نحن نتكلم عن استفتاء يجرى في إطار أن حق التشريع في كل أمر من الأمور بإطلاق هو ملك للشعب وأن الحسن ما حسنه الشعب والقبيح ما قبحه الشعب فكل أمر مطروح للاستفتاء من غير نظر هل أباح الله لنا إبداء الرأي في مثل هده الأمور أم قال فيها سبحانه وتعالى ولا يحل لأحد مهما عظم شأنه أن يبدي رأيه أو يعقب على حكمه فلا أظن فضيلة الشيخ أن الاستفتاء إذا نظر عليه وهذه القرائن تحتف به إلا أن يكون محرما فضلا عن أن يكون شركا.

أبدأ بالقول تعقيباً أنه يجب أن نُفرق بين الإنتخاب في مجلسٍ يقوم على شريعة مخلّطة، وبين الإستفتاء الذي هو، بكل بساطة، سؤال وجواب.

ثم القول بأن (استفتاء يجرى في إطار أن حق التشريع في كل أمر من الأمور بإطلاق هو ملك للشعب)، فنقول:

الإستفتاء في اللغة هو السؤال كما ذكر إبي إسحاق، وهو يكون في الحق والباطل، وقد سأل الله سبحانه الكفار "فإستفتهم أهم أشدّ خلقاً" وهو ما يبيّن أن السُؤال لا غَضَاضَة فيه، إنما الإجابة هي المشكلة التي يقع فيها الكافر ويجتازها المُسلم لأنه يعلم أنه بالنسبة له تقريراً وتحصيلُ حاصلٍ. فإن سأل سائل: أتريد شرع الله محكماً؟ فلا بأس، بل يجب، الإجابة بنعمٍ تحت أي ظرفٍ أو طرحٍ أو تصورٍ.

وما قول المُعَلِق إن صَادف رَجلاً في الطريق، فأوقفه، ثم سأله: هل ترى أنّه يجب أن نتّبع الشَريعة، ام لا؟ فماذا يكون موقف المُعَلِق هناك؟ إما أن يردّ عليه بأنه بالطَبع يرى ويريد تطبيق الشريعة، أو أن يمسك عن الردّ كالأبكم، وهو جنون ما بعده جنون! هذا سؤال وجواب ليس فيه تحكيمٌ وغير تحكيمٍ. فالعقل العقل يا أولى الألباب.

ثم نحن نطرحُ إطاراً بديلاً لما طُرح في هذا التساؤل التقريريّ أعلاه، وهو في الحقيقة الأقرب للحقّ، هو إطارُ أنّ سؤالاً طُرح على شعبٍ مسلمٍ أن يقرر ماذا يرى في تطبيق الشريعة؟ وهذا بالضبط ما حدث بطريق غير مباشرٍ، ومن هنا فقد ذكرتُ في تحليلي أنّ آلية الإستفتاء هي مقبولة شَكلاً في هذا الإطار إذ هو "سؤالٌ وجواب" لا أكثرَ ولا أقلّ.

- وهل ترى فضيلتكم أنه يجوز الاستفتاء على قبول الشريعة الاسلامية دستورا وقانونا يحكم به في المحاكم هل سيكون واجبا على كل موحد أن يشترك في مثل هدا الاستفتاء.

وببيان ما ذكرت آنفا من نظرٍ، لا أدرى كيف يُسأل مُسلمٌ إن كان يقبل الشريعة الاسلامية دستورا وقانونا يحكم به في المَحَاكم، فيغلق فمه ويولي مُعرضاً؟ إلا إن عَاد إلى خَلط المَفاهيم، وإجبار القواعِد والإلتواء بالمُسلّمات لتخدم موقفاً ثابتاً لا يريد أن يتزحزح عنه.

- وهل إذا قبلت الأغلبية حكم الله في هذا الاستفتاء لأنهم مسلمون فاستجاب الحكام احتراما لرأي الأغلبية لا طاعة وإدعانا واحتراما لأمر الله هل هذا يكون حكم الله وتطبيق لشرع الله عز وجل؟

وما علينا ما يقولون، فقبولهم برأي الغالبية لا طاعة ولا إذعانا هو محسوبٌ عليهم لا على المسلمين، إذا قال المسلمون لمن سأل: بالطبع نريد الشريعة، إما بهذه الطريقة أو بغيرها إن لم تُفلح هذه، فأجابوا بالقبول، إذن هي الشريعة، فما علينا وقتها إلا أن نأخذ بزِمام الحُكم ونغيّر كلّ ميكانيكيات التعَامل لتضمن أن لا يكون هناك إحتمالٌ لتدخل رئيسٍ أو مجلسٍ برلمانيّ في هذا

التصوّر التشْريعيّ بعد، ومن هذا تخليص الجيش من رئاسته العلمانية، وكذا بقية المؤسّسات كلها. وهل البديل أن ننتظر حتى يؤمن هؤلاء فيقبلون تحكيم الشريعة عن رضا لا عن أغلبية!؟ أم أن يقول المسلمون: رغم أننا نعرف أننا الأغلبية التي سُتطبّق الشريعة في أرضنا، إلا اننا لن نقبل تطبيقها لأننا نريد أولاً أن يقبلَ المُتربّعُ على كُرسي الوزارة الآن هذا التطبيق إذعاناً؟ أين يقع هذا في باب الإفتاء ومقاصد الشريعة ومنظومة الشريعة كلها!؟

وأود ان أضيف هنا أنّ التصَور الذي يلمح له المُعَلِق لا يسمح بأي شَكلٍ من التَغيير إلا بالقُوةِ والإنقِلابِ، إذ لا صورة لشَكلٍ سِلميّ مقبولٍ للمسلمين لتولّى السُلطة في هذا التصور، وإن قال الشعب كلمته بقبولها، ثم رضي النظام بهذا. وهو إحتمالٌ قائمٌ ولاشك، وإن كان ضعيفاً، لكن أودّ أن أنبّه أن ذلك لم يكن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول دولةٍ مُسلمة بالمدينة، والتي كان غالبيتها من المسلمين وأقليتها من غيرهم، والقتال إنما كان فتحاً لغيرها.

- قولنا (الإستفتاء كان على موادٍ مُحددة تتعلق بمدة الرئاسة وطريقة الإنتخاب). ومن قال أن الرئيس إدا كان مسلما موحدا مطبقا لشرع الله عز وجل مجاهدا لنشر الإسلام محققا للعدل والحرية في إطار الشرع فلا يحل له أن يستمر في الحكم أكثر من ثماني سنين وتجرى انتخابات لتحل محله حاكما كافرا علمانيا معاديا لدين الله عز وجل .

نقول، إننا ذكرنا أن هذا من باب الفقه لا العقيدة، وإلا إن كنّا سنرى كلّ أمر من أمور الحياة أمر عقيدةٍ ومفاصلة، فسنكون صورة مطوّرة للتكفير والهجرة، وسنمشى بين الناس بالتكفير في كلّ أمر نختلف فيه فقهياً. وفي التصور الذي طرحته أعلاه، والذي يقوم على الشريعة بإطلاق، مع تخليص المؤسّسات من الإتجاهات الخَرِبة، يمكن ببساطة أن تكون هناك مواصفاتٍ للترشيح تضمن أن لا يتقلد الحكم من هو ليس أهل له. وهذا التصور المطروح بحدّ المدة، يحدّ من إحتمالات الديكتاتورية التي هي من سِمات النَفس إن طَال أمَد سطوتها كما رأينا في ما لا يحصى من حالاتٍ في تاريخنا، وأين لنا عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز في عصرنا هذا. ولا بأس أن يتغيّر هذا التصور إلى رئاسة مدى الحياة إن رأي الفقهاء ذلك، إذ هو موضوع إجتهادي قابل للأخذ والعطاء.

- قولنا: (النزاهة في الإجراءات كانت مضمونة لكل من له عينان وعقل، فإنتفت شبهة التلاعب بالشريعة التي شابت إجتهاد الإخوان في خوض الإنتخابات في ظل الوضعِ البائد، وهو الخُسارة حتى بحساب المصالح والمفاسد.) هل كل اعتراضكم على الإخوان في سلوكهم الطريق السياسي وتشنيعكم عليهم بحق وتضليلكم لهم بحق في العهد البائد كان فقط من أجل عدم توفر النزاهة في الإجراءات أم للمخالفات العقدية التي تشوب هدا الطريق ولإقرار من يدخل هذه المجالس الشركية لحق التشريع للبشر حاكمية الشعب واحترام الدستور الكفري والقسم على ذلك من غير إكراه ملجئ؟

في ضوء ما قررنا أنفا، نكرر أن الإنتخابات ليست كالإستفتاءات، إذ لها ما يسبقها وما يلحقها من محذورات شرعية، عقدية وحركية، فنقدنا للإخوان كان على الأساسين العقدي والحركيّ، ولذلك ذكرت كلمة "حتى" للتحديد، أي إذا نظرنا إلى البعد الحركيّ وإن لم يكن هو الفيصل في هذا. ولكن للتوضيح، لا ولم أرى تكفير الإخوان أو نوابهم إذ لهم تاويل خاطئ يرفع عنهم صفة الكفر في هذا الأمر.

- (أن خوضَ الإنتخابات في ظلِ دستورٍ عِلماني لا يقر بالشريعة حرامٌ لا يجادل فيه أحدٌ، لكن الإستفتاء ليس كالترشيح للمجالس النيابية، الذي إعتبرته الإخوان من باب حِساب المصالح والفاسد، خطأً منهم وقلة إلمام بالشَريعة). هل الدخول محرم فقط أم أنه شرك بالله عز وجل خاصة مع القسم على احترام الدستور والرضاء بأصول اللعبة الديموقراطية وهو شرعية رأي الأغلبية وليس حكم الله عز وجل ولا أدري هل فضيلتكم ستؤيد دخول المنتسبين للتيار الإسلامي المجالس الشركية أم ترفض؟

ذكرت قبلاً أنّ الدخول في هذه المجالس المؤسسة على الشرك باطل وشركٌ لا يجب فعله. لكن ليس كلّ من يرتكب شركاً بمشرك كما عليه إجماع أهل السُنة، إذ من له تأويل، ولو مدحوض مرجوح، يكون قد فعل حراماً، ولا يكون مشركاً. ولا أعرف أحداً من أهل العلم المعتبرين كفّر أعيان الإخوان بهذا الفعل. أما عن تأييدى للدخول في البرلمان الجديد، فهذا يتوقفُ على ما سيكون عليه الوضع التشريعي وقتها، ولكل حادث حديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

د طارق عبد الحليم

15 مارس 2011

وفاء وتأريخاً - حاملى رسالة الوحدانية

رسالة التوحيد، دين الأنبياء، أصل الدين، كلمة السواء، الإسلام[40] .. لا إله إلا الله، كلها عنوان كلمات الله التي أرسلها لعباده منذ أخرج آدم من الجنة، ومنّ عليه بعدها بأن وعده بإرسال الهدى لمن أراد أن يتبعه " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" البقرة 38.

وقد حمل أنبياء الله هذه الرسالة التوحيدية خلال عمر البشرية كلها، إلى أن نضجت، واستحقت أن يضع الله سبحانه القرآن بين أيدى أبنائها، نوراً وهدى، لا يزول ولا يحول "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر 9.

بيّن أنبياء الله أن التوحيد هو عبادة الله سبحانه وحده لا شريك له، التي هي طاعته في أمره ونهيه، في العبادات والمعاملات والجنايات والماليات، وكلّ ما هو من شؤون بنى آدم. وأنّ تلك العبادة مبنية على إقرار بأن الله هو الرب الحقيق بتلك الطاعة "وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" مريم 36، وأن له الصفات العُلى والأسماء الحسني، منزهة مثبتة بلا تمثيل أو تعطيل.

ثم تابع صحابة محمدٍ صلى الله عليه وسلم بيان ذلك، ثم تابعيهم وتابعي تابعيهم، ثم علماء الأمة الخاتمة من السلف الصالح، كلهم مطبقون على هذا المعنى، يربطونه بالإيمان، ويبينون درجات كلّ، ما يصح فيه الزيادة والنقص، وما هو من القول أو العمل أو اللسان أو النية. وكُتب في ذلك كتب لا تنحصر، ولا مجال لسرد أسمائها هنا، إلا لماماً، منها كتب الأسماء والصفات وكتب العقائد وكتب السنة ككتاب ابن حنبل واللالكائي والطحاوي، وغيرهم آلاف بلا مبالغة. فجزاهم الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيراً.

ثم كان الانحراف والتحول، بدأ محدوداً قليل الأثر، ووقف له الصحابة ومن بعدهم بالمرصاد. إلا إنّ سنن الله لا تتبدل، فقوى الانحراف واتسعت رقعة الخلاف، وحاد أكثر الناس عن الجادّة. فرأينا من بعد خوارج نافع بن الأزرق ومعتزلة واصل بن عطاء وإرجاء الجهم بن صفوان، وصوفية إبراهيم بن أدهم، وكارثة رافضة عبد الله بن سبأ. وكانت واقعة العصر التي تصدى لها إمام أهل السنة بلا مدافع أحمد ابن حنبل حين أراد المعتزلة والمأمون أن يتسوّروا على صفات الله وكتابه، فيما عُرف بفتنة خلق القرآن.

وظل الصراع الفكري بين أهل السنة، وكلّ هؤلاء لا يتوقف، كما كان الصراع العسكري بين السنة وبين البغاة منهم والخوارج كذلك.

[40] كلها تعبيرات جمعها الشيخ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله في كتابه "حدّ الإسلام"

وحدثت عاصفة التتار في القرن السابع الهجريّ، فاكتسحت العالم الإسلاميّ، وكان لابد أن يظهر من يقوّم للناس دينهم الذي اعوج، فتصدى لذلك شيخ الإسلام الإمام الحافظ أحمد ابن تيمية الحرّاني، فتصدى للتتار، ولكافة طوائف البدعة بلا استثناء، وأعاد للتوحيد الصافي نقاءه وصفاءه، ومن بعده تلامذته ابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم.

وتقلبت القرون، وتوالت الدول "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" آل عمران 140، حتى وصلنا إلى القرن الثاني عشر الهجري، حاملين نفس الجراثيم التي كانت تقوى وتضعف مع تقلب الأحداث، وتغير الدول ومزاج الخلفاء والحكام والولاة، بما يحفظ لهم البقاء، وبما يرضى الجند وأمراء الجيوش، سنة الله "ولن تجد لسنة الله تبديلا" فاطر 43. هنالك تصدى شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب لما كان من شرك جاهلي في أرض الحرمين، وصدع بالحق، وبيّن توحيد العبادة وتوحيد الربوبية أحسن بيان، وخاض في كثيرٍ من مسائل الإسلام والإيمان، وكتب كتابه الفريد "كتاب التوحيد" الذي طبع عشرات المرات على مدى القرنين الماضيين. فكان هذا الكتاب منبراً عالياً، وعلماً مرفوعاً للتوحيد، له فضل التقدم على كلّ من جاء من بعده.

ثم إذا بعصرنا الحديث، في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، أو الثالث عشر الهجري، يطلّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بغزو الفرنسيين للشرق، ثم ولاية محمد على الكبير، وحربه على دولة الإخوان في الجزيرة، ثم ظهور الإلحاد بلباس جديد، اسمه العلمانية، والمعتزلة باسم العصرانية والعقلانية والحداثة، ولم يظهر الخروج إلا في أواخر القرن العشرين، كما ظلّ الإرجاء دين الملوك والخلفاء كما كان دوماً، ثم ما تبع ذلك في أوائل القرن العشرين من سقوط دولة الخلافة عقب الحرب العالمية الأولى ثم استعمار الدول الإسلامية كلها، ثم تفتيتها عقب الحرب العالمية الثانية، وإنشاء الكيان السرطاني الصهيوني في فلسطين.

كلّ تلك الأحداث، كانت عوامل تعرية قوية الأثر جدا في فهم التوحيد عند عوام الناس، خاصة بعد ثورة التقنيات والإعلام. فاضطربت العقيدة واختلطت المفاهيم.

قيّد الله سبحانه في عصرنا هذا الرجل الذي يصح أن يُقال إنّ له في عنق كل موحّد فضل في عصرنا، الإمام العلامة أبو الأعلى المودودي، صاحب المصطلحات الأربعة في القران، وتفسير تفهيم القرآن، وشرح سورة النور وكتاب الحجاب، وكثير من الكتب التي لها أعظم الفضل والأثر على إقامة عمود الدين وإعادة مفهوم التوحيد إلى الأذهان في النصف الأول من القرن العشرين. ثم تبعه بعد ذلك شهيد الأمة، نحسبه، سيد قطب، الذي قدّم حياته ثمنا لبيان التوحيد، نظرياً وعملياً، فأخرج رائعتيه "معالم في الطريق"، ثم " تفسير في ظلال القرآن"، فلم يدع لأحدٍ من بعده مجال إلا التكرار والتعليق، في شرح التوحيد. وكلّ من دوّن سطرا فيه من بعده عيال عليه. وكان صنوه في ذلك أخاه محمد قطب رحمه الله، وعدد آخر من أكابر العلماء كالإمام العلامة أحمد شاكر، كما ظهر في تحقيقه لتفسير الطبري مع أخيه العلامة محمود شاكر، والإمام السعدي والإمام محمد ابن إبراهيم وغيرهم. ولا ينسى هنا الكاتب محمد جلال كشك صاحب مجلة التوحيد، التي كان لها أثر كبير بين المثقفين الإسلاميين. كذلك ما دتب الشيخ محمد رشيد رضا الذي ظلم نفسه وجهده بارتباط سيرته بمحمد عبده المصري المعتزلي، صاحب جمال الدين الإيراني المعروف بالأفغاني.

وكان أثر هذين الإمامين الجليلين، المودودي وقطب، إذن، أثر عالميّ تجاوز حدود بلادهما، باكستان ومصر، وأقام حكومات ولم يقعدها، وتأسست عليه كافة الجماعات التي انتسبت للجهاد بعد، والسلفية التي تقوقعت فيما بعد وصارت إرجائية ومطية للحكام، كسلفية المداخلة والبرهامية الحديثة الشركية، شرك الولاء.

ثم أعقب ذلك، في السبعينيات، ظهور رجال من الجيل اللاحق التالي لجيل سيد قطب رحمه الله على رأسهم تلميذه الشيخ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله، بعد خروجه من المعتقل، صاحب كتاب "حدّ الإسلام وحقيقة الإيمان" وهو كتاب أصولي فريد في بابه، تناول التوحيد بشكل تأصيلي بارع. وكان العبد الفقير إلى الله صاحب هذه السطور، من أبناء جيل الأربعينيات، ممن صاحب الشيخ الشاذليّ فترة، وأخرج كتاب "فتح المنان في بيان حقيقة الإيمان"، وهو شامل في بيان مناحي الإيمان ودرجاته ومناقشة الفرق المخالفة فيه، كما أخرج غير ذلك من الكتب والابحاث المتعلقة بالتوحيد. كما كان من جيلنا ذاك الشيخ العلامة رفاعي سرور، صاحب الكتب الرائعة في الحركة الإسلامية وفي بيان التوحيد. وكان من الأقران الأصحاب، الأصغر عمراً، الشيخ ابن عبد الهادي المصري صاحب كتاب "الانطلاقة الكبرى" الذي برع في جمع كلّ ما يتعلق بالتوحيد فيما كتب ابن تيمية وتلامذته، فكان مرجعا في ذلك.

ثم تبع ذلك جيل أخرج عدد من الكتب أو الكتيبات التي تناولت التوحيد، عُرفت وانتشرت بين أبناء الحركة الإسلامية خاصة، وكان لها أثر كبير على أبناء تلك الحركة خاصة في الشام والعراق وما حولهما، مثل "ملة إبراهيم" للشيخ أبي محمد المقدسي، وهو كتاب صغير الحجم ظهر حديثا في أواخر التسعينيات، يتحدث عن التوحيد وتطبيقاته على حكام العصر خاصة بالخليج.

لكن السمة التي نراها، هي سمة التدهور مع الزمن، فليس من جيل جاء في كلّ ما ذكرنا إلا وأبناؤه أقل انتاجاً، كماّ وكيفاً ممن قبلهم، سنة الله في خلقه.

وفي مقابل هذه الجهود الطيبة في نشر التوحيد الصافي، خرج أصحاب الجراثيم الكامنة، من مرجئة خلّص كربيع المدخلي وأمين الجاميّ وعلى الحلبي وغيرهم، ومرجئة عملاء، كالبرهامي ومحمد رسلان وأسامة القوصي، وغيرهم. كما خرجت الخوارج بفكرها منذ أواخر الستينيات، على يد شكرى مصطفى وجماعته التي أسماها الجماعة الإسلامية، ثم الزوابري في الجزائر وجماعته التي أسموها الجماعة الإسلامية المسلحة، ثم أخيرا جماعة إبراهيم ابن عواد الحرورية في العراق والشام التي أسموها "الدولة الإسلامية". وكلّ جماعات الخوارج تتصف بضعف منظريها، بل انعدام علمائها، إلا ما كان من شكري مصطفي ذاته الذي كان شاعراً كما ألف عددا من الرسائل الشهيرة. ثم طائفة العقلانيين الاعتزاليين كحسن الترابي ومحمد المسعري وعابد الجابري وطه علوان وأمثالهم كثر.

وقد اقتصرنا في عرضنا هذا على من كانت له صلة بالحركة الإسلامية، وأغفلنا الكثير ممن كتب من الناحية الأكاديمية البحتة، كأبحاث ورسائل جامعية أو كتب، إلا أن يكون له صلة بالحركة الإسلامية. كما أننا لم نذكر من تحدث عن التوحيد من أبناء الحركة الإسلامية، في خطب ومحاضرات، وهم كثرٌ والحمد لله، ابتداء بالشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله، وهو أشهر من أن يُعرف به، إلى الشيخ د هاني السباعي صاحب الصولات والجولات في مضمار الخطابة.

وقد نكون قد أغفلنا عن ذكر بعض من لهم اسهامات في بيان التوحيد فمعذرة مني إليهم، فهي عجالة قصدنا بها إيفاء حق من قدم في هذا الباب، ووضع الأولويات والترتيب في الفضل حسب الأسبقية تاريخاً وأثراً، فإن داء بني آدم الجهل والنسيان.

د طارق عبد الحليم

28 مايو 2015 – 10 شعبان 1436

أسباب ضعف المسلمين وانحدارهم - الجزء الأول

الحمد لله الذي لا يحمد سواه، المحمود على كل حال، وبكل لسان ومقال، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد

لا يمكن أن يبدأ علاج بدون توصيف الداء. وكلما كان التوصيف أدق وأشمل كلما كان الدواء أنجع وأفضل. هذه سنة طبيعية واجتماعية ترى نتائجها في كلّ موضوعاتها.

ودقة التوصيف لا تكون إلا بعينيّ خبير مطّلع، يرى الداء ويعرف ما أدى اليه، وانتشاره، وما سيحدثه من خراب. فماضي الداء، مرتبط بحاضره، موصول بمستقبل شفائه، إن كان منه شفاء.

(1) هل المسلمون اليوم أمة؟

وحال المسلمين من ضعف وانحدار وتفكك وهوان، في كلّ بقعة يتواجدون فيها على الأرض اليوم، ليس بداءٍ موضعيّ يعالج في منطقة دون أخرى، بل هو داء أمة فقدت محورها. أمة فقدت مركز قوتها. أمة استهلكت واستنزفت بكل معاني الكلمة، أمة ما عادت تتوافر فيها صفة الأمم، إلا القليل مما لا يجعلها أمة بحق.

تشابه الأمم الأفراد في كثير من صفاتها وردود أفعالها، إذ الأمة هي مجموع أفراد. الأفراد جزئيات من كليّة الأمة. فما هو من صفات تلك الأفراد لابد أن يكون من صفات الأمة، وممثلاً فيها بدرجة من الدرجات.

ثم إنّ الأمم تتحد في بعض الصفات التي يجب أن تتوافر فيها، بجامع الإنسانية، لتكون منها جماعة اجتماعية تحيا وتعمل وتتوثق عرى الصلة بين أفرادها، ويقوم بهم "ثقافة" معينة، لها تفاصيل، تمثل الجزء الأكبر من "أمميتهم". وهذه التفاصيل منها اجتماعية وسياسية وخلقية.

فمن تلك الصفات: الهمّ المشترك، والأمل المشترك، والتعاون في الصلاح، والإعانة في النكبات. ثم الأهم هو وجود دولة مركزية تمثل محور القوة في تلك الأمة، وتكون كالأب في البيت، أو الزعيم في العشيرة أو القائد في الجيش.

ومن هذا المنطلق نرى الغرب "أمة" واحدة، رأسها اليوم هو الشيطان الأمريكيّ، بعد أن أسلم قياده لها بعد الحرب العالمية الثانية طوعاً وكرهاً. ومن هنا نراها مستعدة للتحرك لحماية أبناء "أمتها" الغربية الكبرى إن احتاجوا الحماية في أيّ بقعة في الأرض، تحت مسمى "حلف الأطلسي". وهو القوة الضاربة لأمة الغرب.

لكن أين المسلمون اليوم من مفهوم الأمة وصفاتها؟

لا شك أن أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ستبقى حتى قيام الساعة، هذا ثابت متواتر. لكن الأمر يكمن في تعريف الأمة، واستمراريتها على تلك الصفة، ودرجة ارتباطها بصفات الأمة، فهم في وقت ما "طائفة" على الحق ثابتة، والبقية من الذين كانوا "أمة" على الباطل، بنصّ الحديث.

هذا التصور الذي يجعل "أمة" الإسلام اليوم انكمشت إلى طائفة لا أمة، يوافق الواقع موافقة تامة، ويؤيده كلّ ما نراه من أحداثٍ في كلّ مكان لأفراد المسلمين فيه وجود.

وهذا لا يعنى أن تلك الأمة زالت بالكلية، كما قلنا، لكنها بلا شك فقدت الكثير، بل الأهم الأغلب من الصفات التي تُبنى عليها أمة، سواء اجتماعيا أو ثقافيا أو سياسيا أو عسكرياً.

ومن هنا نبدأ ...

(2) متى فقدت أمة الإسلام وجودها؟

من السهل اليسير أن نعرف متى توقفت أمة المسلمين عن أن تبقى أمة حقيقية لها وجود حقيقيّ مؤثر. ذلك أنّ أول غصابتها هو سقوط الخلافة، إذ دمر صفة المركزية وشتتها إلى تجمعات دولية. ثم ما لبثت تلك التجمعات أن تتناحر، ثم ترتبط أفرادها بأعداء أمتها الأصلية، الذين تسببوا في تفكيكها ارتباط ولاء وخضوع وذلة وتبعية. وقل لي بالله عليك، كيف يرتبط تجمع دوليّ بالغرب الذي قضى على مركز أمته، تركيا، وحولها إلى دولة تعلن الإلحاد وتتبناه وتحميه بقوتها العسكرية؟ أيّ من "الهمّ المشترك، والأمل المشترك، والتعاون في الصلاح، والإعانة في النكبات" باقٍ إذا كان الولي هو العدو، وكان العدو هو "بضعة الأمة"؟

نعم، يبقى هناك أفراد، هنا وهناك يعينون على النكبات الفردية، هنا وهناك، لكن ليس ثمة "أمة" تعين. بل إن التكتلات الدولية التي أوجدها الغرب أصبحت هي أصل البلاء ومصدر اغتيال "الأمة"، لصالح حكامها. وقد حدث هذا تدرجاً بعد سقوط الخلافة، وحتى قيام الكيان الصهيوني في الفترة بين 1921 و 1948.

ولقائل أن يقول: لكن أليس قد تمّ هذا بمجرد سقوط الخلافة، قلنا: يجب التفرقة بين انهيار الامبراطورية الإسلامية، وبين تراجع وجود المسلمين كأمة، حتى لم تعد إلا شبحاً. فإن الغرب، كما أسلفنا، ليس إمبراطورية واحدة، لكنه، بلا شك أمة واحدة، وإن تمسك بقومياته الخاصة. وهذا ما ميّز الأمة الإسلامية في فترة وجودها، وسيميّزها حين عودتها للوجود، أن لا مكان للقوميات فيها. لكن الأمر اليوم أنها ليست قائمة أصلاً، والله المستعان.

ومن أفضل مظاهر انتهاء الوجود الحقيقي لأمة المسلمين هو ما يحدث في أنحائها. بل إن خير ممثل لذلك الداء الذي أودى بها إلى غيبوبة وموت إكلينيكي هو ما يحدث في بورما من استئصال للوجود الإسلامي كافة على يد البوذيين. فقد عاش المسلمون هناك منذ القرن الثاث الهجريّ، فإذا بمسلمي الروهينجا اليوم يواجهون تنظيف عرقيّ تام، أسوأ بكثير مما شهدته البوسنا-هيرتسوفيجا في التسعينيات. وقد تدخلت أمريكا "أم الغرب" وقتها لقرب محل النزاع من حلفائها وأفراد أمتها. وإلا لتركت الصرب يقضون على المسلمين دون إشارة لما يحدث على الإطلاق كما هو الحال اليوم في بورما.

ولو كان للمسلمين أمة، أو دولة مركزية راعية، مستقلة بقرارها، لها كرامة واستقلال، ولا أقول ديناً، فالإلحاد دين يجمع الغرب في أمتهم على مستوى الجماعة، والمسيحية تجمعهم على مستوى الأفراد، لا أقول يجمعهم دين لأنّ الدين قد ذهب مع ذهاب أمة المسلمين، إذ قد كتب الله سبحانه أن لا وجود للمسلمين عامة، وللعرب خاصة، دون دينهم. ومن هنا فإن أمتهم قد تشتت وضربت في تيه الكفر والتبعية منذ أن وُلد الكيان الصهيوني في عام 1948، ثم سلخت بقية "الأمة" منذ وقتها على يد عبد الناصر، وحافظ الأسد، وصدام حسين، والقذافي وبورقيبة وكروش العروش في ممالك الخليج، ويهود المغرب الحاكمين باسم أمير المؤمنين!

يتبع إن شاء الله

د طارق عبد الحليم

19 مايو 2015 – 1 شعبان 1436

الجزء الثاني

كما ذكرنا سابقاً، فإن الأمم تتشكل حسب الواقع الذي يعيشه العالم البشري في مرحلة من المراحل التاريخية. ولنضرب مثالاً من أحوال الغرب في العصر الحديث. فما حدث إبّان الحرب العالمية الأولى لم يكن قاصراً على انهيار الامبراطورية العثمانية، لكن انتصار الحلفاء عام 1918 أدى إلى انحلال أربعة امبراطوريات، الروسية والعثمانية والألمانية والنمساوية-الهنجارية.

كنت، ولازلت أميل إلى أنّ الأسباب الرئيسة التي تنخر في كيان أمة، وتؤدى إلى انحلالها وهدمها، هي العوامل الداخلية بالأساس، أي ما يكون من داخل الأمة، لا من خارجها. أما العوامل الخارجية، فهي محض عامل مساعدٍ، وغالبا ما يتحول بالزمن إلى عامل داخليّ مثل العمالة، أو اختلاط الشعوب.

وعلى كل حال، فإن الأمة الإسلامية لم تعدم التعرض لكافة عوامل التعرية البشرية التي يمكن أن تتعرض لها أمة، حتى تنحلل عراها، وصارت خلايا متناثرة تحمل فكرة الأمة، لا صفات وجودها.

وقد بدأت تلك العوامل تؤثر في الكيان المسلم منذ عهد عثمان رضى الله عنه ، ثم من بعده علي رضى الله عنه، حيث نصّت الفتن والمصائب برأسها في الفتنة الكبرى، وفي ظهور الخوارج المارقة.

ويمكن النظر إلى هذه العوامل في ضوء مجالها في الحياة الإنسانية، اجتماعية-ثقافية وسياسية وعسكرية واقتصادية، حسب ترتيب أهميتها، علما بأنها كلها تتفاعل معاً في وحدة واحدة، إذ لا يميز النسيج الاجتماعي للأمة بين سياسي وثقافي وغيره.

الناحية الثقافية – العقدية

وأهم أسباب زوال هذه الأمة وانقطاع وجودها الحقيقي يتعلق بالناحية الثقافية العقدية. أهم ما أدى لهذا الانهيار هو الخراب العقديّ سواء الإرجاء أو الحرورية.

أثر الإرجاء

تاريخياً، فإن الأثر الإرجائي[41] الذي صاحب الأمة منذ قرون بدأ أثره الاجتماعي قرب نهاية الدولة العثمانية، ثم انتقل للأثر السياسي، فيما بعد محمد عليّ والحملة على الإخوان في جزيرة العرب. وحين نتحدث عن الإرجاء الاجتماعيّ فإننا نقصد العلمانية في أحد صورها، إذ التخفيف من أثر الأوامر الإلهية والتهاون في الالتزام هو الخطوة الأولى في طريق العلمانية الصريحة. وهو ما لم يتحقق ادتماعيا بشكل كامل إلى اليوم، لكنه أسفر بشكلٍ كامل على المستوى السياسي في كافة حكومات العرب الحاكمة في بلاد المسلمين، بعد ما أسموه بالربيع العربيّ، الذي أعقبه خريف وشتاء قارص لا يظهر له نهاية!

وقد كانت الحركات الإسلامية التي تبنت النهج الإرجائي، قبل الحكومات، هي السبب الرئيس فيما وصل اليه الارجاء الاجتماعيّ من ناحية، ودعم العلمانية السياسية من ناحية أخرى. وهذه الجماعات، وعلى رأسها جماعة الإخوان السلمية، ثم السرورية السريرية، والسلفية الملكية الاستسلامية عباد الملوك، وغيرهم من الجماعات التي سارت على منهجهم مثل جماعة القرآن والسنة، وأنصار السنة، وحزب النهضة العلماني التونسي ثم أخيرا السلفية المنزلية البرهامية التي فاقت كلّ تصور في نفاقها ووخروجها عن مقتصى الديانة وخيانتها لله ورسوله.

تلك الجماعات كلها هي الي تقف وراء ما نحن فيه من تدهور عقديّ، لولا قيدّ الله أبا الأعلى المودودي وسيد قطب رحمهما الله، من بعد محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية، لاختلف الوضع كلية، ولزالت الأمة بأسرها إلا طائفة. وقد ضرب الإرجاء بتصوراته الخربة في عقول الناس وتصرفاتهم، وناسب ما أرادت الحكام والملوك، ومن هنا قال السلف "الإرجاء دين الملوك"، إذ ليس أفضل عندهم من شعب متسيّب مستهين بحدود الله وحقوقه، يحكمونه فلا يبالى بأي حكم أو شرع يُحكم.

أثر الحرورية

ولاشك أن أثر الحرورية، إلى عهد قريب، كان أقل بكثير من أثر الإرجاء في ضرب الحركة السنية الصحيحة، وتعطيل مسيرتها. ذلك أنّ الأمر من قبل، قد اقتصر على ظواهر غلوٍ في العقيدة، نتيجة حتمية للتفريط العقدي الذي جاء به الإرجاء من ناحية، والخيانة العامة والولاء الكفريّ الذي تبنته النظم العلمانية الحاكمة، ملكية وجمهورية على السواء.

وقد قامت جماعات في الستينيات وبعدها، منها ما تبنّى الغلو، ومنها ما تبنّى الحرورية الصّرفة. فالأولى مثل الجماعة الإسلامية، والتي كان فكرها يميل إلى العنف ضد الجميع، حكاما ومحكومين، مع ميل إلى التكفير بشكل عام، وإن لم يكن ظاهرة في تصرفاتها ليكون منهجاً تتقرر به فرقة. ومنها جماعات تبنت الفكر الحروري، بأصله الكلي الذي هو التكفير بما ليس بمكفر، وإن اختلفت في فروع الفرقة كما هو في فروع فرق الخوارج، منها جماعة شكرى مصطفى وبعدها الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر، حتى النكبة الحالية الكبرى والفتنة العظمى بما يسمى تنظيم الدولة، الذي هو تنظيم بعثي حروري بمسحٍ خلافة. فكان هذا الأخير فتنة لكثير من الشباب الذين لم يعوا دروس التاريخ، وظنوا أن سنن الله يمكن أن تجامل البعض لحسن نيتهم، دون الأخذ بأسباب النصر كاملة غير منقوصة، حسب القدرة.

[41] الإرجاء مذهب قديم منذ القرن الأول الهجري، لكنّ أثره السياسي والعسكري لم يظهر بقوة على دولة الإسلام إلا منذ أيام انحطاط الدولة العثمانية.

والناحية العقدية الحرورية ليست عادة من القوة والانتشار بين الناس كالإرجاء، إذ إنها لا تسير في اتجاه الفطرة الانسانية بأي درجة من الدرجات. فالقتل بما تشتهي النفس، دون سندٍ واضح شرعيّ أو قانونيّ – عند العلمانية – قبيح عقلاً وفطرة، وهو مما اتفقت فيه الشرائع والملل بكافة أنواعها. أما التسيب والانحلال فهو رفيق النفس الأمارة بالسوء، وهو أسهل عليها من القتل وسفك الدماء، الذي هو من نفسية الحيوان أقرب. من هنا، فإن الحرورية لم يكن لها، ولن يكون لها بعد شعبيّ أو حاضنة شعبية في يوم من الأيام. إنما هي دائما خارج الاطار الاجتماعي الطبيعي للشعوب، كظاهرة مؤقتة، بين شباب يترنح فكريا، وينحط خلقيا ونفسياً.

الحرورية إذن ظاهرة إجتماعية مَرَضِيّة، لا يمكن أن نعاملها إلا على هذا الأساس. وإن كانت تُسمى في الشرع بدعة كلية، أو كفر، على خلافٍ في رأي المجتهدين. ومن ثم، فليس لها بقاء طويل أو امتداد مأمول في حياة الشعوب بعامة. فهي كالعاصفة التي تجتاح أرضاً، تدمر كثيراً لكن تنتهى في يومين. والإرجاء على عكس ذلك، هو كالغيم المانع للشمس، لا يقتل الزرع على الفور، لكن يقتله على مدى سنوات من منع الدفئ عنه، قليلاً قليلاً.

د طارق عبد الحليم

22 مايو 2015 – 4 شعبان 1436

الجزء الثالث

أثر السلفية الملوكية

وقد أفردنا هذا الصنف من المرجئة بالذكر من حيث خطره الشديد، رغم إنه يتفق مع المرجئة في أصل عقيدتهم. وهؤلاء قد فتحت لهم الدولة السعودية صدرها عقب حرب الخليج الأولى، وموافقة أصحاب العروش والكروش على تحويل المنطقة إلى ثكنة عسكرية أمريكية، لحماية عروشهم من صدام، الذي هيأت لهم أمريكا إنه صاحب خامس أقوى جيشٍ في العالم، تماماً كما يشيعون اليوم أن خلافة البغدادي السامري هي أقوى خلافة في التاريخ! نفس الخطة، لنفس الغرض .. فالمستمعون حمير في الحالتين! وكان أعلامها محمد أمين الجامي، وربيع المدخلي، ثم عدد من تلامذة الشيخ الألباني كعلى الحلبيّ وغيرهم.

لكن الحق أنّ هذه الفرقة قد تميزت قبل ذلك في مصر منذ أن عمل ياسر برهامي كعميل ملتح لحساب المخابرات المصرية في الثمانينيات، ثم أشاع إنه صاحب الحديث في دنيا المسلمين اليوم! فهو في الحقيقة مؤسس الفرقة الزائغة المرتدة، وإن تعدى حدود الجامية المدخلية، حتى كان على رأس أكبر فروعها، المعروف اليوم بالبرهامية.

وقد كان الأصل الجامع لكلّ هؤلاء هو إدعاء السلفية، هكذا مجردة مطلقة عامة. وتركوا الناس يتوهمون إنهم يعنون بذلك السير على منهج السلف الصالح. بل، كان منهم من تبنى الحديث في مفهوم الطاغوت، والحكم بغير ما أنزل الله، نظرياً. حتى إذا جاء وقت تحقيق المناط، سحبوا أقوالهم، وخنسوا عن المواجهة. وعلموا أتباعهم أن تلك المفاهين هي أقوال في الكتب لا حقيقة لها على الأرض اليوم. ففي السعودية، يقام شرع الله، وهؤلاء السلاطين هم خلفاء الله، وأولياء أمور المسلمين.

ولو التمسنا عذراً للمدخلية في السعودية، على الأقل من حيث يمكن أن يكون للبس العباءة والغترة أثر في تأويل قضية الحكم بالشريعة وقضايا الولاء والبراء!، فلا نرى في مصر أيّ عذرٍ لهذه الطائفة التي كفرت بعد إسلام، من حيث أعلنت تأييدها لحاكم أعلن الردة صراحة، ومعاداة الإسلام، وهدم مساجده وقتل أوليائه، وتقريب الفساق والعاهرات، وإقضاء كلّ من له بالدين شأن.

وقد أوغل عدد من أتباعها في هذا الباب، باب طاعة أولياء الأمر، حتى قال بعضهم أم بريمر، الحاكم العسكري الأمريكي في العراق سابقا، كان وليا لأمر المسلمين، تجب طاعته!

وهؤلاء اليوم هم من يرتع على حجور السلاطين والحكام، ويتمتع برضاهم، وتفتح لهم ابواب الإعلام صحافة وتلفازاً وإذاعة ومحاضرات ومنشورات.

والحق، إنه برغم أن الأصل العقديّ للمرجئة يشترك مع الأصل العقدي لهؤلاء السلفية الملوكية المرتدة، إلا إنهم على نهج تطبيقي مخالف مخالفة شديدة لهم. ولعل هذا أمر لا يحتاج للاستدلال عليه، من حيث يظهر ما فيه الإخوان من محنٍ، وما فيه عؤلاء من نعم، يتنعمون بها كالأنعام! وكلاهما مطيع لولي الأمر القائم، حكم بالشرع أم لا، والى الكفار ضد المسلمين أم لا، حارب الإسلام والمسلمين أم لا، فضّل النظم الغربية الديموقراطية على الإسلام أم لا، لكن الفرق يكمن في إن السلفية الملوكية، يقفون في صفّ هؤلاء، ولا يلحون عليهم بلائمة، ولا ينقدونهم بأي شكلٍ من الأشكال، بل يدافعون عنهم ويزيفون أقوال من عداهم، بل يرمون من عاداهم بالكفر صراحة كما فعل المدخلي الضال مع سيد قطب رحمه الله.

وخطورة هذه الفرقة على واقع المسلمين لا يحتاج إلى مزيد شرح، بعد أن تعرف مبادئها. فهي تعمل على إخضاع المسلمين لاستعمار داخليّ يتآمر على الإسلام، وعلى أهله، وعلى تطبيق شريعته. وهم يعينون كلّ أفاك اثيم، قاتل زنيم، كعبد الفتاح السيسي، ليدمر الإسلام تدميراً كاملاً شاملاً، ويقوض صرح البنية النفسية الاجتماعية التي أقامها الاسلام في نفوس الشعوب على مدى قرون، لتكون لهم درعا وحصنا ذاتياً من الانزلاق في الفسق والعهر والغواية، التي مصدرها الكفر لا المعصية، والفرق بينهما واضح.

وقد نجحت تلك الفرقة في ضياع كمٍّ هائل من الشباب في مصر خاصة، وحيّدت قوى كبيرة كان من الممكن أن تزيل المرتد السيسي وعصابته. لكنهم، وإن كان أثرهم مثل أثر الإخوان في إزاحة القوى المعارضة المسلمة من الطريق العسكري في مواجهة الالحاد، إلا إنهم نجوا بأنفسهم وذويهم من الاعتقال وأحكام الإعدامات، إلى حين.

د طارق عبد الحليم

1 يونية 2015 – 14 شعبان 1436

الحل فى مصر .. بين السلمية والسنية

لا شك أن الوضع في مصر قد دخلت فيه عوامل جديدة على الواقع المصري، لم يعهدها من قبل. ونقصد بها التفجيرات والمفخخات الكبيرة التي تستهدف مسؤولين حكوميين مرتدين، ونشير بذلك إلى عملية الهالك هشام بركات.

ولا نريد أن نُضخّم من أثر الحادث، كما تعود الإخوان، بتعبيرات مثل أن الانقلاب يترنح، أو إن النصر على زاوية الطريق، فهي عملية نوعية فريدة. لكن لا ننسى إننا نواجه نظاماً كاملاً مسلحا بالعتاد والإعلام والمال، مسيطرا بالفعل على كافة مفاصل الدولة بلا استثناء. كما لا يجب أن ننسى أن قطاعا كاملا كبيرا من الشعب يؤيده، جهلا أو مصلحة أو تغريراً. وهو لن يترنح ويسقط لمقتل فرد منه، بل ولا أفراد عدة.

لكن من الواضح أنّ هناك اتجاه جديد على الساحة المصرية، ، قد تبنى فكر المواجهة المباشرة مع العدو الملحد، السيسي وجنده.

وهذ الاتجاه، سيتبنى عمليات أخرى ولا شك، قد تتقارب وقد تتباعد، حسب اختراقهم للأمن، لكنها ستحدث لا محالة، إذ متى بدأ هذا الاتجاه لا يعود، مهما اشتدت قبضة الأمن، بل هو أصلاً بسبب اشتداد قبضة الأمن وتحكمها وبطشها وجبروتها.

وقد عزا بعض المحلّلين هذا الحادث الى النظام نفسه، كي يتخذه توطئة لإعدام د محمد مرسى فك الله أسره ومحمد بديع وغيرهم. ولا أظن أن النظام في حاجة لهذا الحدث، الذي يكشف عن ضعف أمنه، ليعدم من صدرت بالفعل أحكاما بشأنهم. كما أن إعدام محمد مرسى يفقده ورقة في حوزته يلعب بها وقت الحاجة. فهذا التحليل أقرب للتهمة منه للفهم الواقعي للوضع القائم.

وقد يعزو البعض هذا إلى داعش، كما قد يعزوه البعض إلى جناح عسكري سري للإخوان! ولا أرى أن كلا التفسيرين صحيح. فداعش أقل إمكانيات وأضيق تغلغلاً من أن تفعل هذا في القاهرة، كما إن سياستها براجماتية بحتة، فلو فعل بعض أتباعها في سيناء فعلاً، فللدعاية ليس إلا.

أمّا الإخوان، فليس لهم ذراع، ولا حتى صباع عسكري، ولو كان، لتحرك هذا الإصبع العسكري من قبل في أوقات الشدة التي مرّت بهم، حتى كادت أن تنهى وجودهم بالكلية من على الساحة السياسية برمتها.

وقد يدعى بعض الإخوان إنّ لهم زراع سياسيّ ينكر ويشجب ويقف موقف المعترض على أية عملية ضد العسكر، بينما الأصبع العسكريّ يعمل في الخفاء. وهذا إلى جانب إنه إدعاء لا برهان عليه ولا دليل، إلا قول أصحابه، فإنه غير مقبول حتى لو صح. فأولاً، ماذا جنى الإخوان من هذه الثنائية النفاقية؟ لا شئ. لا يزالوا إرهابيين، ولا يزال أكثريتهم المطلقة في السجون تنتظر الإعدام، ولا يزال بقيتهم النادرة هاربين مستخفين! فماذا جنوا من هذا النفاق الصريح. ثم أليس الصمت أفضل سياسة؟ خاصة والنفاق ومسح "الجوخ" للغرب وللنظام لم، ولن يجدي فتيلاً. أنفعهم الغرب بشئ إلا دعم السيسي علناً؟ هذا تفكير طفولي.

الصحيح أن الإخوان، في مرحلتهم الثالثة من التطور الذي تحدثنا عنه من قبل، وفي جيلهم القياديّ الحالي، لا يشتمل إيمانه على مصطلح "الجهاد" أصلاً، وينفر من أي دعوة لقتال أو استخلاص حقٍ بالقوة. هذا الجيل القياديّ، من أمثال محمد حشمت ومحمد غزلان وعصام العريان، وأبيهم الروحي محمد بديع، فك الله أسر كلّ مظلوم، هم جيل يؤمن بالممارسات السياسية البحتة، من داخل الأطر المجهزة مسبقاً، والتي وضعها النظام، كما صرح من قبل عمر التلمساني، مرشدهم السابق. فهم يتعلقون بالعمل البرلمانيّ ويؤمنون بأنّ التغيير لابد أن يكون سياسياً لا غير. ولم

يفهم هؤلاء البشر المُضَلَّل الرسالة التي بعثها الله اليهم أخيراً، في شكل سقوط محمد مرسى، بعد أن كسب أكبر معركة برلمانية.

نسي هؤلاء المنحرفون عقديا وعملياً، إنهم إن كانوا يسعون برلمانيا، فهناك ألف طريقة وطريقة لإفشالهم[42]، كتخريب القضاء الشامخ، مثلا واحداً. قد رأوا الفشل لمنهجهم أمام أعينهم بعد سعي أكثر من ثلاثة أرباع قرن، لكنهم لا يزالوا على دينهم الذي يقولون أنّ حسن البنا سنّه لهم. لا يرون من التاريخ إلا ما بعد 1928، وكأن الزمن قد بدأ مع إعلان جماعتهم! وهذه الحزبية المفرطة المقيتة، هي التي أخذت بمصر كلها إلى الهاوية، بعد أن وثق الشعب الجاهل في كلامهم وحديثهم، فنحن المصريون سماعون لأي قوم آخرين، آذان "مطرطقة"، ببغاوات تردد ما يقع في آذانها، مع الأسف، هذه طبيعة شعبنا، كانت وستظل!

وقد يتراجع بعضهم اليوم، فيطالب بأن تعود "الجماعة" عن خطها الحزبيّ، وأن تترك العمل الرسميّ، وتعود للدعوة، حتى لا يقال إنها تسعى للحكم أو إنها طامعة فيه.. وهذا قد يكون توجها مفيداً، لكن لسبب مرفوض عقلاً وشرعاً. فلماذا لا يكون الحكم مسعى للمسلمين، ومن قياداتهم الشرعية إن كانوا يريدون أن يكونوا قيادة روحية وشرعية؟ وهل هناك فرق بين إخوانيّ داع وبين رجل شارع حين يأتي وقت تولى حكم؟ وأين في تاريخ الصحابة ومن تلاهم، فعل المسلمون هذا؟ ما هذا النوع من التطهر الرهباني؟ تولى أبو بكرٍ رضى الله عنه الحكم، وتمسك به القرشيون. وتمسك الهاشميون به أيام عليّ رضى الله عنه وحاربوا عليه. ثم، أين في دين الله يكون من يتولى الحكم منتخبا من العوام الذين لا يحسن أغلبهم الوضوء؟ أين هذه الدنيا التي فيها الشفافية في مثل هذه الانتخابات؟ الإخوان يحلمون ويعيشون في دنيا لا وجود لها، ويحملون جراثيم كافة الفرق البدعية التي تُدمر قيادات طامحة للإسلام، كالصوفية والعلمانية والاعتزالية. قد يصلح مجتمع فيه هذه المركبات، من حيث تنوع المجتمعات، لكن القيادات الموجِّهة لا يمكن، بل يستحيل أن تنجح بمثل هذا المنظور.

ثم نعود للحادث المبارك، فالأصح والأوجه إنه من عمل مجموعات جديدة لا تنتمى لأحد، إلا تحرير الأرض من كفر السيسي وسيطرة عسكره على مصير الأمة. فإنه من السهل إرجاع الأحداث إلى كيانات قائمة، لسهولة ذلك على المحلل، ووجود الأطر الجاهزة للتفسيرن بأن يقال هي من عمل النظام أو الإخوان. ومن المحتمل أن يكون بعض أفرادها ممن "كان" ينتمى للإخوان، ثم انشق عن قياداتها، لمّا رأي الانبطاحية السلمية.

ولا شك في أنّ هذا النبأ مصدر فرحة لأصحاب التوجه الجهاديّ، ، لا مقتل الهالك، فهذا مصدر فرحة لكل مسلم، لكن بداية عهد جديد في التعامل مع النظام.

لكن السؤال اليوم، هل يمكن أن تؤدى هذه العمليات إلى سقوط النظام؟ الراجح لا، بل أقصى ما يمكن أن يكون هو إقلاق النظام، وبثّ الاضطراب في قيادته، وكلما زاد اضطراب القيادة، كلما زادت أخطاؤها، ومن ثم احتمالات سقوطها. لكنها لن تكون كافية لإسقاط النظام بحال. النظام متغلغلٌ في كافة الهيئات والمؤسسات والأجهزة. بل غالب الأجهزة تحت سيطرته الكاملة، كالإعلام والقضاء والشرطة والخارجية والتعليم، بل وكافة المؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر ودار الإفتاء والأوقاف. فقتل واحد، أو عشرة أو مائة من القيادات المرتدة لن يغير من الأمر شيئاً، وإن سبب قلقا شديدا للنظام، وأخرجهم عن طورهم وأظهر ضعف قبضتهم في بعض المجالات على الأقل.

[42] ورد الآن أثناء التدوين خبر قتل 13 إخوانيا في اجتماع بمدينة 6 أكتوبر كثأر للهالك بركات. هذا مصداق ما نكتب هنا جاء ليؤكد أن المواجهة ليست سياسية.

لكن في الناحية المقابلة، فإن الشعب المصري، كما أوضحنا، يفهم بأذنيه، فمثل هذه العمليات ترفع من أسهم السيسي، حكام للبلاد من الإرهاب. ولذلك يجب أن يتبعها شرح مفصّل للعملية وغرضها ونتائجها.

فهل معنى ذلك عدم جدوى هذه العمليات، بالطبع لا، فقلق السفاح الطاغية واضطرابه مطوب، لكنها تنجح بالتوازى مع ما يجب أن يكون من عمل جماعيّ مصاحب لها.

فما هو شكل الحل النهائي إذن؟

ما نراه حلاً في مصر هو "الثورة الشعبية **الإسلامية**"، ونعنى بالإسلامية التي تحمل الهوية الإسلامية وحدها، لا تختلط بغيرها، من قومية أو وكنية أو مواطنة أو مثل تلك الشعارات الخائبة التي يرى الإخوان أنها هي أساس "الثورة". فالثورة في مفهوم الإخوان هي ثورة شعبٍ بكل أطيافه، مسلمها وكافرها، على حكمٍ ظالم، ثم الأمر متروك للأغلبية. والثورة الإسلامية كما نراها، ويراها تاريخ المسلمين قبل حسن البنا، الملهم لتلك الجماعة، هو أنّ الثورة الإسلامية يجب أن تكون خالصة نقية في مفاهيمها، ترفع شعار لا إله إلا الله، لا شعارات "تحيا مصر"، ولا "عدالة اجتماعية" ولا "تساو في الفرص"، ولا "مواطنة"، وإن كانت كلّ تلك الأمور لها محلها في منظومة لا إله إلا الله.

هذا ما نفترق فيه عن الإخوان. وهو فرق بين السنة والبدعة، بين الإسلام النبوي، والإسلام الوسطيّ كما يدّعون. وقد بيّنا من قبل أن الوسط هو موقف بين باطلين، لا موقف بين حق وباطل، لو كانوا يفقهون.

إذن الدعوة، وتحريك الجمهور والعمل الجماعي السري، بتواز مع كلّ تلك الوسائل الأخرى، لحشد أكبر كمّ يمكن لحراك جماعيّ يجعل الأمن عاجزاً عن مواجهته، كما حدث في حركة 25 يناير، التي لم تكن إسلامية بأي درجة من الدرجات، وإن شارك فيها إسلاميون. لكن أتت مثالا لهذا الدين المختلط المبني على الوطنية المصرية، وحقوقها، لا على إعلاء لا إله إلا الله، ففشلت فشلاً ذريعاً.

د طارق عبد الحليم

15 رمضان 1436 – 1 يوليو 2015